علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم



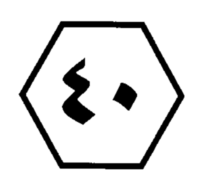
محمد عمارة

داعية الإحياء والتجديد الإسلامي

تأليف

الدكتور عبد الرازق عيسى

دار القلم
دمشق



علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم



محمد عمارة

داعية الإحياء والتجديد الإسلامي

تأليف
الدكتور عبد الرازق عيسى

دار القلم
دمشق


محمد عمارة





الطّبعَة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤




الإهداء

إلى من كانت المشجع الأول لي في هذا العمل وغيره من الأعمال، والتي حرمتُها الكثير من حقوقها.

إلى زوجتي الدكتورة: عبير حسن عبد الباقي؛ حباً وعرفاناً واعترافاً بجميل جمائلها.. إليها أهدي هذا العمل.

عبد الرازق عيسى



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين: محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

منذ سنوات دراستي الجامعية الأولى كنت أقرأ مقالات الدكتور محمد عمارة بإعجاب شديد ، فهو عقلاني في تفكيره ، منطقيٌّ في براهينه ، يبتعد عن العواطف في ردوده التي تتسم بالعمق الشديد ، وهو موسوعي في ثقافته ، التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وهو كذلك له اطِّلاع واسع على الثقافة الغربية بكل ما أنتجته من أفكار واتجاهات ، لكل ذلك اقتنعت بجملة قالها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : إن الدكتور محمد عمارة قلعةٌ من قلاع الإسلام في القاهرة ، فكُتب الرجل التي تعدَّت المئة والخمسين كتاباً ، ومناظراته ضدَّ العلمانيين ، كل هذا يعتبر قلعة حصينة للإسلام ضد خصومه.

وعندما طلب مني الأستاذ محمد علي دولة حفظه الله أن أكتب عن الدكتور محمد عمارة في سلسلة دار القلم «علماء ومفكرون معاصرون: لمحات من حياتهم ، وتعريف بمؤلفاتهم» ، كانت سعادتي غامرة ، فقد جاء الوقت الذي أردُّ فيه جزءاً من الجميل لهذا المفكِّر الذي تربينا على كتبه؛ وكانت زاداً فكرياً لنا ، وسعدت أيضاً لأننا بذلك خرجنا على التقليد العربي المعروف أننا لا نُكَرِّم أحداً من الأحياء إلا نادراً ، وننتظر انتقالهم للعالم الآخر حتى نكتبَ عنهم وعن فكرهم ، وهذا التقليد الجديد سوف يكون له آثرٌ كبيرٌ على المكرَّمين الأحياء ، أمدَّ الله في أعمارهم.

وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب ـ وفق منهج هذه السلسلة ـ إلى فصلين اثنين:

● **الفصل الأول**: احتوى على مراحل حياة الدكتور محمد عمارة منذ نشأته، والعوامل التي أثرت في تكوينه، وبعض القضايا التي عالجها، ومنهجه في الرد على مخالفيه.

● **الفصل الثاني**: في التعريف بمؤلفاته.

بدأته **بتمهيد** ذكرت فيه ببلواغرافية بمؤلفات الدكتور محمد عمارة مرتبة حسب أنواعها.

ولقد قمت بتقسيم المؤلفات التي عرضتُ لها إلى سبعة مباحث:

فجعلت **المبحث الأول** خاصّاً عن الإسلام وقضايا العصر، حيث عرضتُ لموقف الإسلام في العديد من القضايا؛ مثل: الإسلام والفنون الجميلة، والإسلام وتحرير المرأة، والإسلام وحقوق الإنسان، وغيرها من القضايا المهمة.

وعرضت في **المبحث الثاني** لقضايا فكرية معاصرة، وفيه تناولت الكتب التي تحدَّث فيها الدكتور محمد عمارة عن قضايا معاصرة مطروحة على الساحة الإسلامية؛ مثل: استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، والغزو الفكري وَهْم أم حقيقة؟، وكذلك كتبه عن العلمانية.

وتناولت في **المبحث الثالث** عقلانية الفكر الإسلامي، فتناولت بعض مؤلفاته في هذا المجال؛ مثل: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، وغيرهما من الكتب في هذا المجال.

كما تناولت في **المبحث الرابع**: استلهام التاريخ عند الدكتور عمارة؛ مثل: الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، وتيارات الفكر الإسلامي، والعرب والتحدِّي.

وفي **المبحث الخامس**: عرضت لكتب التراجم، حيث ترجم الدكتور محمد عمارة لعدد كبير من رواد الفكر الإسلامي في مختلف عصوره، وعلى امتداد الساحة الإسلامية، فترجم لجمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، ومحمد عبده، ومصطفى كامل، وأبي الأعلى المودوي، وترجم لعدد من المعاصرين مثل: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ القرضاوي.

وفي **المبحث السادس والسابع**: عرضتُ للمؤلفات الكاملة التي قام الدكتور محمد عمارة بتجميعها وتحقيقها حتى تكون بين أيدي الناس يطلعون عليها ويأخذون منها زاداً فكرياً من نتاج رواد النهضة الإسلامية الحديثة.

وقد اتبعت المنهج التحليلي النقدي، حيث عَرَضْتُ لمؤلفات الدكتور محمد عمارة عرضاً تحليليّاً في محاولة لتوضيح مقصدها، كما قمت في بعض الأحيان باستخدام النقد كوسيلة لبيان وجه الحقيقة.

وهذا الكتاب أزعم أنه عمل علمي بعيدٌ عن العواطف والأهواء، فعلى الرغم من إعجابي وحبِّي الشديدين لمفكرنا الدكتور محمد عمارة، فإنني عملتُ على التجرد منهما أثناء بحثي في كتبه، التي أزعمُ أنها تحتاج لكتب كثيرة للإحاطة بها، ولكنني حافظتُ على عرض أهم تلك الكتب حفاظاً على الحجم العام للسلسلة التي يصدر فيها هذا الكتاب.

واللهَ أسأل أن أكون قد وفِّقت في إعداد هذا الكتاب، وأن يتقبَّلَهُ مني خالصاً لوجهه الكريم.

المدينة النبوية

على ساكنها الصلاة والسلام

الأحد: ٨ / ٤ / ١٤٢٩ هـ

٤ / ٥ / ٢٠٠٨ م

د. عبد الرازق عيسى






الفصل الأول

لمحات عن حياته

المبحث الأول: الولادة والنشأة.

المبحث الثاني: العوامل التي أثرت في تكوينه الفكري.

المبحث الثالث: منهجه ومواقفه.

المبحث الرابع: نماذج من القضايا التي عالجها.

* * *





المبحث الأول

المولد والنشأة

ولد محمد مصطفى عمارة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة (١٣٥٠هـ) ، الموافق للثامن من ديسمبر (كانون الأول) سنة (١٩٣١م) في قرية «صروة» إحدى قرى مركز «قلين» بمحافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية ، وهو من أسرة ميسورة الحال نسبيّاً ، تحترف الزراعة.

كان والده قد نذر قبل مولده أنّه إذا جاء المولود ذكراً أن يسميه محمداً ، وأن يهبه لدراسة العلوم الدينية بالأزهر الشريف. . فحفظ القرآن وجوَّده في «كُتَّاب» القرية ، ثم تلقى العلوم الدينية الأولية بمدرسة القرية: مرحلة التعليم الإلزامي.

التحق في عام (١٩٤٥م) بمعهد دسوق الديني الابتدائي التابع للجامع الأزهر الشريف ، وحصل منه علىٰ الشهادة الابتدائية عام (١٩٤٩م) ، ثم التحق في العام نفسه بمعهد طنطا الأحمدي الثانوي التابع للأزهر الشريف ، وحصل منه على الشهادة الثانوية الأزهرية عام (١٩٥٤م).

ثم التحق بكلية «دار العلوم» بجامعة القاهرة ، وتخرَّج منها ، حيث حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وأكمل دراساته العليا ، فحصل على الماجستير في العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم ـ تخصص الفلسفة الإسلامية ، بأطروحة عن (المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية) سنة (١٩٧٠م) ، كما حصل على الدكتوراه سنة (١٩٧٥م) بأطروحته عن (الإسلام وفلسفة الحكم).

كما أسهم الدكتور عمارة في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة ، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العربية في الوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجهما ، كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة؛ مثل: (موسوعة السياسة) و(موسوعة الحضارة الإسلامية) و(موسوعة العلوم السياسية) و(موسوعة الشروق).

ونظراً لنشاطه الفكري والثقافي ، نال عمارة عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية ، منها: «المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية» بمصر ، و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بواشنطن ، «ومركز الدراسات الحضارية» بمصر ، «والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» ـ مؤسسة آل البيت بالأردن)[١].

وتقديراً لجهوده في إثراء عالم الفكر حصل محمد عمارة على عدد من الجوائز والأوسمة؛ منها: جائزة جمعية أصدقاء الكتاب بلبنان (١٩٧٢م) ، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر عام (١٩٧٧م) ، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام (١٩٧٦م) ، وجائزة علي وعثمان حافظ للفكر لعام (١٩٩٣م) ، وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن عام (١٩٩٧م).

* * *

تفتّح مواهبه مبكِّراً ، وبدأت تنمو اهتماماته الوطنية والثقافية والإسلامية ، فشارك في العمل الوطني بالخطابة في المساجد والكتابة ـ نثراً وشعراً ـ حول قضية استقلال مصر والقضية الفلسطينية ، ونشر أول مقالاته

---

(١) السيرة الذاتية للدكتور محمد عمارة ، في كتاب محمد عمارة: (الإسلام والأمن الاجتماعي) دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٨م.

في صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان «جهاد» عن فلسطين في أبريل (١٩٤٨م)، كما تطوّع للتدرب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية.

واصل عمارةُ اهتماماته الثقافية والسياسية بكتابة الشعر والمقال في الصحف والمجلات (مصر الفتاة) و(منبر الشرق) و(المصري).

كما واصل الدكتور نشاطه الوطني والثقافي، فشارك في «المقاومة الشعبية» بمنطقة قناة السويس إبّان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة (١٩٥٦م)، كما نشر المقالات في صحيفة (المساء) المصرية، ومجلة (الآداب) اللبنانية، كما ألّف كتابه عن «القومية العربية» وطبع سنة (١٩٥٨م).

وعلى خلفية إحدى مقالاته اعتقل الدكتور عمارة في الفترة من (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤م)، كما عمل عمارة باحثاً بوزارة الثقافة (هيئة التأليف والنشر) سنة (١٩٦٩م)، ثم مستشاراً بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ولكنْ دون الذهابِ إلى الهيئة، فقد كان يراجِعُ الأعمال من المنزل.

* * *

المبحث الثاني

العوامل التي أثرت في تكوينه الفكري

المفكِّر ابنُ عصره ، يتأثّر به وبأحداثه ، ويتعامَلُ معها وبها ، وتنعكِسُ هذه الأحداث على أفكاره وآرائه ، وعلى مجمل مشروعه الفكري ، ومفكرنا الدكتور محمد عمارة ابن عصره ، هذا العصرُ الذي يمرُّ فيه العالم الإسلامي بأقسى أنواع الأزمات التي لم يسبق له المرور بمثلها على طول تاريخه ، وهي أزمات تهدِّد وجوده ومقوماته ، ونؤكد أنها كانت عاملاً فاعلاً في فكر الدكتور محمد عمارة ، فقد استفزت ملكاته ، واستنفرت مشاعره في محاولة لإيجاد آراء وأفكار للخروج من الأزمة ، فنعرِضُ لصورة العصر باختصار حتى نرى أثر هذه العوامل على مفكرنا.

أولاً: العوامل السياسية:

١ ـ الأوضاع العامة:

منذُ بدايات القرن السادس عشر الميلادي = الحادي عشر الهجري ، سيطرت الدولة العثمانية ـ آخرُ خلافةٍ إسلاميةٍ شهدها العالم ـ على العالم الإسلامي ، ولكنِ ابتداءً من القرن الثامن عشر بدأ الضعفُ العثماني ، في الوقت الذي ازدادت فيه الأطماع الأوروبية الغربية في العالم الإسلامي.

تأكد العجز العثماني حينما استولت إنكلترا على مسقط عام (١٨٠٠م) وعلى معظم مشيخات الخليج العربي بين عامي (١٨٠٠ ـ ١٨٨٢م) ، واستولت على مصر (١٨٨٢م) ، واستولت فرنسا على الجزائر عام (١٨٣٠م) ، وعلى تونس (١٨٨١م) ، وظهرت الأطماع الفرنسية في الشام

(١٩١٠م) ، والإيطالية في ليبيا (١٩١٣م) ، والانتداب الإنكليزي على العراق.

ومع بدايات القرن العشرين ظهرت حركات التحرر في العالم الإسلامي ، وقامت الثورات ضد الاحتلال بأنواعه كافة ، وبدأت الشعوب الإسلامية في التحرر من ربقة الاستخراب (الاستعمار) الغربي ، ونالت استقلالها ، بعدما وضعت الدول الغربية بينها من عوامل الخلاف ما تَضْمَنُ به استمرارَ الأزمات والخلافات بين هذه الدول ، كما وضعت الكيان الصهيوني ، وساندته في الاستيلاء على جزء كبير من الحقوق الإسلامية.

٢ ـ الصراع الإسلامي الصهيوني:

ارتبطت القضية الفلسطينية منذ بدايتها بظهور الحركة الصهيونية ، وكان هدفها منذ البداية الاستيلاء على فلسطين ، فهي حسب زعمهم «أرض الميعاد» ، وساندت القوى الغربية الحركة الصهيونية على إقامة دولة لليهود في فلسطين في (١٥ مايو ١٩٤٨م).

دخلت جيوش خمس دول عربية فلسطين لحماية المناطق التي خصصت للدولة العربية حسب قرار الأمم المتحدة المتعلق بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود.. ولكن قامت العصابات الصهيونية أثناء الاشتباكات مع الجيوش العربية ، وأثناء فترات وقف إطلاق النار ، باحتلال أجزاء واسعة من الأراضي العربية ، دون أن تعبأ بمبادئ القانون أو الأخلاق ما دام ذلك يتفق ومخططها التوسعي الاستعماري[1].

مثَّلت هزيمةُ الجيوش العربية أمام إسرائيل صدمة عنيفة للعالم الإسلامي برمّته ، ومثَّلت بداية الوعي عند مفكرنا الدكتور محمد عمارة ، فكان أول

---

(١) الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ص٤٤٧.

مقال له وهو ما زال في المرحلة الابتدائية عن فلسطين ، ونشر في مجلة (مصر الفتاة) ودفعته هذه الهزيمة للاطِّلاع بغرض المعرفة والفهم لما يدور حوله من أحداث ، ومثَّلت قضية فلسطين حجر الزاوية في المشروع الفكري لمفكرنا ، فصدر له عدة كتب عنها وحولها ، وبدأ في تشخيص الواقع المرِّ للعالم الإسلامي والدعوة لتغييره.

تتابعت الاستفزازات الإسرائيلية بتهديد سورية ، ونجحت هذه الاستفزازات في جعل مصر تغلق مضايق تيران ، وتوقف الملاحة في خليج العقبة ، وقامت إسرائيل في (٥ يونيه / حزيران عام ١٩٦٧م) بتوجيه ضربة مفاجئة لكل من مصر وسورية ، ونجحت في الاستيلاء على الجولان وسيناء والضفة الغربية وقطاع غزة[١] ، وكان لهذه الأزمة وقع أليم وقاسٍ في نفوس الأمة الإسلامية ، وسارعت أجهزة الإعلام الرسمية بوصفها بالنكسة ، ولكنها في الحقيقة كانت هزيمة ثقيلة الوطأة.

مثَّلت هزيمة حزيران أزمة عنيفة للشعوب الإسلامية ، ولكنّها كانت أشدَّ وطأة وعنفاً على المثقفين ، الذين راحوا يبحثون عن أسباب الأمراض المختلفة التي يعاني منها العرب خصوصاً والمسلمون عموماً ، فكانت الهزيمةُ هي الصدمةَ التي أيقظت الجميع ، ولا نبالغ لو قلنا: إنَّ مصر بدأت تبحثُ عن نفسها بعد هذه الهزيمة ، فظهرت الاتجاهات المختلفة: القومية المصرية ، والاتجاه الإسلامي ، وأيضاً الاتجاه التبريري الذي يبرر الهزيمة.

كانت الهزيمةُ ثقيلةَ الوطأة على فكر الدكتور محمد عمارة الذي بدأ في البحث عن النماذج الثورية في تاريخنا الإسلامي ، والذي عاد إلى التاريخ لاستقراء أحداثه ، وفهم وقائعه ، وذلك للإجابة على سؤال محدَّد؛ وهو:

---

(١) مفيد عرنوق: أضواء على الصراع العربي الإسرائيلي ، منشورات دار النضال ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص ١٤٥ وما بعدها.

لماذا حدثت الهزيمة؟ فكان أنْ خرجَ لنا بمجموعة من الدراسات التي تصوِّر حجم المؤامرة على العالم الإسلامي ، وحجم التحدِّي المفروض عليه ، وكان من أهمِّ كتبه كتاب: (تفسير التاريخ بمنهج المأزوم العاجز) الذي دعانا للفهم الصحيح لأحداث التاريخ ، وللبعد عن التبرير في تفسير الهزائم ، ودعا إلى محاولة استخلاص القوانين من حركة التاريخ.

٣ ـ التمزق الإسلامي:

يمرُّ العالم الإسلامي بالعديد من الأزمات السياسية التي تقطع أوصاله ، وتدمر مقوماته ووحدته ، فهناك مشكلات الحدود بين العديد من الدول الإسلامية: بين مصر والسودان ، وسورية ولبنان ، واليمن والسعودية ، والعراق والكويت ، والعراق وإيران ، وغيرها من الدول ، هذه المشكلات تدمّر العلاقات العربية ـ العربية ، وتؤدي إلى حروب مثل الحرب العراقية الكويتية ، ومن قبلها الحرب العراقية الإيرانية.

في ظلّ هذه الصراعات والانقسامات ابتعدت أحلامُ الوحدة بأشكالها كافة ، وابتعدت الأحلامُ المشتركة التي يجبُ أن تسودَ ، حتى التنسيق المشترك في القضايا الإسلامية لم يعد له وجودٌ ، ومن ينظر إلى خريطة العالم الإسلامي يرى كمّاً هائلاً من المشكلات لا يخلو منها قطر عربي وعلى رأسها القضية الأساسية: فلسطين.

هذا الواقع المرّ استنفر ملكاتِ المفكرين في محاولة للبحث عن حلول واقعية لهذه المشكلات المستعصية ، وظهرت ثلاثةُ اتجاهاتٍ عند المفكرين المسلمين ، هي:

١ ـ الاتجاه الأول: **الداعي إلى الخلافة الإسلامية** ، والوحدة الاندماجية بين الدول الإسلامية ، وهو اتجاه مغرِقٌ في التفاؤل ، وبعيدٌ عن الواقع.

٢ ـ الاتجاه الثاني: **الداعي للتغريب والانتماء إلى الغرب** ، على أساس

أنّ هذا هو الحل للخروج من الأزمة الراهنة ، فهم يرون أن الإسلام جامد وغير قادر على مواجهة التحدِّيات الحضارية .

٣ـ الاتجاه الثالث: **مدرسة الإحياء الإسلامية** ، التي أسسها الأفغاني ومحمد عبده ، وسار على هذا النهج عددٌ من كبار المفكرين ، **ويقودهم في الوقت الحاضر الدكتور محمد عمارة أبرزُ وجوه هذه الاتجاه.**

هناك عوامل سياسية أخرى لها أثر كبير على فكر الدكتور محمد عمارة يمكن إجمالها في عدة نقاط؛ هي :

أ ـ الحملة الموجهة ضد الإسلام بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١م): فقد ارتفعت الصيحات المعادية للإسلام ، واتهامه بالجمود والتخلُّف والعدوان على حرية الرأي ، ووصفهم للإسلام بالإرهاب .

عمل الدكتور محمد عمارة على توضيح رأي الإسلام في عشرات القضايا؛ مثل: الإسلام والآخَر ، والتعدُّدية ، والغرب والإسلام ، والصحوة الإسلامية في عيون غربية ، وعمل على الخروج منها بنظرية حاكمة في العلاقة بين الإسلام والغرب ، كما عمل على تقديم رؤية الإسلام لحياة الإنسان في قضايا يومية؛ مثل: الإسلام والغناء والموسيقى ، الإسلام وتحرير المرأة ، الإسلام والفنون ، ونجح في تقديم صورةٍ مغايرةٍ لما يعرضه أعداء الإسلام .

ب ـ التمزق الإسلامي الحادث الآن ، وما صاحبه من انهيار في العلاقات الإسلامية الإسلامية: دعا الدكتور محمد عمارة للاجتهاد حول أفكار جديدة للوحدة بين المسلمين قائمة على احترام الخصوصيات ، وهو يحدِّدها في الدوائر الثلاث: الوطنية؛ والقومية ، والإسلامية ، وهي امتداد لاجتهادات مدرسة الإحياء الإسلامية ، وأيضاً يمكننا القولُ: إنّه اجتهاد يناسب الواقع الحديث بكل تطوراته التي نحياها .

ثانياً: العوامل الثقافية:

سادت التيارات اليسارية ـ في مصر خصوصاً ـ في النصف الأول من القرن العشرين ، ونتيجة لأفكارِها البراقة الداعية لمقاومة الاستخراب (الاستعمار) الأوروبي الجاثم على صدور الشعوب المغلوبة ومنها الشعوب الإسلامية ، والداعية أيضاً للعدالة الاجتماعية ، وعدالة توزيع الثروات ، جذبت هذه التياراتُ عدداً كبيراً من المثقفين ومنهم الدكتور محمد عمارة ، الذي انضم إليها ، ولكن سرعان ما زال بريقُها أمامه لتعمّقه الفكري في دراستها ، فخرج مبتعداً عنها ، ولكنّها أفادتْهُ في أمرين؛ هما:

١ـ دراسته واطلاعه على الفكر اليساري عموماً ، ونظرياته المختلفة عمَّقت ثقافته ، مما أعطاه قوةً في رؤية ونقد هذا الفكر على أساس علمي بعيدٍ عن العواطف.

٢ـ جعلته يتجه إلى التراث الإسلامي باحثاً فيه عن العدالة الاجتماعية ، ومحاربة الطبقية والفقر ، كما بحثَ عن الجانب الثوري والعقلاني في الإسلام.

ظهرت عدّةُ تيارات إسلامية بَدْءاً من النصف الأول من القرن العشرين للبحث في مقاومة الغرب سياسيّاً وثقافيّاً ، والنهوض بالمسلمين عن طريق الدعوة لإقامة حكومات إسلامية مستقلة يرتبط بعضها ببعض في شبه اتحاد ، فعمل الدكتور محمد عمارة على البحث في أنماط المشاريع الإسلامية المختلفة بَدْءاً من مدرسة الإحياء الإسلامية ، ومروراً بحسن البنا ، وأبي الأعلى المودودي ، وسيد قطب ، وعبد الرزاق السنهوري ، ومحمد الغزالي ، ويوسف القرضاوي ، وهي محاولةٌ منه للغوص في أعماق الفكر الإسلامي ، وتوضيح رؤية الإسلام لمختلف القضايا.

إضافة لما سبق تسود الواقع الثقافي الإسلامي حالةٌ من التدهور

والانهيار؛ يمكن تلخيص أهم ملامحها في عدة نقاط:

١ـ هناك حالة من الاستقطاب تتعرض لها الثقافة الإسلامية: فيعمل الغرب بكل ما أُوتي من قوةٍ على فرض النموذج الغربي، ونجحَ في ذلك إلى حدٍّ بعيدٍ، فأصبحَ هناك اتجاه تغريبي كبير يدعو للارتماء في أحضان الغرب، لذا وقف الدكتور محمد عمارة ضد هذا الاتجاه مُنَبِّهاً على أخطاره، وداعياً للحفاظ على المقومات الأساسية للفكر الإسلامي، وناقداً بالبينة والدليل آراء هذا التيار.

٢ـ هناك حملات موجَّهة ضد الفكر الإسلامي، وضد الحضارة الإسلامية، يقودها أحياناً الغربُ نفسُه، وأحياناً ينيب عنه بعضَ تلامذته الداعين للتغريب، وتتمُّ هذه الحملات في كل الأحيان بمباركة الغرب، ابتداء من سلمان رشدي وغيره، وكذلك آراء المستشرقين، وهذه الحملات تستنفرُ المفكرين المسلمين للرد عليها.

٣ـ هناك من أبناء المسلمين من فُتنوا بالنظريات الحديثة مثل المادية، فعملوا على تطبيقها على القرآن الكريم وعلى الفكر الإسلامي: وهو ما أدَّى لنتائج بالغة السوء، مثل الدكتور نصر حامد أبو زيد، ورغم ذلك طالب الدكتور محمد عمارة وأمثاله بحرية الرأي، ونقد الرأي بالرأي والفكر، ونقد كتابات أبي زيد بشكل علمي رصين، هادماً إياها من الأساس، بعيداً عن التعصب والتشنج.

٤ ـ هناك حالة من التكفير والتخوين تسودُ الواقع الفكري الإسلامي: وهذا ناتج عن الانغلاق وعدم الحوار، لذا دعا الدكتور محمد عمارة في العديد من كتبه للحوار بين كل الفئات والأطراف المختلفة، وصولاً لحلول لهذه الأزمات الطاحنة.

٥ ـ سيطرة النظرة الأحادية على الكثير من القطاعات الفكرية والأحادية أدت لإنكار الآخرين، وعدم التعامل معهم: وهذه النظريةُ قاتلةٌ

ومميتةٌ ، لذا دعا الدكتور محمد عمارة إلى **التعددية الإسلامية** ، فالإسلام قائم على التعدُّد في كل شيءٍ ، فيما عدا الوحدانية الإلـٰهية ، وهذه التعددية هي التي حافظت على الجماعات العرقية والدينية التي عاشت في كنف الإسلام.

٦ ـ **تقوم جماعات وإرساليات تنصيرية** كثيرة ومتعددة وتابعة لكنائس مختلفة (وهي قد تختلف في كل شيء إلا أمراً واحداً: وهو **العمل التنصيري بين المسلمين**: ونجحت هذه الإرساليات في عملها إلى حد ما) بالعمل على تشويه الإسلام وصورته أمام أبنائه وأمام العالم ، وهؤلاء يقيمون المؤتمرات لوضع الخطط لكيفية العمل التنصيري بأيسر السبل ، مما دفع الدكتور محمد عمارة للتحذير من التنصير بكافة ألوانه.

٧ ـ **الأقليات الدينية التي تعيش في العالم الإسلامي ويعمل الغرب على استخدامها كورقة رابحة للضغط على الحكومات الإسلامية عموماً**: نجد الدكتور محمد عمارة استشرف المستقبل منذ فترة طويلة ، فعمل على تحذير الأقليات من حالة الاستقطاب المدبَّرة لها ، فظهرت كتبُه المناهضة والمحذرة من هذا الاستقطاب ، والموضحة لما أسداه الإسلام لهذه الأقليات من خدمات لم يجدوها في أماكن أخرى.

٨ ـ **يعمل التيار التغريبي على الدعوة للعلمانية وإحلالها محل النموذج الإسلامي في الحكم والسياسة عموماً**: وقف الدكتور محمد عمارة لهذا التيار بالمرصاد ، فهو يناقش ويفنِّد آراءهم بعقلانية شديدة ، ويهدم أطروحاتهم الفكرية بالنقد العقلاني ، موضِّحاً أنَّ العلمانية لا يمكِنُ أن تناسِبَ البيئة الإسلامية لاختلاف المنطلقات الفكرية للاثنين ، فظهرت كتبه عن العلمانية وأزمتها ، في بيئتها الأصلية في الغرب ، كما ناظر عُتَاة العلمانيين في مصر والكويت وغيرهما.

لذا دعا الدكتور محمد عمارة للتعددية في الإطار الإسلامي ، وهي سِمَة

إسلامية أساسية ، لذلك دعا الدكتور محمد عمارة للتعايش في ظل هذا الإطار الإسلامي الجامع للمتفرقات.

٩ ـ في ظل الحالة المأزومة للثقافة الإسلامية **دعا الدكتور محمد عمارة للحوار بين الفرقاء من كافة الاتجاهات المتباينة والمختلفة سواء الإسلامية أو القومية للخروج من النفق المظلم للحالة الإسلامية.**

١٠ ـ في ظل الارتماء في أحضان الغرب ، وسيطرة النموذج الغربي ، عمل الدكتور محمد عمارة على العودة للجذور الإسلامية ، والبحث في التراث الإسلامي عن أصول العقلانية ، والحرية ، والثورية ، والعدالة الاجتماعية ، وغيرها من المفاهيم ، فخرج لنا بكتاب غايةٍ في الروعة والأصالة عن: المصطلحات الإسلامية.

١١ ـ لا ينكر الدكتور محمد عمارة الحضارة الغربية وما وصلت إليه من رقي وتقدم ، ولا يدعو لمعاداتها ، والوقوف ضدها ، بل **يدعو للاستفادة منها في المجالات المادية؛ مثل: الصناعة والتجارة والعلوم ، ولكن مع الاحتفاظ بالأصول والجوانب الأخلاقية الإسلامية ، أي: الجمع بين الأصالة والمعاصرة ،** وهو في المجال نفسه يدعو لتنقية التراث مما لصق به من شوائب.

١٢ ـ ترتفع صيحات بعض المثقفين في الوقت الحاضر مطالبين بتجديد الخطاب الديني الإسلامي ، وهو الطلب نفسه الذي ترفعه الإدارة الأمريكية ، وسيطرت هذه النبرةُ على حيّزٍ من الساحة الثقافية ، فردَّ الدكتور محمد عمارة على أن هذا الطلب لا يقوم على أسس موضوعية ، وإنما على منطق واحد وهو حماية المصالح الأمريكية في المنطقة ، **فيرى الدكتور محمد عمارة أن الدافع الحقيقي وراء هذا الطلب هو نقل الحرب إلى داخل الإسلام لتغيير خطابه الديني ليصبح خطاباً للإسلام الحداثي بالمعنى الغربي للحداثة.**

١٣ـ ارتفعت صيحات مثقفي اليسار مطالبين بالتنوير الإسلامي على خطا التنوير الغربي ، وأصدرت الهيئةُ العامةُ للكتاب في مصر سلسلة كتب التنوير ، وردّ الدكتور محمد عمارة على هذه الصيحة بقوله: **التنوير الإسلامي ، هو الذي يستنير أهله بنور الإسلام ، ونور القرآن ، ونور الرسول** ﷺ ، **ونور الحكمة** ، ويرى في العقل سبيلاً من سبل المعرفة ، يستقل بإدراك أشياء ، ولا يستطيعُ كملكة من ملكات الإنسان المحدودة الطاقات والنسبية الإدراك ـ أن يستقلّ بإدراك كل الأشياء ، ولذلك تتزامل وتتكامل معه سبل وهدايات أخرى: العقل ، والتجربة ، والنقل الذي يأتي بخبر السماء ، والوجدان) أي: إنَّ التجديد الإسلامي جعلها أربع هدايات ، وليست فقط ـ كما في حالها في التنوير الغربي ـ اثنتان: العقل والتجريب[١] .

١٤ ـ ظهر في الساحة الثقافية في العقدين الأخيرين تنامٍ كبير للتيارات الجهادية الإسلامية ، وبعض التيارات الجامدة ، فوقف من التيارات الأولى مناقشاً لآرائهم وأفكارهم ، وموضِّحاً بالدليل والبرهان خطأَ العديدِ من معتقداتهم ، وذلك بالفكر الهادي القائم على الفهم العميق لقضايا الإسلام ، ولكنّهم بادلوه ذلك بتوجيه أقذع أنواع الاتهامات والسباب ـ كما سنوضّحُ فيما يلي من الكتاب .

أما التيارات المتمسكة بالفهم الجامد للنصّ فيطلِقُ عليها في كتاباته: تيار الجمود والتقليد؛ فهو ينقد غلو الإفراط والتفريط ، فغلو الإفراط من وجهة نظره هو من يقف عند ظواهر النصوص والمأثورات ، أما غلوُّ التفريط فهو من ينحاز للعقل وحده دون النصوص والمأثورات .

١٥ ـ يتبنى الدكتور محمد عمارة تيار الوسطية الإسلامية ، الذي تبنته

---

(١) الدكتور محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٩ وما بعدها .

مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامية بقيادة جمال الدين الأفغاني ، ومن بعده تلامذته ، لذلك عمل الدكتور محمد عمارة على تحقيق ونشر تراث هذه المدرسة ابتداء من الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم ، لذلك دعا إلى وسطية الإسلام الجامعة بين الشريعة الإلـٰهية والشورى الإنسانية . . . بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، بين العقل والنقل ، والوجدان والتجربة ، كسبل أربعة للمعرفة والهداية الإنسانية[1] .

ثالثاً: العوامل الدينية:

عاش الدكتور محمد عمارة في الريف المصري حيث الارتباط الطبيعي بالقيم الأخلاقية المحافظة ، بعيداً عن بهرجة الحياة في المدينة ، وحيث التمسك بعدد من المبادئ الأخلاقية ، التي صاحبته من الريف إلى المدينة ، مثل: النظرة للأسرة ووظيفتها ، وزي المرأة ومكانتها في المجتمع ، ولعلّ ما يعبر عن ذلك أصدق تعبير ما ذكره في مقدمة كتابه: (التحرير الإسلامي للمرأة) ففي هذا الكتاب يحكي كيفَ رأىٰ وهو في طنطا أثناء دراسته في الثانوية الأزهرية بالمعهد الأحمدي ـ زعيمة حزب بنت النيل ، وهي أبرز قيادات الحركة النسائية المصرية ، وأنّه فوجئ بلغةِ خطابها والمفاهيم التي تدعو إليها ، ومظهرها المتفرنج «كل ذلك جعلني أنتقل بفكري من ندوة الزعيمة إلى القرية التي ولدت فيها ، وعلى صور وحياة النساء اللاتي عرفتهنَّ ونشأت بينهنّ ، وتربيت في أحضانهنّ»[2] ، فهو هنا متترس حول أفكار وقيم القرية ، رغم أنه كان آنذاك عضواً في الحزب الاشتراكي: مصر الفتاة.

وكذلك كان لحفظه القرآن الكريم في كُتَّاب القرية ، ثم تعليمه الأزهري أثرٌ كبيرٌ في فكره والتزامه الديني والأخلاقي في كل القضايا التي يعرض لها.

---

(١) الدكتور محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ، ص ٢٥.
(٢) الدكتور محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص ٥.

المبحث الثالث

منهجه ومواقفه

أولاً: منهجه:

الدكتور محمد عمارة من أهم المفكِّرين المسلمين الموجودين على الساحة الفكرية في وقتنا الحاضر ، وهو يمتلك مشروعاً فكريّاً لتجديد الفكر الإسلامي بالتزاوج ما بين التراث والواقع ، أو بعبارةٍ أدق: ما بين الأصالة والمعاصرة ، وهو متعدِّدُ ومتنوِّعُ الاهتمامات داخل هذا المشروع ، الذي تفرَّغ له منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً ، وقدَّم للمكتبة ما يزيد على (١٥٠) كتاباً ، وآلاف المقالات والأبحاث.

والدكتور عمارة ليس مجرد كاتب ، وإنما هو صاحب فكر ودَعْوة ، له منهجه المتميز في التأليف ، فهو موسوعي الثقافة ، يعتمد على العقل في نقل وعرض الحقائق ، وهو في ذلك ينطِلقُ من القرآن والسنة ، وثقافته التراثية الغنية ، ومعارفه المتعدِّدة المنابع ، وهو في تعامله مع المصادر التراثية يستوعبها ، ويضفي عليها من أسلوبه الرائق ، ثم يضعها في الكتاب ، فتحمِلُ أسلوبه الخاص به.

ويتمتع الدكتور عمارة بقدرة فائقة على النقد ، وبيان أوجه الخطأ والصواب فيما يعرضه ، موضّحاً البراهين والأدلة التي تبين مصداقية كلامه ، لذلك نجد كتبه مليئة بالمناقشات العلمية عالية المستوى ، وكذلك فهو لا يقبل الأمور إلا بعد إخضاعها للعقل الذي يؤمن به إيماناً عميقاً ، فهو يؤمن أنّ الإسلام دينُ العقل ، لذا خرجت كتبه دفاعاً عن الإسلام الذي آمن به ودافع

عنه ضد خصومه ، مستخدماً العقل في تفنيد حجج الخصوم ، وهو في كلِّ ذلك ينطلِقُ من مشروع فكري واضح المعالم يضعه نُصْب عينيه ، ولذا نكون منصفين لأنفسنا وللحقيقة لو اعترفنا بأن محاولتنا التعرّف على منهج الدكتور عمارة هي محاولة للإلمام بهذا المنهج ، وليس للإحاطة بدقائقه . . لذلك نعرض لبعض الملامح لهذا المنهج :

١ ـ المصادر:

تدل مصادر الدكتور على عمق ثقافته التراثية ، وأيضاً على عمق اطِّلاعه على المؤلفات الحديثة في كافة المجالات ، ممّا أعطاه ثقافةً موسوعيةً رفيعةً جدّاً ، انطلق من خلالها ليحلِّق في آفاق الفكر والإبداع .

فهو ينطلق أساساً من القرآن الكريم ، وكتب التفاسير ، وعلوم الحديث النبوي . . وله في ذلك باعٌ طويلُ جدّاً ، وممّا ساعده على ذلك تعليمُه الأزهري ، وتعليمه في كلية دار العلوم .

فمن خلال مؤلفات الدكتور عمارة يمكننا أن نحصي المئات من كتب التراث ومصادره الأصلية التي اطلع عليها الدكتور عمارة ، وعاد إليها مفسِّراً وشارحاً ومقتبساً منها ، ويلاحظ على هذه المصادر أنَّها مشرقية ومغربية وأندلسية ، فهو على إحاطة تامة بهذه المصادر ، وهذا يفسّر شموليةَ المشروع الفكري للدكتور عمارة .

وأيضاً يعود لكتب التراث بمختلف ألوانها الفكرية مثل : كتب ابن تيمية ، والماوردي ، وابن حزم الظاهري ، والكتب الأصلية (الأمهات) للمذاهب الإسلامية ، وكذلك المعاجم اللغوية بكافة أنواعها .

وهو في اقتباسه من هذه المصادر لا ينقلُ فقط ، بل يستخدم ثقافته وعقله في التحليل ، وهو ما يمكن أن نسمِّيه : **إعادة إنتاج المعرفة مرة أخرى** ، فيضفي ذلك على العلم والثقافة أضواء كاشفة على التراث ، وهو يعمل على

تأصيل المصطلحات الحديثة ، والعودة إلى جذورها التراثية ، مستثمراً معرفته العلمية بالتراث وألوانه.

وعندما يتحدث الدكتور عمارة عن الآخَر يلجأ دائماً إلى مصادر هذا الآخر وإلى مصادر محايدة ، كما يلجأ إلى الأرقام والإحصاءات ، واستخدام الجداول والرسوم البيانيَّة ، وهو من المناهج الجديدة في العلوم الإنسانية ، وهو يعلِّل سبب لجوئه لهذا المنهج بقوله: «لقد تعمدنا في هذه الدراسة أن يكونَ الرجوعُ دائماً إلى المصادر المتخصِّصة والمعتمدة ، والتي كتبها علماء وباحثون مشهود لهم بالأمانة وبالموضوعيَّة ورسوخ القدم في تخصصاتهم ، وتعمّدنا كذلك عندما نكونُ بإزاء قضية خلافية يدور حولها جدل كبير وكثير ، أن تكونَ المصادر التي نحتكم إليها قد كتبها علماء وباحثون غير مسلمين»[1]..

وهذا المنهج يؤدِّي لإقناع الآخر بسهولة ، ولا يلجأ الآخر إلى التشكيك في المؤلفات ومؤلفيها لأنهم منه.. كما أنه يدل على عمق ثقافة المؤلِّف وإحاطته بكتب الآخَر ومصادره.

٢ ـ التاريخ:

يرتبط التاريخ بمنهج الدكتور عمارة أتمَّ ارتباط ، فهو يستخدمه بوعي وذكاء شديدين ، فهو ملمٌّ إلماماً كاملاً بتاريخ الأمة في كافة مراحله بشكل دقيق للغاية ، وهو مدرك لأبعاد التاريخ والعوامل المؤثرة فيه ، وهو على وعي بفلسفة التاريخ ، وهو يستخدِمُ هذه المعرفة بالتاريخ في كتبه ، ويوظِّف ذلك توظيفاً رائعاً ، رابطاً بين الأحداث المختلفة ومفسّراً لها ، وهو على معرفة وعلم بتاريخ الآخَر؛ لذلك يستدعي تلك المعرفة للاحتكام إليها وقتَ

---

(١) الدكتور محمد عمارة: الإسلام والأقليات ، دار الشروق ، القاهرة ، وراجع الجداول في نفس الكتاب ، ص ٣٠ وما بعدها.

الحاجة ، وليقدّمها للآخرين الذين إما أنهم يتناسونها ، أو يفترضون فينا عدم معرفتها ، كالحروب الدينية في الغرب وآثارها المدمِّرة التي لا تعترف بالآخَر إطلاقاً ، وانعكاس ذلك على العلاقة مع المسلمين.

والدكتور عمارة حينما يتحدث عن الأقليات في المجتمع الإسلامي لا يكتفي بالحديث عن الشقِّ النظري المتمثل في موقف القرآن والسنة من الأقليات ، بل يشفع ذلك بنماذج ووقائع من أحداث التاريخ الإسلامي على كافة فتراته ومراحله ، وذلك يؤيد صدقيَّة آرائه ومنطلقاته في هذه الحالات.

والتاريخ عند الدكتور عمارة وسيلة لاستنهاض الأمة ، ومحاولة الوعي به لمعرفة الإيجابيات في شخصية الأمة ، مما يحفِّز للانطلاق نحو البعث الجديد ، وهو يبحث ويحاور ويناقش في أحداث التاريخ لمحاولة وضع اليد على الحقائق ، فهو يقول: «**إنه المنهج الذي يضع يدنا على الحقيقة ، ويعطي عقولنا الفرصة كي نتأمل الإنجازات الحقيقية لهذه الأمة ، حتى تتزود بما هو ضروري لمواصلة الطريق**»[١].

ولكنّ الغريب في موقف الدكتور عمارة من التاريخ هو اتهامه للعصر العثماني بالجمود والتخلُّف والرجعية ، وهو رأي يحتاج للمراجعة في ظل عشرات الكتب والرسائل التي أثبتت عكس ذلك ، وأثبتت أنَّ هذا العصر ظُلِم من جانب أعداء الأمة ، وهو ظُلْم متعمَّدٌ لأسباب لا داعي لذكرها الآن ، لأنها تحتاج إلى الاستفاضة.

ولا يمكن أن نرضى أن ينطلق الدكتور عمارة في هذه النقطة من المنطلق نفسه الذي ينطلق منه أعداء الأمة في موقفهم من الدولة العثمانية ، وهي آخِرُ خلافة إسلامية عظيمة في التاريخ الإسلامي.

---

(١) الدكتور محمد عمارة: عندما أصبحت مصر عربية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٧.

كذلك في كتاب الدكتور عمارة **(الإسلام والسياسة)** ، يتخذ من نصّ المقريزي عن أصل كلمة السياسة في الإسلام ، وأنها مستمدة من كلمة مغولية اسمها ياسة ، وينطلق من ذلك على القول بأن هذا هو بداية الاختراق ، اختراق القانون الوضعي لحاكمية شريعتنا الإسلامية ، ولإسلامية عمراننا ، وهو رأي مبني على مقدِّمات خاطئة ، فجاء خاطئاً في جملته.

٣ ـ مزايا في منهج الدكتور عمارة:

نقطة أخرى في منهج الدكتور عمارة: أنه لا يقبل التعميم ، لأنه غير علمي وغير منطقي ، يتضح ذلك في العشرات من القضايا داخل كتبه ، كما أنّه عندما يقوم بدراسة معينة؛ مثل: موقف ابن تيمية من الغناء ، نجده يعود إلى العصر الذي عاش فيه ابن تيمية ، وانعكاس ذلك على فكره وآرائه ، ويوضح أنواع الغناء الموجودة ، والمقصود منها بتحريم ابن تيمية ، فلا يحرّم الكلَّ لصالح الجزء ، وهذا المنهج العقلي يحتاج لثقافة رفيعة وموسوعية حتى تتضح رؤيته.

وفي الأمر نفسه يقدم الدكتور عمارة الملاحق لكتبه ، وهي غالباً ذات دلالات كثيرة في ازدياد توضيح رؤيته ورسوخها ، وكذلك لعدم التشكيك في آرائه ، ونفي الاتهامات الجاهزة التي ستوجه إليه بأنه اجتزأ النصَّ وغيره ، يعبِّر عن ذلك أحسن تعبير في الملاحق التي وضعها في نهاية كتاب **(الغناء والموسيقى حلالٌ أم حرامٌ)** ، وكذلك في كتابه **(حقوق الإنسان في الإسلام)**.

كما يجيد الدكتور عمارة استخدام الأرقام والمقارنات الدالَّة ، ففي كتابه **(الإسلام وتحرير المرأة)** يقارِنُ بالأرقام والإحصاءات بين ما يحدث للمرأة في الغرب من انتهاكات ، وبين أوضاع المرأة المسلمة ، ليخرجَ بدلالة ذات قيمة عن سوء النموذج العلماني الغربي في موقفه من المرأة ، بعكس النموذج الإسلامي.

والأرقام أيضاً ذات دلالة في كتابه عن الأقباط حينما يوضّح بالأرقام أعداد الأقباط ، وأيضاً نسبة ممتلكاتهم ليدلِّل على أنهم أسعد أقليَّة في العالم.

ونجده في كتابه (**الصحوة الإسلامية في عيون غربية**) يعتمِدُ على منهج التحليل والتركيب؛ لأن ذلك يضع أيدينا على أهم المعالم التي رآها المستشرقون عن الحالة الإسلامية كما رسموها في أحلامهم.

ويلقي الدكتور عمارة نفسه الضوء على منهجه في الحوار والتعامل مع دعاوَى الخصوم بقوله: «**يعلِّمنا القرآن الكريم منهج التعامل مع دعاوى الخصوم... ألاَّ نصادر ما يدَّعون ... وألاَّ نتجاهل الذي يزعمون ... وألاَّ نكتفي بترديد الحق الذي نؤمن به ، وإنما لا بدَّ من محاورتهم ، وتفنيد دعاواهم ، بالمنطق البرهاني والحجج العقلانية ، التي هي بمثابة «العملة الدولية» و«الآليات العامة» المعتمدة في كل الأنساق الفكرية ، ومن قبل كل أصحاب العقول**»[1].

ويؤكد في موضع آخر على قيمة المحاورة فيقول: «**ثم قُمْنا بمحاورة هؤلاء الخصوم ، وتفنيد جميع دعاواهم بالمنطق العقلاني ، الذي يحتكم إليه ويستنجد بآلياته جميع العقلاء ، في كل الديانات والحضارات والقارات والعصور**»[2].

ويتمتع الدكتور عمارة بأمانة علمية كاملة ، فهو يردُّ الاقتباسات إلى الكتب التي رجع إليها ، ويردُّ الآراء لأصحابها ، ويعترِفُ بفضل مَنْ سبقه ، ولا يتردد في اعترافه بالاستفادة من بعض مَنْ درسوا أحد الموضوعات قبله ، ففي مقدمة تحقيقه لكتاب (فصل المقال) لأبي الوليد ابن رشد نجده يعترف بأنه سبق تحقيق الكتاب ونشره قبل ذلك عدة مرات ، ويقول: «خصوصاً أننا

---

(١) الدكتور عمارة: القدس بين اليهودية والإسلام ، نهضة مصر القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧.

قد استفدنا من كثير من الجهود التي بُذلت في بعض هذه الطبعات ، واعتمدنا على بعضها في تحقيق هذا النص»[(١)] .

ثانياً: مواقفه وما أثارته من ردود:

حينما نتحدث عن الدكتور محمد عمارة ومشروعه الفكري يجب أن نتحاور بالدليل والبرهان ، كما يجب أن نقف على الأرضية المشتركة ، مؤمنين بأخلاق الإسلام في الحوار والنقاش العقلاني القائم على الدليل ، لا النقاش العاطفي الساذج القائم على توجيه الاتهامات دون وعي ، فمصلحة الأمة تقتضي الحوار البناء لا الهدَّام ، ولا تقتضي بأي حال توجيه التهم لعلمائنا ومفكِّرينا دون دليل .

فنحن نؤمن أنّ الفكر لا يحاوَرُ إلا بالفكر ، وأنَّ الإسلامَ دينُ العقل والفكر ، والإسلام أمرنا أن نحاوِرَ أهلَ الكتاب بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، فكيف يكونُ الحوارُ بين أتباع الإسلام بعضِهم بعضاً مهما اختلفوا ، ومهما تباعدت وتباينت الآراء والاتجاهات؟ أليس من الأجدر أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة؟! أليس من الأنفع للدين أن نتحاور للوصول إلى أفضل النتائج خدمةً للدين وللأمة التي تعيش أسوأ فترات تاريخها؟! أليس من الأجدر أن نتحاوَرَ للوصول إلى مشروع تجديدي للفكر الإسلامي بدلاً من توجيه الاتهامات الباطلة لبعضنا ، وبدلاً من جعل بأسنا بيننا؟!.

إننا نُقَدِّم في هذه الصفحات القليلة نماذجَ من مواقف الدكتور عمارة ، وما وجه إليه من نقد؛ لنبيِّن زَيْفها ، ليس للدفاع عن الدكتور عمارة ، بل دفاعاً عن مشروع التجديد الإسلامي الذي يتبناه الدكتور عمارة .

---

(١) أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٩م ، ص ١٢ .

١ ـ موقفه من العقلانية:

يؤمن الدكتور عمارة ـ وهو على حقٍّ ـ بأنَّ الإسلامَ يُعْلي من شأن العقل البشري ، وهناك عشرات الآياتِ القرآنية التي تدعو الإنسانَ إلى النظر والتفكر والتدبّر ، وكلّها دعوة للتفكير ضد الجمود، وضد الخرافات والخزعبلات ، وهو ينتمي إلى مدرسة الإحياء الديني الحديثة، التي عملت على التجديد في الفكر الإسلامي ، وإلى التزاوج بين التراث وبين الجديد ، ولكن بعد تنقية هذا التراث.

ويؤمِنَ أصحابُ هذا الاتجاه بدراسة الآراء وأصحابها وِفْق الفترة والظروف التي كانوا يعيشون فيها ، فتغيُّر الظروف والأحوال يغيّر الكثير من هذه الآراء ، فيجب ألا نأخذ الأصول كمسلَّمات ، ولا نأخذ الآراء ونعمِّمها؛ كالموقف من الغناء والموسيقى والفنون الجميلة.

وفي محاولة لإعلاء قيمة العقل والتجديد عمل هذا التيار الذي يقوده في وقتنا الحاضر الدكتور عمارة على بَعْث هذا التراث المستنير والعقلاني والتجديدي في تراثنا الإسلامي قديماً وحديثاً ، ولكنّ هذا الموقف دفع بعض التيارات السلفيَّة لإلقاء التهم الجزافية على الدكتور عمارة وموقفه دون تروٍّ ودون حوار ، الحوار الذي يدعو إليه في كتبه للالتقاء حول وسطية الإسلام ، ولمحاولة الارتقاء والتجديد في الفكر الإسلامي ، وهو أساس المشروع الفكري للدكتور عمارة.

من تلك التهم التي يوجِّهونها إليه: «**غلوُّه في تعظيم العقل البشري القاصر**»: «يبالغ الدكتور عمارة ـ شأنُه شأنُ أسلافه من المعتزلة ـ في تمجيد العقل البشري القاصر ، وإنزاله محلاًّ رفيعاً يجعله حاكماً على النصوص الشرعية لا محكوماً لها ، ممَّا أدَّاه إلى ردِّ كثير من النصوص والأحكام

الشرعية التي لا توافق عقله»[1] . . وجعلوه من المعتزلة ، ومن العاملين على إعادة نشر فكرهم .

ويرى أصحاب هذه التيارات أن الدكتور محمد عمارة يعمل على إحياء تراث المعتزلة لاتفاقه معهم فكريّاً ، خصوصاً في الغلو في تمجيد العقل البشري على حساب نصوص الوحي ، وهم يخطِّئونه أيضاً في إحياء تراث الأفغاني ومحمد عبده ، وهم ـ أي أصحاب هذا التيار ـ يرون أنَّ هذه المدرسة منحرفة عن التيار الإسلامي ، وأنَّها في حقيقتها علمانيةٌ ، وهي سلاحٌ بيد الأعداء لتغريب ومسخ بلاد المسلمين .

وهؤلاء بكلِّ تأكيد لم يقرؤوا عشرات المقالات ومجموعة الكتب التي كتبها الدكتور عمارة عن الإسلام والعلمانية ، ومأزق العلمانية في الغرب والتغريب ، والغزو الثقافي ، وهي كتب خصَّصها للدفاع عن ثوابت الأمة الإسلامية في مواجهة الفكر العلماني الذي قال عنه بعد تقديم عشرات الأدلة والبراهين : إنّه لا يصلحُ للعالم الإسلامي ، وإنّه فكر منحرف . . فكيف إذن يدعو إليه؟! . .

كما أنهم لم يقرؤوا الأعمال الكاملة التي يهاجمونها ، ذلك أن الدكتور عمارة سواء في الدراسات التي سبقت هذه الأعمال ، أو الأعمال نفسها تنطِقُ وبوضوح كامل وبلا مراء أنّها ضد العلمانية ، وضد التغريب ، مع الحفاظ على ثوابت الأمة ومقوِّماتها الحضارية ، وأنّهم حينما قالوا بالتفاعل والأخذ عن الغرب ، حدَّدوا ذلك بمجالات العلوم والتقنية ، وشدَّدوا على الحفاظ على المقومات الحضارية والفكرية الإسلامية ، فعل ذلك الأفغاني الذي هاجم التنوير الوضعي الغربي ، ومحمد عبده الذي وقف بالمرصاد للعلمانية وللتغريب ، وحديثاً فعل ذلك محمد عمارة ، فهو امتدادٌ فكري لهذه المدرسة

---

(١) سليمان بن صالح الخراشي : محمد عمارة في ميزان أهل السنة ، والجماعة دار الجواب ، الرياض ، ١٤١٣هـ ، ص ١٤١

الخلاَّقة والبنَّاءة في الفكر الإسلامي ، بعيداً عن الغلو الذي يدمر صورة المسلمين أمام أنفسهم وأمام العالم.

وهنا نرى الزَّيف في الادِّعاء ، والجمود في الفكر ، والانحراف في المنهج ، وهو ما يدعونا لتوجيه الدعوة لهؤلاء للقراءة بإمعان ، ومن دون آراء مُسْبقة ، وهي نفس الدعوة التي وجهها الدكتور عمارة في عدة كتب للحوار ، سواء بين التيارات الإسلامية المختلفة ، أو بين هذه التيارات وبين التيار القومي ، فعمارة مؤمن بالحوار وسيلةً للوصول إلى نقاط التقاء بين كافة الأطراف ، بُغية إنقاذ هذه الأمة مما يحيق بها من مؤامرات.

٢ـ موقفه من النصارى:

هناك اتهامٌ آخر من أصحاب بعض التيارات السلفيَّة للدكتور عمارة بأنّه لا يرى كفر اليهود والنصارى ، وأنّه يدعو إلى الوطنية التي تجمَعُ بين المسلم والكافر.

ومن الناحية الأخرى هناك عددٌ من المنظمات والجماعات القبطية المصرية بل الكنيسة القبطية نفسها ، يرون أنّ الدكتور عمارة يكفِّر الأقباط ، ويدعو إلى قتلهم ، ورفعوا القضايا وأقاموا الدنيا حول هذا الموضوع.

أليس في ذلك تناقض غريب ، اتهامات متناقضة من جهتين متناقضين ، ونؤكد أنّه لا هؤلاء ولا هؤلاء قرؤوا كتبَ الدكتور عمارة في هذا الموضوع! فهو يؤكد على أنَّ الإسلام يؤمن بالتعدُّدية في كل ما عدا الذات الإلـٰهية ، وأنَّ هذه التعددية تصل إلى اليقين في كلّ الأمور ، وأنّ التعدُّدية الإسلامية هي التي حفظت أصحاب الديانات السماوية في البلاد المفتوحة كمصر مثلاً ، بعكس الغرب وثقافته التي لا تقوم على التعدُّد ، ونتج عن ذلك حروب دينية بشعة ، وقدَّم عشرات النماذج على ذلك.

كما أنَّه قدَّم لرؤية الإسلام لأهل الذِّمة ، الذين يعيشون في المجتمع

الإسلامي ، وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، وقدَّم نماذجَ عملية من واقع المجتمعات الإسلامية ، ومن خلال التاريخ الإسلامي على صدقية ذلك ، وفي الوقت ذاته وجّه التحذيرات للأقباط وللأقليّات عموماً من محاولات الاستقطاب ، حتى لا يكونوا مخلب قط في يد أعداء الأمة تُوجَّه ضدَّ الأمة ، لذلك طالبهم بالانتماء والولاء للأمة التي يعيشون في ظلالها ، مذكِّراً إياهم بما قدَّمه الإسلام لهم من حُسن معاملة في كل المجالات.

وفكرة الوطنية فكرة تجديديّة طالبت بها المدرسة الإحيائية التجديدية ، والدكتور عمارة أحدُ أهم أبنائها المخلصين المعاصرين ، وهي الفكرةُ الملائمةُ لظروف عصرنا ، وهي الأكثر مناسبة لهذا العصر ، ومن هنا أكد الدكتور عمارة على أنَّ إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لاشك فيه.

٣ـ موقفه من القومية العربية:

ومن التهم التي وجهت للدكتور عمارة من هذا التيار دعوته إلى القومية العربية التي تجعله يوالي العربي الكافر على حساب المسلم غير العربي ، ولقد قرأتُ معظم كتب الدكتور عمارة ، وبحثت بين ثناياها عن هذه الفكرة ـ الموالاة ـ فلم أجدها إطلاقاً ، ولم أجد توثيقَ هذه المعلومات في كتب هذا الفريق حتى تسهل علينا العودة إليها ، على كلِّ الأحوال هناك نظرية يؤمن بها الدكتور عمارة هي ما يمكن أن نسمِّيها الدوائر الثلاث: الوطنية ـ والقومية ـ والإسلامية ، ولا يوجدُ أدنى تناقض بين هذه الدوائر الثلاث ، بل التناقض هو عند من لم يفهمها ، ويقدّرها حقَّ قدرها ، لأنّها الأكثرُ مناسبةً للحياة التي نحياها ، والأكثر واقعية أيضاً.

وما يوجهونه أيضاً من نقد ـ وهو الاسم المهذب؛ لأنهم يقولون: انحرافات ـ دعوته إلى الاشتراكية التي «يسمِّيها زوراً بالعدل الاجتماعي» ، وفي الحقيقة مَنْ يقرأ المشروع الفكري للدكتور عمارة بعيداً عن الآراء

المسبقة والتوجهات الإيديولوجية التي توجِّه أصحابها حسب فكر معين ، لو فعل هؤلاء لوجدوا أن الدكتور عمارة ضدَّ الفكر الاشتراكي تماماً ، وهو يوجِّه إليه النقد الذي يقتلعه من جذوره ، فكيف يدعو إليه؟! وحينما يطلب الدكتور عمارة الاهتمام بالأمن الاجتماعي ، والعدل الاجتماعي ، فهو يقصد ما يقول تحديداً ، ولا يختفي تحت الشعارات ، ويستتر باشتراكية وراءها ، فإنّه إنّما يطالب بالنموذج الإسلامي ، لأنّه هو الذي يضمَنُ للأمة النهوض ، كما نهضت به سابقاً ، ولأن العلمانية والاشتراكية غير مناسبتين للبيئة الإسلامية على وجه الإطلاق ، وقدَّم عشرات الأدلة في كتبه على صدقية ما يقول وما يؤمن به في وضوح ودون استتار.

٤ـ موقفه من الشيعة:

ويهاجم هؤلاء أيضاً ما سمَّوه: محاولة الدكتور عمارة التقريب بين أهل السنة والرافضة ، والرد على ذلك يستلزم أمرين؛ هما:

الأمر الأول: أنَّ هذه الدعوة قام بها عدد من كبار العلماء الأزهريين على رأسهم شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله منذ ثلاثينيات القرن العشرين ، وأنشأ مجلَّة لهذا الغرض ، وكان الهدف هو التقريب بين هذه المذاهب ، أو إن شئنا الدقَّة محاولة إيجاد أرضية مشتركة بين أكبر مذهبين إسلاميين ، في محاولة للاتحاد ضدَّ الاستخراب الغربي بشقيه: العسكري الجاثم على أنفاس الأمة آنذاك ، والتغريب الساعي لتأبيد هذا الاستخراب ، فالدعوة للتقارب دون التنازل عن أساسيات اعتقادات أهل السنة.

الأمر الثاني: قام الدكتور عمارة بتوجيه عشرات المقالات التي وجهت كالقنابل ضدَّ محاولات الشيعة التهجّم على أهل السنة وتاريخهم الجهادي ، واعتقاداتهم ومحاولاتهم القول بتشيّع عدد من كبار علماء أهل السنة ، وكذلك بتأكيده على أنَّ الثورة الإيرانية وكذلك مقاومة حزب الله في لبنان لا يعنيان أنَّ الشيعةَ أكثرُ جهاداً وثوريةً من أهل السنة ، فكيف يتنازل مثل هذا

عن سنيته لصالح الشيعة الذين وجَّهوا إليه أقسى أنواع السباب والشتائم ، وكأنَّ قدر الدكتور عمارة الهجوم عليه من كل الأطراف المتناقضة ، وكأنّها لم تتفق إلا على توجيه أقسى أنواع النقد إليه.

٥ـ موقفه من قضايا المرأة:

كذلك نقدوا موقف الدكتور عمارة من المرأة ، وأنه يبيح سفورها وعملها في الفن والسياسة ، ولفهم هذه القضية يجب أن نعودَ لأكثر من كتاب من كتب الدكتور عمارة ، التي أكَّدت على أنَّ الإسلام أعطى المرأة كافَّة حقوقها كإنسان كامل الحقوق في المجتمع الإسلامي ، وردَّ على الشبهات التي أثارها المستشرقون ضد الإسلام من زاوية المرأة ، موضِّحاً الموقف السمح للإسلام الذي كرّم المرأة وأعطاها حقوقها ، كما لم يفعل دين سماوي سابق ، ولا الأديان الوضعية.

وأكد على عمل المرأة وفق المنظومة الإسلامية والشروط التي وضعها الإسلام لهذا العمل ، كما طالبَ بعمل المرأة في الفن حينما خاطب الفنانات التائبات ألاَّ يتركن المجال الفنّي ، وذلك لتأسيس الفنّ الإسلامي الجميل الذي يقدِّم النصحَ والإرشاد في إطار إسلامي ، بعيداً عن الابتذال والتعرِّي الذي نجده الآن في هذا المجال ، فكلامُ الدكتور عمارة واضحٌ تماماً في هذا المجال؛ وهو: «**أننا نريد فنّاً إسلاميّاً ، وتحريراً للمرأة مرجعيته وضوابطه الإسلام ، وليس النموذج الغربي** الذي أراد المرأة سلعة أو إسبرطية مسترجلة ، أو غانية في سوق اللذات والشهوات ، نريد لها النموذج الإسلامي ، الذي يحقِّق تكاملها مع الرجل ، وتميزها عنه في ذات الوقت ، والذي يُراعي ذلك في تقسيم العمل على النحو الذي يحفظ الفطرة الإلـٰهية . . . وندعو المرأة المسلمة إلى أن تستلهم نموذج تحررها وتحريرها من المنابع الإلـٰهية والتطبيقات النبوية ، على عهد صدر

الإسلام»[١] . . فهل هذا الكلام يدعو لتغريب المرأة المسلمة؟! .

وهناك من وجّه اتهاماتٍ له بأنّه يؤيد ولاية المرأة القضاء[٢] ، ويرى الدكتور عمارة أن هذا الأمر ليس فيه إجماع فقهي حتى يكون إلزامٌ للخلف بإجماع السلف ، فهو من قضايا الاجتهاد المعاصر ، وترى بعض الجماعات الجامدة أن ذلك سقطة كبيرة للدكتور عمارة ، ولكن الردَّ ببساطة أنَّ هناك اجتهادات فقهية أباحت ذلك ، وبالفعل ليس هناك إلزام فقهي من السلف في هذه القضية ، وهناك عشرات من العلماء غير الدكتور عمارة اجتهدوا في ذلك وأباحوه ، وبالفعل تولّتِ المرأةُ القضاء في مصر حاليّاً ، فرأيُ الدكتور عمارة هنا ليس سقطة ، بل هو اجتهاد بروح العصر الذي نحياه ، وتجديد للفكر الإسلامي ، عملاً بفقه الواقع ، والبعد عن الانغلاق .

يلاحظ كذلك أنَّ هذا التيار يجتزئ نصوصاً من كتب الدكتور عمارة بعيدة عن سياقها الفكري ليهاجم وينقد من خلالها ، مثل القول بأن الدكتور عمارة يقول بعدم ملاءمة الشريعة الإسلامية لقضايا العصر[٣] ، ومن يطالع بعضاً من كُتبِ الدكتور عمارة يجد زيف هذا الكلام؛ لأن الدكتور عمارة من أهم المدافعين عن الشريعة الإسلامية ، وعن وجوب الانطلاق من الإسلام للعودة لركب الحضارة ، ومن المدافعين عن خصوصية الأمة الإسلامية الحضارية ، ومن المحذِّرين بشدة من التغريب والعلمانية .

---

(١) الدكتور محمد عمارة: هل الإسلام هو الحلّ؟ لماذا وكيف؟ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ١٣٧ وما بعدها. وراجع أيضاً: الدكتور محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

(٢) الدكتور حسين العفاني: عمالقة وأقزام ، دار ماجد عسيري ، جدة ، ٢٠٠٤م: ٢/ ١٨٥ .

(٣) المصدر السابق: ٢/ ١٨٨ .

كما وُجِّه للدكتور عمارة اتهامٌ بمهادنة الكفرة والملاحدة والشيوعيين[1]! وكان هذا الاتهام على خَلْفية رؤية الدكتور عمارة لحكم المحكمة بارتداد الدكتور نصر أبو زيد ، ووجوب التفرقة بينه وبين زوجته ، فرؤية الدكتور عمارة تنطلق من إيمانه بتعدُّدية الإسلام ، لكنّ التعدُّدية التي تتسع لتجمع المسلم والعلماني والشيوعي ، ودعوته للحوار بين الفرقاء بدلاً من إلقاء القذائف والحمم التي لن يستفيد منها إلا أعداء الأمة ، فالحوار يقرِّب المسافات بين مختلف الاتجاهات.

ورأى أنَّ الردَّ على الكفر والبهتان لا يكون إلا بالكلمة ، لا بمصادرة الكتب وإلقاء الاتهامات ، كما أنَّه أكَّد على أنّ المحاكم لا تختصُّ بهذه الرؤى الفكرية ، وأصحاب الاختصاص هم المفكرون الذين يجب أن يوجهوا جهودهم للردِّ والبحث والمناقشة في هذه الأفكار. . هذا هو الموقف الفكري الثابت للدكتور عمارة ، الذي قام بالردِّ على آراء وأفكار الدكتور نصر أبو زيد مفنِّداً إياها بالحجة والبرهان والأدلة العقلية لا بالعواطف وإلقاء التهم جُزافاً ، وأعتقد أنَّ هذا أكثر إفادة للإسلام بما لا يقارن من الردود العاطفية.

إننا لا ندافع عن الدكتور محمد عمارة من فراغ ، «ولكن مما لا شك فيه أننا نقف إزاء تجربة فريدة لأستاذ محقِّق ومؤلِّف من طراز نادر ، استطاع عبر سنوات طويلة من الجهاد والكفاح والمثابرة أن يخرج علينا بنمط مقبول من معظم المهتمين بقضايا الفكر الإسلامي وتطوره ومكانته في الساحة العالمية ، واستشرف المأمول منه ، في وقت استجمع فيه العالَمُ كلَّ قواه ليكون فعلاً قرية صغيرة. . . ، وتماهت الحدودُ إلى درجة لم نعرفها من قبل ، وانتشرت كل الأفكار بمختلف اتجاهاتها وأفكارها»[2].

---

(١) الشيخ يوسف البدري، راجع: صحيفة الأهالي، القاهرة ٢٦/٧/١٩٩٥م.

(٢) راجع: الشيخ عبد المقصود خوجة ، في تكريم الدكتور محمد عمارة في الإثينية ٢٣٣ ، جدة.

هذا هو محمد عمارة الذي نتمنَّى أن نجد أمثاله في وقتنا الحاضر ، والذي يقول عنه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : إنَّ محمد عمارة قلعة من قلاع الإسلام في القاهرة.

هذا عن موقف التيارات السلفيَّة من محمد عمارة والهجوم عليه ، ولم يكونوا هم الوحيدين الذين يهاجمونه ، فهناك تيارات أخرى صبَّت جام غضبها على الدكتور عمارة؛ مثل: الأقباط ، والعلمانيين ، ومن الغريب في الأمر أنّهم يهاجمونه من الوجه المقابل لهجوم التيار السلفي ، على سبيل المثال: السلفيون يهاجمون الدكتور عمارة لأنه يدعو للمواطنة ، والأقباط يهاجمونه بزعم أنه متعصب يهدر دماءهم ، وقس على ذلك الكثير لدرجة أنّه بعد كتابه الأخير: (فتنة التكفير) مُنِع من كتابة مقاله الأسبوعي في جريدة (الأخبار) المصرية ، وشُنَّت عليه حملة شرسة على مواقع (النت) تتهمه بالتعصب ، ووصل الأمر إلى القضاء ، وانبرت صحف مصرية وعالمية للهجوم عليه بضراوة! هذا الأمر يؤكد عدة نقاط يجب أن نمعن النظر فيها:

١ ـ **غياب الحوار كوسيلة بنَّاءة وفعالة للتقريب بين الفرقاء** ، وإحلال الهجوم والقذائف شديدة العيار محله.

٢ ـ **أنَّ الجو الثقافي والفكري في عالمنا العربي مشحون بالقلاقل** ، ولا يقوَى على فتح الحوار الذي طالما نادى به الدكتور عمارة في كتبه.

٣ ـ **أن كلاً من الفريقين اللذين هاجما الدكتور عمارة لم يحاولا قراءة المشروع الفكري للرجل في إطار متكامل** ، بل إنَّ كلاًّ منهما قرأ أجزاء بعيدة عن سياقها ، ومجتزأة من النص ، وهو ما يتناقض مع أبسط قواعد المنهج العلمي في التفكير.

٤ ـ **أنَّ الأمور تعدَّت النقد إلى ما هو أقسى وأفظع منه** ، وهو ما يدلُّنا على التدهور والانهيار اللذين وصلنا إليهما.

لكل ما سبق علينا إذا كنا جادين في التفكير للخروج من النفق المظلم الذي تعيش فيه الأمة حالياً باعتماد الحوار وسيلة وحيدة للتقارب بين ألوان الطَّيْف المختلفة ، وصولاً لصيغة مشتركة حول الأزمات التي تهددنا حاليّاً .

* * *

المبحث الرابع

نماذج من القضايا التي عالجها الدكتور محمد عمارة

الدكتور محمد عمارة غزير الإنتاج في الكتب ، وكذلك في المقالات ، فهو يواكب الأحداث العامة ، ويبدى رأيه فيها ، وهو يدرك مثل جيل الرواد أهمية الصحافة في نشر الوعي والفكر بين الناس ، لذا حاولت أن أعرض ببساطة لرأيه في بعض الأمور من خلال مقالاته ، حتى تكتمل الصورة أمامنا عن المشروع الفكري له؛ فهي مجرد نماذج وليس إحصاءً.

أولاً: الدفاع عن عقلانية اليقظة الإسلامية:

منذ بدايات الشباب الأولى وضع الدكتور محمد عمارة مشروعاً فكريّاً حاول العمل فيه ، والتفرّغ له ، وهو: **إلقاء أضواء جديدة بمنهج جديد على الفكر التراثي الإسلامي** ، بحيث نستطيع أن نكوّن عقليةً علميةً مرتبطة بأصولها الفكرية ، فالقضية المحورية التي نعاني منها الآن في ثقافتنا الإسلامية هي: أنَّ لدينا أناساً متغربين لا يعرفون إلا الغرب ، وآخرين تراثيين لا يعرفون إلا التراث ، فكانت قضية الدكتور عمارة في كتبه ـ التي بلغت مئة وخمسة وثلاثين كتاباً ـ هي تكوين عقلية إسلامية مرتبطة بالجذور ، في الوقت ذاته قادرة على رؤية الإسلام في ضوء الآخر ، وأيضاً رؤية الفكر الآخر في ضوء الإسلام ، لذلك دافع عن التنوع والتعدد داخل الإطار الإسلامي ، وكتب عن المواطنة وحقوق الآخَر في ضوء الإسلام.

وانطلاقاً من مشروعه الفكري دافع الدكتور عمارة عن الجانب العقلاني في الفكر الإسلامي ، وعن الاتجاه العقلاني في اليقظة الإسلامية الحديثة ،

وحاول البحث في جذور هذه النهضة والتأهيل لها ، فهي لم تأتِ من فراغ ، ولا كانت زرعاً شيطانيّاً نبت بمفرده في أرض جرداء ، لذلك دافع عن الاتهامات الموجهة للقائمين بها قديماً وحديثاً.

فقد دافع عن ابن تيمية الفقيه المجدّد ضدّ الذين اتهموه بالجمود ، وبتكفير الناس ، وبأنّه المسؤول عن الإرهاب.

فنفى عن ابن تيمية فكرةَ التكفير مستشهداً بكتابه: (دَرْءُ العقل عن مناقضة النقل) وفيه يرفضُ ابن تيمية تكفيرَ أحدٍ من الذين يشهدون أن لا إلـه إلا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وذلك لأنَّ الكفر حكمٌ شرعي ، لا بد فيه من نص محكم ، أو قياس على النص المحكم ، ولا يجوزُ أن يكون كلأً مباحاً من الاجتهادات العقلية ، فضلاً عن الأهواء.

واعتبر ابنَ تيمية فيلسوفَ السلفية وحكيمَها الذي انتقل بها من الوقوف عند النص وحده ـ وأحياناً ظاهر النص ـ إلى مرحلة فلسفة النصّ وعقلنته ، فابن تيمية جمع إلى الاجتهاد في الدين ، الجهاد ضد الغزاة بالفكر والسيف ، وله من المؤلفات أكثر من أربعة آلاف كراسة غطت مختلف ميادين العلوم؛ مثل: أصول الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والمنطق ، والفلسفة[١].

كما أنّ ابن تيمية أبدعَ في مجال العقل والعقلانية الإسلامية ، ومن الأمثلة على ذلك: المؤاخاة بين الحكمة العقلية وبين الشريعة النقلية ، أي: بين صريح المعقول وصحيح المنقول[٢].

وعندما اشتدت الهجمة على ابن خلدون في الفترة الأخيرة، والتي شككت في علمه ، وأنّه سرق نظرياته من إخوان الصفا[٣] ، نجد الدكتور عمارة ينبري

---

(١) الدكتور محمد عمارة: ابن تيمية والتأويل، المصريون، ١٨/٩/٢٠٠٧م.
(٢) ابن تيمية والتأويل.
(٣) الدكتور محمود إسماعيل: نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من إخوان الصفا، دار إنباء للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص١٣ وما بعدها.

للدفاع عنه معتبراً إيّاه من أعلام علماء الشريعة الإسلامية ، وأنّه أيضاً له إسهاماته التي جعلت منه : «عالماً في العلوم السياسية ، ينافس نجاحُه في هذا المجال نجاحه كرائد لعلم الاجتماع والعمران» ، وناقش الدكتور عمارة رؤية ابن خلدون للنظرية السياسية الإسلامية التي رأى أنها تميِّزُ النظام السياسي الإسلامي عن نظم الاستبداد وعن نظم السياسة العقلية المجردة من الشريعة[1] .

يجعل الدكتور محمد عمارة ابنَ تيمية هو النموذج العقلاني للنهضة الإسلامية ، وكما دافع عنه دافع أيضاً ضد المقولات العلمانية المعادية لرواد النهضة الإسلامية في العصر الحديث ، فوقف مفنّداً لها بالأدلة العقلية ، فعلى سبيل المثال مقولة : إنّ الخط البياني للتجديد والعقلانية في تاريخ اليقظة الإسلامية كان خطّاً هابطاً ، قائلين : إنّ محمد رشيد رضا كان خطوةً إلى الوراء مقارنة بالأفغاني ومحمد عبده ، ثم جاء حسن البنا ، فعاد خطوات إلى الوراء حسب زعمهم في ميدان العقلانية والتجديد .

يرد الدكتور محمد عمارة على تلك المقولة نافياً لها ومدافعاً عن أعلام اليقظة الإسلامية مستدلاً بعدة أدلة؛ منها :

أن مرحلة الأفغاني ومحمد عبده كان التركيز فيها على نقد التخلّف الموروث أكثر من التركيز على نقد التغريب؛ لأن ثقل التخلف الموروث كان أكبر من ثقل التغريب .

وفي عهد حسن البنا كان ثقل التغريب أكبر؛ لأن الاستعمار والتغريب سيطرا على العالم الإسلامي : «حتى أصبح خطراً داخليّاً بعد أن كان واقفاً على الأبواب»[2] .

---

(١) الدكتور محمد عمارة : النظام السياسي الإسلامي ، المنار الجديد ، إبريل ٢٠٠٧م ، العدد (٣٨) .

(٢) راجع الدكتور محمد عمارة : ثوابت الصحوة الإسلامية ، موقع الأستاذ عمرو خالد على النت ، السبت ١ مارس ٢٠٠٨م .

ويدافع الدكتور محمد عمارة عن العقلانية عند حسن البنا الذي ناقش أموراً كثيرة في هذا المجال؛ منها: علاقة العقل بالشرع ، وأيضاً: إنّ البنا قرر كتاب الإمام محمد عبده (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ، وكتابه (رسالة التوحيد)؛ قررهما للتدريس في أسر الإخوان ، وفي هذين الكتابين ديوان العقلانية كما تجلّت عند طلائع مدرسة الإحياء والتجديد[1] .

ودافع أيضاً عن الاتهامات الموجهة إلى عبد الرحمن الكواكبي ، وهو أحد أهم رموز الإصلاح في العصر الحديث ، فقد وجّه إليه بعض الباحثين اتهاماً مؤداه: أنّه علماني يؤيد فصل الدين عن الدولة ، مستدلاً باقتطاع واجتزاء نصوص من كتب الكواكبي ، وقراءتها بعيدة عن سياقها، فأعاد الدكتور محمد عمارة شرحها في سياقها الطبيعي الذي أراده الكواكبي لها ، وبلغت ردوده ربع الكتاب[2] ، وجدير بالذكر أن هناك كتاباً آخر للمؤلف حول شخصية الكواكبي نفسها .

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن الكواكبي في كثير من صفحات آثاره الفكرية يتحدّث عن المنهج الإسلامي في الإصلاح ، وعن نظام الحكم الذي يسميه: الإسلامية ، وبوصفه مصلحاً إسلاميّاً يلتمس أصول الإصلاح وفلسفاته وقوانينه من الإسلام ، ومن التجارب التاريخية للتطبيقات الإسلامية في الاجتماع الإنساني ، لذلك دافع عنه الدكتور محمد عمارة ، وعن وجوب دراسة تراثه ، وأن ذلك ليس ردة إلى الوراء ، وليس ركوناً للقديم ، وبقدر ما هي استعانة بالأصالة التي شهدها تراثنا ، هي حَثٌّ على المضي قدماً نحو المستقبل[3] .

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) راجع الدكتور محمد عمارة: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام ، دارالشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

(٣) الدكتور محمد عمارة: عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد =

هنا رأى الدكتور محمد عمارة أن اليقظة الإسلامية تستمد أصولها الأولى وجذورها العميقة من **الإسلام** ، وهي بذلك تختلف عن التنوير الوضعي العلماني الغربي الذي أثمر الحداثة التي أقامت قطيعة معرفية مع الموروث؛ خصوصاً الموروث الديني ، لذلك علينا الابتعاد عن هذا النموذج ، واللجوء إلى نموذجنا الإسلامي ، «لقد أحلت الحداثة الغربية العقلَ والعلمَ والفلسفةَ محل الله والغيب والدين ، بل وألّهت العقل ، فأعطته مكانة المطلق»[1].

ثانياً: الدفاع عن أهل السنة:

في ظلّ الهجمة الشرسة التي يتعرّض لها الإسلام في الوقت الحاضر ، عمل الدكتور محمد عمارة ـ كواحد من أهم المدافعين عن ثوابت الأمة ـ على الدفاع عن القضايا المثارة ضدها ، ومنها: ما يثيره الشيعة ، وما يطلقه غلاة هذه الطائفة ضد أهل السنة والجماعة.

فقد وجهوا اتهاماً لعدد من رموز الفكر السني بأنهم اعتنقوا المذهب الشيعي ، قالوا ذلك على الشيخ محمد سليم البشري شيخ الأزهر ومفتي المالكية ، وأيضاً على الشيخ محمود شلتوت ، كما وجهوا هذا الاتهام إلى الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني.

يرى الدكتور محمد عمارة أنّ هذا الاتهام من الأوهام الثقيلة ، بل ذروة الأوهام عند الشيعة ، ودافع الدكتور محمد عمارة ضد الاتهام مستدلاً بالعديد من الأدلة؛ مثل: قول الشيخ عبده عن عقيدته هو وعقيدة أستاذه الأفغاني في

= الإسلام ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ص٧ وما بعدها.

(١) الدكتور محمد عمارة: التنوير الوضعي الغربي ، موقع الأستاذ عمرو خالد ، مارس ٢٠٠٨م.

رسالة لأحد أعضاء جمعية العروة الوثقى: «وليعلم سيدي: أننا سنيون أشعريون أو ماتريديون، وأننا في أعمال العبادات دائرون بين المذاهب الأربعة».

كما استخدم الدكتور محمد عمارة دلائل عقلية في الرد؛ كقوله: إنّ معيار اختلاف السنة والشيعة هو رفض الشيعة إقامة الدولة والإمامة على الشورى والاختيار وسلطة الأمة، والادعاء بإقامتها على النص والوصية والتعيين من السماء، بينما نجد **محمد عبده كان من المنادين بالشورى** باعتبارها روح النظام الإسلامي، وعماد تأسيس الدولة الإسلامية، وأنها السبيل لاختيار الخلفاء وولاة الأمر بين المسلمين[1].

كما أنّ **محمد عبده يرفض عصمة الأئمة من أساسها**، وتبعاً لذلك فهو يجعل السلطة في الأمة عن طريق ممثليها، وليس في الأئمة المعصومين كما هي عقيدة الشيعة في الإمامة والسلطة والدولة[2].

وفي معرض ردّ الاتهام عن الأستاذ الإمام محمد عبده يذكر الدكتور محمد عمارة: «أن الشيخ محمد عبده اختلف مع الشيعة في تفسير الكثير من الآيات القرآنية الكريمة؛ مثل: الآية (٦١) من سورة آل عمران، وأنه اتهمهم بالكذب المتعمد، وبترويج هذا الكذب ودسّه في كتب التفسير، وأن الإمام محمد عبده أخذ ينقض بالدراية والفقه الروايات التي وضعها الشيعة في التفسير، فهل يكون بعد ذلك شيعيّاً من ينقد روايات الشيعة؟!»[3].

ويفرّق الدكتور محمد عمارة بوضوح بين التاريخ السني والتاريخ

---

(١) الدكتور محمد عمارة: أكاذيب وأوهام من العيار الثقيل، المصريون، ١٤/ ٥/ ٢٠٠٧م.

(٢) الدكتور محمد عمارة: الإمام محمد عبده والشيعة، المصريون، ١٨/ ٥/ ٢٠٠٧م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

الشيعي ، ويردُّ على اتهامات الشيعة ضد السنة ، ويدافع عن أمجاد أهل السنة ، فيذكر أنّ مِنْ ضمن الأوهام التي بدأت في الانتشار بين الشباب المسلم السني: أنَّ الشيعة ارتبطت تاريخيّاً بالثورة والمقاومة لحكام الجور ، بينما كان أهل السنة جبناء مستسلمين.

ورد الدكتور محمد عمارة على ذلك بأن هذه المقولة يروّجُ لها الخبثاء في صفوف الجهلاء ، وهي واحدة من الأوهام المضادة للحقائق الصلبة ، فقد فتح المسلمون من أهل السُّنّةِ في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون ، وأزالوا القوة العظمى التي قهرت الشرق أكثر من عشرة قرون ، وهؤلاء هم الذين فتحوا ونشروا الإسلام ، وأسسوا القواعد الحضارية الإسلامية التي أنارت العالمين ، بينما الشيعة يلعنونهم ، وحكموا عليهم بالكفر والردة[١].

كما أنه انتشرت دعوة بين الشباب للانضمام للمذهب الشيعي خصوصاً بعد نجاح الثورة الإيرانية ، وبعد نجاح حزب الله في هزيمة إسرائيل عام (٢٠٠٠م) و(٢٠٠٦م) بحجّة أنّ المذهب الشيعي ثوري ومقاوم.

ويرد الدكتور محمد عمارة بذكاء شديد على ذلك مستدلاً بالتاريخ الذي يلجأ إليه لأخذ نماذج منه ، ويرد بأننا نُعْجَبُ **بحلف الفضول** الذي أقيم في الجاهلية لنصرة المظلوم ومقاومة الظلم ، ولكن لا يمكن لعاقل أن يقول بضرورة الإعجاب **بالعقيدة الوثنية** التي كان يعتقد بها أغلبُ الذين عقدوا هذا الحلف[٢].

وهنا يرى الدكتور محمد عمارة أنّه لا يوجدُ ارتباط ضروري ولا علاقة عضوية بين الإعجاب بالثورة والمقاومة وتأييدها ، وبين الإعجاب والتأييد

---

(١) الدكتور محمد عمارة: التاريخ السني والشيعي، المصريون، ٩/ ٤/ ٢٠٠٧م.
(٢) الدكتور محمد عمارة: المقاومة وعقيدة المقاومين، المصريون، ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٧م.

لعقائد ومذاهب الثوار ، ويسوق عشرات الأمثلة من التاريخ الإسلامي والغربي للتدليل على رأيه ، مثل : البطولات الرائعة التي أبداها السوفييت في معركة ستالينجراد ، التي فتحت الطريق أمام انهيار النازية ، دون أن يدفعنا ذلك إلى الإعجاب بالإيديولوجية الشيوعية ، كما فتنت الجماهير بمقاومة غيفارا (١٩٢٨ ـ ١٩٦٧م) لكنها لم تفتن لا بالماركسية ـ اللينينية ، ولا بالماركسية ـ اللينينية ـ الماوية التي حركت هذا البطل ، لذا فمن السذاجة الفكرية الربط بين المقاومة وبين التمذهب بمذاهب المقاومين[1].

وفي مواجهة هذه الاتهامات الشيعية نجد الدكتور محمد عمارة يلجأ لأسلوبين تكتيكيين؛ هما : العودة للتاريخ لاستلهام النماذج البطولية لأهل السنة، والعودة للتاريخ أيضاً لإثبات جبن وخيانة قطاعات من الشيعة في التاريخ .

فيذكر الدكتور محمد عمارة العديد من الأحداث البطولية النضالية التي قام بها أهل السنة والجماعة ، مثل : دورهم في الدفاع عن المشرق الإسلامي ضد القوى الصليبية التي استولت على القدس وفلسطين والشام من الدولة الفاطمية الشيعية ، وقامت الدول السنية ـخصوصاً الزنكية والأيوبية والمملوكية ـ بالدفاع عن الإسلام ، واستعادة تلك البلاد من الصليبيين ، في حين أن الوزير ابن العلقمي (١١٩٧ ـ ١٢٥٨م) ، ونصير الدين الطوسي (١٢٠١ ـ ١٢٧٤م) ، ساعدوا المغول في دخول بغداد والاستيلاء عليها ، وهو يرى أن هذا الموقف تكرر عند الغزو الأمريكي للعراق ، وينتهي إلى القول بأن : «رصيد الجهاد والفداء والاستشهاد الذي حرر الشرق من القهر الاستعماري القديم ، ففتح أبواب هذا الشرق أمام الإسلام إنما يصبُّ في تاريخ أهل السنة والجماعة الذي هو تاريخ جمهور الأمة»[2].

---

(١) الدكتور محمد عمارة: سذاجة فكرية ، المصريون ، ٢/٤/٢٠٠٧م.

(٢) الدكتور محمد عمارة: تاريخ أهل السنة النضالي ، المصريون ، ١٦/٤/٢٠٠٧ م.

في مقابل ما يسميه نضال وبطولة أهل السنة والجماعة نجده يذكر مثالاً آخر عند الشيعة: وهو أن **الدولة الصفوية** الشيعية التي قامت في إيران في بدايات القرن السادس عشر على يد **الشاه إسماعيل الصفوي**، يرى الدكتور محمد عمارة أنّ هذه الدولة كانت عوناً للاستعمار الغربي في إضعاف الدولة العثمانية السنية، والاستيلاء على بلدان العالم الإسلامي ووضعها تحت السطوة الاستعمارية، وأنَّ أهل السنة هم الذين تحملوا عبء الجهاد التحرري من ربقة الاستعمار.

ويسقط الدكتور محمد عمارة على الوقت الحاضر فيذكر: أنَّ قطاعات من الشيعة في العراق يتحالفون مع الاحتلال الأمريكي ضد المقاومة السنية، وأيضاً التشيع الإيراني هو الذي ساعد أمريكا على احتلال أفغانستان[1].

وفي النهاية يخلص الدكتور محمد عمارة إلى أنّ تاريخ الشيعة لم يعرف انخراطهم في الثورات ضد الحكام الظلمة وضد الاحتلال الأجنبي إلا في القرن العشرين، ولقد ظلوا طوال تاريخهم منذ الإمام جعفر الصادق (٨٠ ـ ١٤٨هـ)، يعلّقون الاشتغال بالسياسة، والقيام بالثورة، وبناء الدولة، وتأسيس الحكومة على ظهور الإمام الغائب[2].

ورغم اتفاقنا الفكري مع الدكتور محمد عمارة في ردوده القوية إلا أننا نأخذ عليه بعض الأمور، مثل: اتهامه لابن العلقمي بتسهيل دخول المغول إلى بغداد، وهو اتهام درج عليه المؤرخون منذ مئات السنين، ولكن تصدى بعضُ الباحثين من أهل السنة لدراستها وتفنيدها ونقدها لإثبات الحقيقة التي هي بغية المؤمن، وانتهى إلى زيف الاتهام جملة وتفصيلاً[3].

---

(١) الدكتور محمد عمارة: فرق كبير بين الثرى والثريا، المصريون، ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٧م.

(٢) الدكتور محمد عمارة: ماذا بقي للشيعة بعد جهاد أهل السنة؟!، المصريون، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٧م.

(٣) راجع: الدكتور سعد بن محمد بن حذيفة: سقوط الدولة العباسية، =

كما أنّه ينفي قيام الشيعة بالثورات منذ وفاة الإمام جعفر الصادق ، ولكننا نجد في أحداث التاريخ عدة ثورات قاموا بها في العهد العباسي، حتى قامت عدة دول شيعية؛ مثل: دولة الأدارسة في بلاد المغرب الغربي، والزيدية في اليمن.

وبأسلوب النقاش القائم على الحجة والدليل ينتقد الدكتور محمد عمارة بناء السلطة عند الشيعة على عصمة الأئمة الذين رفعوهم فوق مقام الأنبياء والمرسلين ، وهذا ما أكده الخميني حديثاً في كتابه : (الحكومة الإسلامية) والذي ذكر: أنَّ للإمام مقاماً محموداً ، ودرجةً ساميةً ، وخلافةً تكوينيةً ، لا يبلغه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وهذا ما جعل الدكتور محمد عمارة يساوي بينهم وبين الكاثوليك في نظرتهم للباباوات: «حتى لقد شابهت الشيعة في هذه العقيدة أن تكون كنيسة وكهانة كنسية تحت رايات الإسلام»[1].

وبذلك عمل الخميني على الترسيخ لولاية الفقيه وسلطته التي جعلها شاملة لكل سلطات الإمام ، التي هي سلطات الرسول ، التي هي سلطات الله ، وجعل الفقيه نائب الإمام.

بينما نجد أن السلطة عند أهل السنة مختلفة ، فالإمام محمد عبده يرى أن الرسول ﷺ كان مبلّغاً ومذكّراً ، لا مهيمناً ولا مسيطراً ، ولا يوجد سلطة دينية في الإسلام سوى سلطة الموعظة الحسنة ، وكل سلطة للخليفة أو القائد أو المفتي أو شيخ الإسلام هي سلطة مدنية[2].

ويأتي السؤال الذي يطرحه الدكتور محمد عمارة: **لماذا الخلاف بين أهل السنة والشيعة؟**.

= الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٢.

(١) الدكتور محمد عمارة: السلطة عند السنة والشيعة ، المصريون ، ٤/٦/٢٠٠٧م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ورغم ضخامة السؤال الذي طرحه كانت الإجابة ببساطة: أن أهل السنة والجماعة يحبون آل البيت كما يحبهم الشيعة ، ويحبون الصالحين من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والخلاف مع الشيعة ليس حول حب آل البيت ، ولكن **حول غلو الشيعة في آل البيت ، وحول تكفير الشيعة للصحابة** ، فقد جعلت الشيعة مقام الإمام فوق مقام النبوة ، والشيعة يكفّرون من لا يؤمن بهذا الكلام[1].

ثالثاً: المواطنة:

بقيام الدعوة الإسلامية ، وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، قامت دولة الإسلام ، وفي هذه الدولة كانت أمور الناس وسياستهم راجعة إلى الإسلام وشرعه ، وأعلن رسول الله ﷺ أول دستور إسلامي ، وهو: «وثيقة المدينة» التي أرسى فيها دعائم المجتمع الإسلامي ، وفيها أعلن المساواة بين المسلمين وبين اليهود سكان المدينة ، فقد أصبحوا مواطنين ، لهم كلُّ الحقوق ، وعليهم كلُّ واجبات المواطنة[2].

والإسلامُ هو الذي أنشأ المواطنة ، والشريعة الإسلامية هي التي قرّرت حقوق المواطنة ، وذلك في أول دستور إسلامي في «صحيفة المدينة».. والإسلامُ أعطى المساواة كاملة في حقوق المواطنة بين جميع السكان المسلمين وأهل الكتاب وحتى أصحاب الديانات الوضعية ، مثل: المجوس ، والزرادشتيين ، والوذيين ، ويرى الدكتور محمد عمارة أنّهم نتيجة لإحساسهم بأنفسهم كمواطنين كاملي الحقوق ، فقد شاركوا في صنع الحضارة الإسلامية ، والإسلامُ وضع من القواعد ما يضمنُ القداسةَ لحقوق

---

(١) الدكتور محمد عمارة: إن سعيكم لشتى ، المصريون ، ٢١/٥/٢٠٠٧م.

(٢) الدكتور تاج السر أحمد حران: النظم الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م ، ص ٢٠.

المواطنة ، حتى لا تكون منحةً يسمح بها حكام ويمنعها آخرون[1].

ويعمد الدكتور محمد عمارة للتاريخ الإسلامي، ليستلهم منه ما يؤيد قوله في المواطنة بالدليل العملي الواقعي ، فهو يرى أنّه في العهد الذي كتبه الرسول ﷺ لنصارى نجران عام (١٠هـ)، الذي أكد فيه: أنّ لهم كامل المساواة مع المواطنين المسلمين في حقوق المواطنة وواجباتها ، وأنَّ هذا العهد عامٌ لكلِّ مَنْ يتديّنُ بالنصرانية عبر الزمان والمكان ، وعندما أباح الإسلام زواج المسلم بالكتابية، أسس ذلك على شرط ومبدأ احترام المسلم لعقيدتها الدينية، لأنه يعترف بهذه العقيدة، ومكلّف باحترام حرية الاعتقاد لأصحابها[2].

وقرر الإسلام حقوق المواطنة لغير المسلمين ، فنصّتِ الشريعةُ على: حماية الأنفس والدماء والأموال والأعراض وأماكن العبادة والحريات ، ويرى الدكتور محمد عمارة أنّه في الوقت الذي قررت الشريعة الإسلامية حقوق المواطنة قررت أيضاً واجبات المواطنة ، فنصّت على أنْ يكون الولاء والانتماء للوطن ، وليس للأعداء الذين يتربصون بالوطن وأهله[3].

وبذلك فهو يرى أنَّ الإسلام وشريعته السمحة ـ وليست العلمانية ـ قدما كامل حقوق المواطنة وواجباتها منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، بعكس أوروبة التي لم تعرف المواطنة إلا على أنقاض الدين ، بعد انتصار العلمانية على الكنيسة ، لذلك جاءت مواطنة علمانية.

---

(١) الدكتور محمد عمارة: المواطنة وأهل الديانات الوضعية ، المصريون ، ١٩ / ٣ / ٢٠٠٧ م.

(٢) الدكتور محمد عمارة: المواطنة كما أسسها محمد ﷺ ، المصريون ، ٥/ ٣ / ٢٠٠٧ م.

(٣) الدكتور محمد عمارة: المواطنة والتعددية الدينية ، المصريون ، ١٢/ ٧/ ٢٠٠٧م.

لذلك يرى أنّ الإسلام منذُ مجيئه أحدث ثورة إصلاحية . . في نظر الأديان والنظم السابقة عليه ، فجاء الإسلام فسلك الاختلافات في إطار الوحدة، وجعل التنوّع هو السنة والقاعدة والقانون ، وقرر الإسلام أنَّ الآخَر هو جزء من الذات، وذلك لأول مرة في تاريخ الشرائع والأمم والدول والحضارات(١).

ويرى أنّ المواطنة هي تفاعلٌ بين الإنسان المواطن وبين الوطن الذي ينتمي إليه ، فهي علاقةٌ بين طرفين ، وعليها العديد من الحقوق والواجبات ، وشروط المواطنة: لا بدَّ أن يكون انتماءُ المواطن وولاؤه كاملين للوطن ، يحترم هويته ، ويؤمن به ، وينتمي إليه ، ويدافع عنه ، وهذا الولاء يستلزم البراءَ من أعداء هذا الوطن(٢).

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أنَّ الإسلام أكد الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون في ظل المجتمع الإسلامي ، فالحق في المغايرة قدّسها الإسلام ، عندما نفى وجود الدين والتدين مع وجود الإكراه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولذلك نصّ ميثاقُ الرسول ﷺ لنصارى نجران على أنه: لا يجبَرُ أحدٌ ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]،

---

(١) الدكتور محمد عمارة: الإسلام والأقليات ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص ١٢.

(٢) الدكتور محمد عمارة: مفهوم المواطنة في التشريع الإسلامي ، المصريون ، ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٧م.

ويخفض لهم جناح الرحمة ، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد[1].

وبذلك أثبت الدكتور محمد عمارة أنَّ المواطنة تقليدٌ إسلامي ، وجد مع الإسلام منذ البداية ، لذلك يدافع الدكتور محمد عمارة بقوة ضد تحويل المجتمع إلى طوائف ومذاهب كما تحاول بعض الدول الكبرى أن تفعل الآن في بلدان العالم الإسلامي ، فيرى: «أنّ الوحدة المذهبية لأي مجتمع من المجتمعات هي مصدر هام من مصادر قوة هذا المجتمع ، وتماسك نسيجه الوطني . . تعينه على الصمود في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية ، لذلك فإنَّ خلخلةَ الوحدة المذهبية في المجتمعات يحولها إلى مجتمعات طائفية هشة لا قوام لها على الصمود في وجه الغزاة»[2].

رابعاً: المــرأة:

هناك العشرات من الاتهامات التي تقدّمها المدارس الاستشراقية المتعصبة ضد الإسلام وشريعته ، وفي مقدمة تلك الاتهامات وضع المرأة في الإسلام ، وأنها مجرد متاع للرجل ، وأنَّ الإسلامَ انتقص حقوقها مثل الميراث لدرجة أنَّ البعض طالب بتعديل النصوص القرآنية نفسها لإنصاف المرأة حسب قولهم ، بل إنّ بعض أبناء المسلمين كالدكتور نصر حامد أبو زيد يرى أنَّ الإسلامَ لم يعطِ المرأة حقوقها كاملة في الميراث ، وأنه إذا كان الإسلام قد أعطى المرأة نصف ميراث الرجل منذ أربعةَ عشرَ قرناً من الزمان ، فعلينا الآن أن نساويها بالرجل في الميراث .

لذلك انبرىٰ الدكتور محمد عمارة للدفاع عن أوضاع المرأة في الإسلام

---

(١) الدكتور محمد عمارة: الإسلام والأقليات ، مرجع سابق ، ص ١٦ .
(٢) الدكتور محمد عمارة: هشاشة المجتمع الطائفي ، المصريون ، ٧/ ٥/ ٢٠٠٧ م.

منتقداً الاستشراق ، وفي الوقت نفسه منتقداً النظرة الجامدة لبعض التيارات الإسلامية وموقفها من المرأة ، فدعا إلى أن تكون صورةُ المرأة في صدر الإسلام هي بدايةَ حركة تحرير المرأة في العالم الإسلامي ، فالإسلامُ هو الذي حرر النساء قبل أربعة عشر قرناً ، ونسخ مجتمعاً كانت المرأةُ توءد فيه وتورث وتعامل على أنها من سقط المتاع! والغرب نفسُه لم يتحدّث عن تحرير المرأة إلا في القرن العشرين ، وبالمقارنة بين النموذجين: الإسلامي والغربي ؛ ندرِكُ مكمنَ التحرير الحقيقي للمرأة ، وندرك عظمة الإسلام[١] .

ويطالب الدكتور محمد عمارة بفقه جديد للمرأة قائلاً: «فقهنا القديم ثروةٌ فكريةٌ لا مثيل لها في العالم ، ولكن ليس معنى هذا أنّه كله صالح ، ففيه أفكار هي بنت عصرها ، وليست هي الإسلام ، فقد كانت نظرات الفقهاء في موضوع المرأة بعضها مرتبط بظروف وبنظرات العصر ، وبوضع المرأة في ذلك العصر ، وما نحتاجه الآن هو أن نقدم فقهاً لتحرير المرأة متعلقاً بالمرأة ككيان ومشكلات لا بالشعائر والعبادات فقط، وهذا هو البديل الحضاري»[٢] .

هنا نجد الدكتور محمد عمارة يجعل الإسلام هو المرجعية الأساسية للمرأة المسلمة ، كما يرى أننا في كثير من المجتمعات الإسلامية خلطنا بين العادات والتقاليد وبين الإسلام ، حتى اعتبرنا العديدَ من العادات التي ارتبطت بعصور التخلف من الإسلام وتعاليمه ، وهذا خلطٌ ممجوج يؤدي لسوء صورة المسلمين أمام الآخَر .

وفي **موضوع الميراث** يرى الدكتور محمد عمارة أنَّ المرأةَ ترثُ أكثر أو

---

(١) لقاء مع الدكتور محمد عمارة أجرته نور الهدى سعد ، الشبكة الإسلامية ، ١٩/٣/٢٠٠٣م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

مثل الرجل في ثلاثين حالة ، بينما ترث أقل منه في أربع حالات فقط ، وأنّ الحكمةَ في توزيع الميراث في الإسلام تراعي موقع الجيل الوارث ، فتمنح مَنْ يستقبل الحياة نصيباً أكبر ، كما تراعي درجة القرابة .

وفي موضوع **قوامة الرجل** ذكر الدكتور محمد عمارة أن المقصود بها هو المسؤولية لا الدكتاتورية ، لذا دعا إلى أن تعملَ المرأةُ متعاونة مع الرجل في العمل العام بهدف إصلاح أحوال المجتمعات الإسلامية[١] .

ومن خلال كتابات ومحاورات الدكتور محمد عمارة في موضوع المرأة يتّضحُ لنا النظرة السامية التي أولاها الإسلام للمرأة ، فالإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ، ينعم الرجل بشم رائحتها ، وإنما هي مخلوق عاقل مفكر ، له رأي ، ولرأيها قيمته ووزنه .

ويذكر أنَّ أول جمعية نسائية كانت قد تأسست في عهد النبوة ، فقد كان النساء يجتمعن ويتفقن ، ومن ثَمّ يوفدن مندوبة عنهن؛ هي : أسماء بنت السكن ـ الملقبة بخطيبة النساء ـ إلى الرسول ﷺ الذي كان يُسَرُّ بحسن أدبها في الخطاب ، وكانت تعرِّف بنفسها قائلة : «أنا وافدة النساء إليك» .

هذه هي المرجعية الإسلامية التي يراها الدكتور محمد عمارة في تحرير المرأة ، والخلاف مع العلمانيين حول الأمر نفسه : أنَّ الأخيرين يتبنون النموذج الغربي لتحرير المرأة ، وهو الذي أراد للمرأة أن تكون : «**الند المماثل للرجل** ، بينما النموذج الإسلامي لتحرير المرأة يرى في المرأة : **الشق المكمل للرجل** ، والمساوي له أيضاً ، **فيحتفظ لها بتميزها كأنثى** ، **دون أن ينتقص** من **مساواتها للرجل كإنسان**»[٢] .

---

(١) محاضرة للدكتور محمد عمارة في الملتقى الثقافي النسائي بجدة ، ٢٣/٧/٢٠٠٦هـ .

(٢) الدكتور محمد عمارة : هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٠م ، ص ١٣٧ .

وبرؤية إسلامية واعية وواضحة يعمل الدكتور محمد عمارة على رد الشبهات في موقف الإسلام من المرأة ، ويحصرها في خمس شبهات ، هي :

١ ـ أن ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر.

٢ ـ أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

٣ ـ أن النساء ناقصات عقل ودين.

٤ ـ ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

٥ ـ الرجال قوامون على النساء[١] .

وهو في الردّ يستعين بثقافته التراثية الهائلة بشتى منابعها الشرعية والتاريخية والأدبية ، ويستخدم قدراته العقلية الناقدة الواعية ، وملكاته الفكرية النقدية التحليلية ، فجاء الردُّ على هذه الشبهات واعياً دامغاً لحجج ومبررات المهاجمين.

استمد الدكتور محمد عمارة عشرات الأمثلة لوضع المرأة في الإسلام أثناء عهد النبوة والخلافة الراشدة ، فدافع عن عمل المرأة وذمتها المالية المستقلة ، ودافع عن أهمية مشاركة المرأة في العمل العام ، وأنّ صوت المرأة مباح ، فيقول: قرأنا في السنّة عن خطيبة النساء التي كانت تقف على المنبر لتعظ النساء ، وعن الصحابية التي راجعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يقل لها على شدته: صوتُك عورةٌ.

لذا يدعو إلى فهم القاعدة الفقهية «سد الذرائع» فهماً صحيحاً في ضوء مستجدات العصر ، وهي القاعدة التي يتخذها بعض التيارات الإسلامية قاعدة في التعامل مع حياة المرأة المسلمة[٢] .

---

(١) الدكتور محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٢م ، ص ٦٢ وما بعدها.

(٢) الدكتور محمد عمارة: التحرير الإسلامي للمرأة ، ص ٥٧ وما بعدها.

خامساً: الوحدة الإسلامية:

مع الضعف الذي حل بالعالم الإسلامي؛ بداية بالسيطرة الاستعمارية على بلدانه المختلفة ، التي وصلت إلى قمتها في القرن التاسع عشر الميلادي ، وكانت ذروة التدهور سقوط الخلافة العثمانية ، وهي آخر خلافة إسلامية شهدها العالم ، وبدأ المسلمون في التفكير في الوحدة الإسلامية ، بدأ ذلك السيد جمال الدين الأفغاني في فكرة الجامعة الإسلامية ، وتنوعت المشاريع والأفكار ، وتعددت الرؤى حول هذا الأمر ، الذي بلغ قمته بعد سقوط خلافة آل عثمان (١٩٢٤م) ، فمن محاولات إحياء الخلافة يأتي الدكتور محمد عمارة وهو يحمل مشروعاً فكريّاً متكاملاً للوحدة الإسلامية في إطار الإسلام.

يرى الدكتور محمد عمارة أنّ الإسلام أنجزَ للمؤمنين الوحدة والاتحاد في خمسة جوامع مثلت الإنجازَ الوحدوي ، وهي: **وحدة العقيدة** ، **وحدة الشريعة** ، **وحدة الأمة** ، **وحدة الحضارة** ، **وحدة دار الإسلام** ، وفي كل إطار جامع من هذه الجوامع هناك التنوع والتمايز في فروع التصورات والاجتهادات والمصالح والعادات والتقاليد والأعراف[١].

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على أن الوحدانية هي فقط لله سبحانه وتعالى ، وأنّ التنوع والتعدد والتميز هو سنةٌ إلـهية كونية مطردة في سائر العوالم ، وهذه التعددية في إطار وحدة الأصل الذي خلقه الله تعالى ، وعلاقة الفرقاء المتمايزين والمختلفين والمتعددين يجب أن تظلَّ في إطار الجوامع

---

(١) الدكتور محمد عمارة: جوامع الوحدة الإسلامية ، موقع عمرو خالد.
الدكتور محمد عمارة: التعددية ـ الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية ، نهضة مصر ، ١٩٩٧م ، ص ٦.

الموحدة ، وعند مستوى التوازن والعدل والوسطية[١] .

وهنا نجد أن الشريعة الإسلامية وضعت العديد من القواعد والروابط حتى تتحقق الوسطية سواء في المجتمع الواحد ، أو في العلاقات الدولية بين الدول والمجتمعات ، وهو حفاظ منها على إتاحة الفرص لنمو الخصوصيات الفردية في إطار جامع الأمة والمجتمع والاجتماع .

ويذكر الدكتور محمد عمارة أنَّ هناك ثوابتاً تعتبر بمنزلة روابط جامعة ، فهي أشبه بالمواد اللاصقة التي توحد الأمة ، وهو يقر الاختلاف والتمايز ، ويرى أنّ الجماعات تتغير عبر مسيرتها الحضارية الطويلة ، وتتغير باختلاف أقاليم شعوبها ، وتعدد الألسنة ، ومن ثَمَّ تعدد القوميات ، وتمايز العادات والتقاليد ، وذلك دون أن تفقد هويتها .

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن الإسلام لا يريد صب المجتمع في قالب ، ولا يقسر أقاليم وأوطان العالم الإسلامي على سلطة واحدة مركزية ، وإنما يتيح لتنوع الشعوب والقبائل جامعاً لها في إطار الجوامع الإسلامية الخمسة[٢] .

هنا تتضح رؤية الدكتور محمد عمارة في أن يعمل المسلمون في الأقاليم والدول المختلفة وفق الأطر الجامعة ، وهي الأطر الخمسة : وحدة **العقيدة** ، وحدة **الشريعة** ، وحدة **الأمة** ، وحدة **الحضارة** ، وحدة **دار الإسلام** ، دون الوحدة الاندماجية والخضوع لسلطة مركزية واحدة ، لأن ذلك يتعارض مع عوامل كثيرة داخل واقع المسلمين ، وأيضاً عوائق خارجية ، بل إنه يتناقض مع الطبيعة ، بينما العمل داخل إطار الوحدة بأطرها المذكورة آنفاً يحقق

---

(١) الدكتور محمد عمارة: تنوع في إطار الوحدة الإسلامية ، موقع عمرو خالد .

(٢) الدكتور محمد عمارة: تنوع في إطار الوحدة ، رقم (٣) ، موقع عمرو خالد .

للمسلمين نوعاً راقياً ومفيداً من الوحدة ، ما أحوجنا إليه الآن .

سادساً: بعض من المبادئ التي يدعو إليها:

من خلال مؤلفات وكتابات الدكتور محمد عمارة ولقاءاته يمكننا رصد عدد من المبادئ والأفكار التي يدعو إليها الدكتور محمد عمارة لإصلاح أحوال المسلمين؛ منها:

١ ـ **الإيمان التام بوسطية الإسلام** ، فهي من وجهة نظره زاويةُ الرؤية ، والتي بدونها تفقد المبادئ والأفكار والأشياء حقيقة إسلاميتها .

والجماعة في الرؤية الإسلامية الوسطية ، هي: توازن وعدل يجمع بين الفرد والأسرة والأمة ، على النحو الذي تتفتح فيه طاقات الفرد وملكاته ، لتتحول هذه الطاقات والملكات إلى دعم وتنمية طاقات وملكات المجموع ، فلا تطغى الفرديةُ والأثرةُ على روابط الاجتماع ، ولا تطغى الجماعية على ملكات وطاقات وحريات الأفراد والجماعات الفرعية .

٢ ـ **لا يجوز أن يهمل المسلم ما له من طاقات وملكات وقدرات** ، فيعطلها تحت زعم الجبرية ، أو التواكل ، أو الاستسلام والخضوع لظلم الظالمين وقهر المستبدين ، فهو بذلك يتخلّى عن رسالة وأمانة العمران التي خلقه الله تعالى لها .

٣ ـ **ينادي الدكتور محمد عمارة بوجود العقلية الإسلامية الشاملة** ، ويرى أنّها ضرورة ملحّة لمواجهة التحديات الفكرية التي تواجه الأمةَ الإسلاميةَ في وقتنا الحاضر .

٤ ـ **يدعو إلى جعل الرسول ﷺ القدوةَ التي يجب أن نقتديَ بها ونسير من ورائها** ، لأنه النموذج الأمثل للمسلم ، وسيرته هي الصورة الحية والعملية لكل عقائد الإسلام ومبادئه وأركانه وقيمه وواجباته وسننه ومستحباته ، فإذا أردنا العودة إلى العزة التي كان عليها المسلمون الأوائل ،

وإعادة النموذج الاجتماعي الذي أقامه رسول الله ﷺ وصحابته في صدر الإسلام ، فعلينا بالاقتداء بالرسول الأعظم ﷺ الذي رسم للمسلمين طريق النهوض والتقدم والارتقاء : **تحويل الفكر الصحيح إلى عمل صريح**.

٥ ـ دعا في العديد من كتبه كذلك إلى أن **تتسق أقوال المؤمن مع ما يأتي به من أفعال** ، فمخالفة الفعل للقول ، وتناقض الممارسات مع الأفكار ، هو نوع صريح من الخيانة للمقولات والأفكار ، لذلك علينا أن نحوِّلَ المواعظ إلى سلوك ، والفكر إلى عمل ، والنظريات إلى ممارسات ، لإصلاح أحوال المجتمع المسلم.

* * *




الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

تمهيد: ثبت ببلوغرافي بمؤلفات الدكتور محمد عمارة مرتبة حسب أنواعها.

المبحث الأول: الإسلام وقضايا العصر.

المبحث الثاني: قضايا فكرية معاصرة.

المبحث الثالث: عقلانية الفكر الإسلامي.

المبحث الرابع: استلهام التاريخ.

المبحث الخامس: التراجم.

المبحث السادس: إخراج الأعمال الكاملة لعدد من مفكري الإسلام في العصر الحديث.

المبحث السابع: دراسة وتحقيق لأعمال فكرية وتراثية

* * *



تمهيد

ثبت ببلوغرافي بمؤلفات الدكتور محمد عمارة حسب أنواعها

• أولاً: تأليف:

١ ـ معالم المنهج الإسلامي ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٢ ـ الإسلام والمستقبل ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٣ ـ نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٤ ـ معارك العرب ضد الغزاة ـ دارالرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٥ ـ الغارة الجديدة على الإسلام ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٦ ـ جمال الدين الأفغاني: بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٧ ـ **الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م، وصدر قبل ذلك عن الهيئة العامة للكتاب بمصر عام ١٩٩٢م = ٤٤.**

٨ ـ **الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م = ٢٧.**

٩ ـ التراث والمستقبل ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٠ ـ الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١١ ـ الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٢ ـ الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا : إسلامية الدولة والمدنية والقانون ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

١٣ ـ الإسلام والسياسة : الردّ على شبهات العلمانيين ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٤ ـ الإسلام وفلسفة الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨م.

١٥ ـ معركة الإسلام وأصول الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.

١٦ ـ الإسلام والفنون الجميلة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١م = ١.

١٧ ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨م = ٤.

١٨ ـ الإسلام والثورة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٥.

١٩ ـ الإسلام والعروبة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٣٤.

٢٠ ـ الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ١٣.

٢١ ـ هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟ ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٨.

٢٢ ـ سقوط الغلو العلماني ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٥م = ١٥.

٢٣ ـ الغزو الفكري وهمٌ أم حقيقة؟ ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م = ١٠.

٢٤ ـ الطريق إلى اليقظة الإسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٠م.

٢٥ ـ الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.

٢٦ ـ تيارات الفكر الإسلامي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م = ٣٣.

٢٧ ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م = ٢٥ .

٢٨ ـ عندما أصبحت مصرُ عربيةً إسلاميةً ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م = ٢٩ .

٢٩ ـ العرب والتحدي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١م = ٣١ .

٣٠ ـ مسلمون ثوار ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٣٥ .

٣١ ـ التفسير الماركسي للإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٦م = ٢٨ .

٣٢ ـ الإسلام بين التنوير والتزوير ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٦م = ٧ .

٣٣ ـ التيار القومي الإسلامي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٦م = ٤٦ .

٣٤ ـ الإسلام والأمن الاجتماعي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨م = ٢ .

٣٥ ـ الأصولية بين الغرب والإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨م .

٣٦ ـ الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٤م = ٣٨ .

٣٧ ـ قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٣م = ٣٢ .

٣٨ ـ عمر بن عبد العزيز ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م .

٣٩ ـ جمال الدين الأفغاني: موقظ الشرق ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٣٦ .

٤٠ ـ محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م .

٤١ ـ عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية، ومجدد الإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٣٩ .

٤٢ ـ أبو الأعلى المودودي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٧م = ٤١ .

٤٣ ـ رفاعة الطهطاوي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م .

٤٤ ـ علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م = ٣٧.

٤٥ ـ قاسم أمين ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٤٦ ـ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م = ١٨.

٤٧ ـ القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٤٨ ـ هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار ـ دار الوفاء ـ سنة ٢٠٠٠ م.

٤٩ ـ الصحوة الإسلامية في عيون غربية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م = ١٩.

٥٠ ـ الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م = ١٢.

٥١ ـ أبو حيان التوحيدي ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٥٢ ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٥٣ ـ الانتماء الثقافي ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٥٤ ـ التعددية، الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٧ م = ١٦.

٥٥ ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٥٦ ـ الدكتور يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م = ٤٥.

٥٧ ـ عندما دخلت مصر في دين الله ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م = ٣٠.

٥٨ ـ الحركات الإسلامية: رؤية نقدية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٥٩ ـ المنهج العقلي في الدراسات العربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٠ ـ النموذج الثقافي ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦١ ـ الثوابت والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٢ ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٣ ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م = ٥٥.

٦٤ ـ التقدم والإصلاح: بالتنوير الغربي؟ أم بالتجديد الإسلامي؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٥ ـ الحملة الفرنسية في الميزان ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٦ ـ الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟ ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٦٧ ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٨م = ٢١.

٦٨ ـ القدس بين اليهودية والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م = ٢٢.

٦٩ ـ الأقليات الدينية والقومية: تنوُّعٌ ووحدة، أم تفتيت واختراق؟ ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٧٠ ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

٧١ ـ خطر العولمة على الهوية الثقافية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

٧٢ ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

٧٣ ـ بين الغزالي وابن رشد ـ تحت الطبع.

٧٤ ـ الدين والدولة والمدنية عند السنهوري باشا ـ الشروق الدولية ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٣م = ٤٣.

٧٥ ـ هل المسلمون أمة واحدة؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٦ ـ الغناء والموسيقى: حلال أم حرام؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٧ ـ تحليل الواقع بمناهج العاهات المزمنة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م = ١٧.

٧٨ ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٧٩ ـ من القومية أولاً إلى الإسلام ـ تحت الطبع.

٨٠ ـ التحرير الإسلامي للمرأة ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م = ٦.

٨١ ـ الظاهرة الإسلامية ـ المختار الإسلامي ـ سنة ١٩٩٨م.

٨٢ ـ الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية ـ نهضة مصر ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

٨٣ ـ الحوار فريضة إسلامية ـ تحت الطبع.

٨٤ ـ إسلاميات السنهوري باشا ـ تحت الطبع.

٨٥ ـ منار الإحياء والتجديد ـ تحت الطبع.

٨٦ ـ النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ـ دار الفكر ـ دمشق سنة ١٩٩٨م.

٨٧ ـ أزمة الفكر الإسلامي الحديث ـ دار الفكر ـ دمشق سنة ١٩٩٨م.

٨٨ ـ المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٨٣م = ٢٦.

٨٩ ـ العطاء الحضاري للإسلام ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٨م.

٩٠ ـ إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٩م.

٩١ ـ ثورة الزنج ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٠م.

٩٢ ـ دراسات في الوعي بالتاريخ ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

٩٣ ـ الإسلام والوحدة القومية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩م.

٩٤ ـ الإسلام والسلطة الدينية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ سنة ١٩٨٠م.

٩٥ ـ الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار ثابت ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م.

٩٦ ـ فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين ـ دار الوفاء ـ القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٩٧ ـ سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٥م.

٩٨ ـ العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

٩٩ ـ عالمنا: حضارة أم حضارات؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠٠ ـ الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠١ ـ العلمانية بين الغرب والإسلام ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٦م.

١٠٢ ـ محمد عبده: سيرته وأعماله ـ دار القدس ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٨م.

١٠٣ ـ نظرية جديدة إلى التراث ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ سنة ١٩٨٨م.

١٠٤ ـ القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب ـ دار الفكر ـ القاهرة سنة ١٩٥٨م.

١٠٥ ـ الفكر القائد للثورة الإيرانية ـ دار ثابت ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م.

١٠٦ ـ ظاهرة القومية في الحضارة العربية ـ الكويت سنة ١٩٨٣م.

١٠٧ ـ الإسلام وضرورة التغيير ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠٨ ـ رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة ـ حوار ـ دار الكتاب الحديث ـ بيروت سنة ١٩٨٩م.

١٠٩ ـ نظرية الخلافة الإسلامية ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١١٠ ـ العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٨٧م.

١١١ ـ الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٧٨م.

١١٢ ـ إسرائيل هل هي سامية؟ ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة سنة ١٩٦٨م.

١١٣ ـ الإسلام وأصول الحكم: دراسات ووثائق ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٨٥م.

١١٤ ـ الدين والدولة ـ الهيئة العامة للكتاب ـ سنة ١٩٩٧م.

١١٥ ـ الاستقلال الحضاري ـ الهيئة العامة للكتاب ـ سنة ١٩٩٣م.

١١٦ ـ الإسلام وقضايا العصر ـ دار الوحدة ـ بيروت سنة ١٩٨٤م.

١١٧ ـ الإسلام والحرب الدينية ـ دار الوحدة ـ بيروت سنة ١٩٨٢م.

١١٨ ـ الإسلام والعروبة والعلمانية ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨١م.

١١٩ ـ الفريضة الغائبة: عرضٌ وحوار وتقييم ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٣م.

١٢٠ ـ التراث في ضوء العقل ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢١ ـ فجر اليقظة القومية ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٢ ـ العروبة في العصر الحديث ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٣ ـ الأمة العربية وقضية الوحدة ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٤ ـ أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

١٢٥ ـ في المسألة القبطية: حقائق وأوهام ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠١م = ٢٣.

١٢٦ ـ الإسلام والآخَر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠١م.

١٢٧ ـ شبهات وإجابات حول القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠١م.

١٢٨ ـ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠١م = ٤٢.

١٢٩ ـ الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م = ١١.

١٣٠ ـ الإسلام والأقليات: الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ٢٠٠٣م = ٣.

١٣١ ـ استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ـ مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطة ١٩٩٢م = ٩.

١٣٢ ـ السلفية ـ مكتبة المعارف ـ سوسة تونس = ٢٠.

١٣٣ ـ فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ٢٠٠٦م = ٢٤.

١٣٤ ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبة ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٩٩م = ١٥.

١٣٥ ـ حسن البنا = ٤٠.

• ثانياً: دراسة وتحقيق:

١٣٦ ـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣م = ٤٧ .

١٣٧ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩م = ٤٨ .

١٣٨ ـ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٩٣م = ٤٩ .

١٣٩ ـ الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٥م = ٥٠ .

١٤٠ ـ الأعمال الكاملة لقاسم أمين ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٩م = ٥١ .

١٤١ ـ رسائل العدل والتوحيد ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٧م.

١٤٢ ـ كتاب الأموال ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٩م.

١٤٣ ـ رسالة التوحيد ـ للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة سنة ١٩٨٩م.

١٤٤ ـ الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٤٥ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ لابن رشد ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٩م = ٥٣ .

١٤٦ ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ ـ لمحمد مختار باشا المصري ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٤٧ ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ للشيخ محمد الخضر حسين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م = ٥٢.

١٤٨ ـ السنة والبدعة ـ للشيخ محمد الخضر حسين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

• ثالثاً: مناظرات:

١٤٩ ـ أزمة العقل العربي ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٩٩٣م.

١٥٠ ـ المواجهة بين الإسلام والعلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

١٥١ ـ تهافت العلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

• رابعاً: بالاشتراك مع آخرين:

١٥٢ ـ الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية ـ الكويت سنة ١٩٨٩م.

١٥٣ ـ القرآن ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٥٤ ـ محمد ﷺ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٢م.

١٥٥ ـ عمر بن الخطاب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٥٦ ـ علي بن أبي طالب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٤م.

* * *

المبحث الأول

الإسلام وقضايا العصر

في عصرنا الحالي يُتَّهم الإسلام بالانغلاق والإرهاب ومعاداة الأقليات ، وأنّه يقف ضد الفنون الجميلة والغناء والموسيقى ، وأنّه ظلم المرأة وسلبها حقوقها ، وجعلها مجردَ متاعٍ للرجل ، في ظل هذه الاتهامات التي تكيل للإسلام التهم ، ما كان للدكتور عمارة أن يترك المجال خالياً لترديد هذه الأقاويل العدائية دون الرد عليها بالأسلوب العقلي التحليلي ، مستخدماً قدراته الفكرية ليبين للناس جميعاً موقف الإسلام من هذه القضايا ، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ الإسلام هنا وقع بين الرؤية الجامدة لبعض أبنائه المسلمين ، وتوجيه الشكوك فيه من أعدائه المتعصبين.

١ ـ الإسلام والفنون الجميلة[١]:

يلتقي الدين الإسلامي في حقيقته بالفنّ ، فكلاهما انطلاقٌ من عالم الضرورة ، **والفنُّ الإسلامي: هو التعبيرُ الجميلُ عن حقائق الوجود** ، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود.

وفي هذا الكتاب عمل الدكتور محمد عمارة على أن يبيِّن رأي الإسلام في الفنون ، سواء الفنون السمعية؛ مثل: الغناء والموسيقىٰ ، أو الفنون التشكيلية؛ مثل: الرسم والنحت والتصوير ، وهو يعترف بوجود جدل قديم جديد بين الذين يقولون بإباحة هذه الفنون وحلّها ، وبين الذين يكرهونها ،

---

(١) طبع هذا الكتاب في دار الشروق بالقاهرة عام ١٩٩١م = ١٤١١هـ، وعدد صفحاته ٢٩٧ صفحة.

والذين يصعدون هذه الكراهة لدرجة التحريم.

وهو يدعونا للعودة في هذه القضية إلى القرآن الكريم، والبيان النبوي وهو السنة النبوية، التي كانت تجربة حياتية معاشة في صدر الإسلام، وهذه المصادر تمثّل الأصول الثابتة للفكر الإسلامي الصحيح، كما علينا العودة للاسترشاد بالثوابت التي جاءت في فكر الأئمة المجتهدين لا المقلدين.

فالجمال الذي يظنُّ بعضُ الناس مخاصمة الإسلام له، لو تأملناه بعقلانية لوجدناه بعضاً من آيات الله في الكون، «فهو بعضٌ من صنع الله، سوّاه وسخّره للإنسان طالباً منه أن ينظُرَ فيه، ويستمتع به، ويستجلي أسراره، فالجمالُ والزينةُ منفعةٌ محققة خلقها اللهُ للإنسان، وهي تدلُّ على كمال قدرته سبحانه وتعالى، وتعطيلُ النظر فيها باصطناع الخصومة بين الإسلام وبين جماليات الحياة ما هي إلا تعطيلٌ للدليل على وجود الصانع المبدع لهذه الآيات»[1].

وناقش الدكتور محمد عمارة الأدلة التي يستخدمها المعارضون لهذه الفنون، وهي حسب قوله: تنطوي تحت أحدَ عشر مأثوراً من الأحاديث تفيدُ منع الغناء، والنهيَ عنه، وتتوعّد المغنين والسامعين، كما يستدلّون ببعض الوقائع التي حدثت في عصر النبوة، وأيضاً تفسير عدد من المفسرين لكلمة (اللهو) بأنَّ المقصود بها الغناء، فنجدُ المؤلفَ ناقش هذه الآراء بالأدلة النقلية والسنة العملية، واستخدم الأدلة العقلية أيضاً، وناقش آراء الأئمة المجتهدين كابن حزم، الذي تتبع أحاديث المنع، وقال: إنها معلولة، واتفق معه كثيرون من العلماء البارزين في نقد رواتها؛ مثل: الذهبي وابن حجر.

ونفسُ الأمر في الأحاديث التي وردت في تحريم آلات الموسيقىٰ

---

(١) راجع: الدكتور محمد عمارة: الإسلام والفنون الجميلة، ص ١٩.

والعزف ، فإنّها أحاديث معلولة بمقاييس علم الجرح والتعديل ، وأوردَ نماذجَ عديدة منها.

وناقش آراء ابن تيمية في هذا الموضوع ، وأوضح أنّه في عصره كان يواجِهُ واقعاً فكريّاً صعباً ، والإسلام كان يواجه تراجعاً حضاريّاً آنذاك ، كما علينا أن نميّز بين أنواع الغناء التي ظهرت في عصره ، فما قصده ابن تيمية بالتحريم هو الغناء الماجن الفاحش ، وقد أحل السماع الحلال البعيد عن المجون والفسق.

وفي نهاية بحثه ونقاشه نجد أنّه يذكر أنَّ القضية فعلاً محسومةٌ في الكتاب والسنة ، واجتهادات المجتهدين من فقهاء المسلمين ، وأنَّ الخلاف بين الإسلام وهذه الفنون خلافٌ موهومٌ لا يقومُ على أساس ولا دراسة ، وأنَّ أصحاب هذه الخصومة لم يرجعوا إلا إلى فقهاء التقليد في فترات الجمود.

وممّا يدلُّ على المنهجية العالية أنَّ المؤلف أوردَ في نهاية الكتاب عِدَّةَ ملاحق عبارة عن نصوص فتاوى ابن تيمية في هذا الموضوع ، وأيضاً نصوص لابن حزم الأندلسي ، وللغزالي في الموضوع نفسه ، وهي حججٌ دامغة حتى يوضّحَ النصُّ نفسَ الرأي الذي يتبناه المؤلف ، ولا يتهم باجتزاء النص.

ويلاحظ في منهج الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب أنّه يربط بين رأي الفقهاء والواقع المعاش في عصرهم ، وأثره على أقوالهم ، كما في حالة ابن تيمية ، كما أنّه يوضح ويميّزُ بين أنواع السماع والفنون والغناء ، فالغناء ليس كله نوعاً واحداً ، وهذا الرأي امتداد لمدرسة الإحياء الديني الإسلامي التي تزعّمها الشيخ محمد عبده في العصر الحديث ، والتي أوضحت أنَّ الإسلامَ أحلَّ هذه الفنون.

٢ ـ الإسلام والأمن الاجتماعي[1]:

دعت ظروفُ العصر الذي نحياه الآن إلى عودة الطبقية الشديدة البغيضة ، فأصبح هناك سكّان المقابر ، وهناك سكّان الشقق الفاخرة ، والقصور الفارهة ، وعلى المستوى العالمي أصبح عشرون في المئة من سكان الغرب يملكون ثمانين في المئة من ثروات الشعوب ، ممّا هدّد الأمن الاجتماعي داخل المجتمعات ، والمجتمعات العربية هي الأخرى أصبحت تعاني من الطبقية البغيضة بشكل يهدد بالانفجار.

دفع ذلك الدكتور محمد عمارة للصرخة والتحذير من هذا الوضع الذي يؤدي إلى الإخلال بالأمن والسلام الاجتماعي في المجتمع ، وعلى مستوى العلاقات بين الدول ، وهو ما بدأ يحدث بالفعل في الوقت الحاضر.

وهو يبدأُ بتعريف **الأمن الاجتماعي** بأنّه **الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان**؛ فرداً كان أو جماعة في سائر ميادين العمران الدنيوي ، بل أيضاً في الآخرة ، والأمن لا بدّ أن يكون اجتماعيّاً ، ولا قيمة له إذا لم تعمَّ ثمراته وآثاره دنيا الأفراد ، وبالرغم من وجود العديد من الحركات الإصلاحية التي تنادي بهذا الاتجاه في الوقت الحاضر ، فإنَّ التراث الإسلامي سبق الجميع إلى ذلك ، واستخدم الأئمةُ والمصلحون المسلمون مصطلحَ الأمن المطلق والأمن العام ويراد بهما الأمن الاجتماعي ، وهي محاولة ذكية وجيدة لتأصيل المفاهيم الإسلامية ، وردها لجذورها الأولى.

وبناءً على القاعدة الشرعية التي تقول: **(إن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب)** جعلت الرؤية الإسلامية إقامةَ مقوّمات الأمن الاجتماعي الأساس الذي يقوم عليه الدين ، وبذلك أصبحت هذه المقومات واجباً

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٨م، وعدد صفحاته ١٣٨ صفحة.

دينيّاً ، وفريضة شرعية ، وضرورة لا قيام للدين إلا بتحقيقها[1].

ناقش الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب مصادر الخوف وسبل الأمن في مجتمعنا المعاصر ، وبيّن موقفَ الإسلام منها ، وهي محاولة موفقة منه لبيان موقف الإسلام من القلق الذي يعيشه الإنسان في وقتنا الحاضر.

فمن القضايا التي ناقشها: **الأمن الاجتماعي على المعاش الإنساني** ، فدعا لفهم نظرية الاستخلاف في الأمن ، لأنها تبين موقف الإسلام من علاقة الإنسان بالثروات والأموال ، وحقوقه في الخيرات والكنوز التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

فتوزيع الثروات والأموال يجب أن يراعى فيه أولاً وقبل كل شيء كفاية الحاجات لمجموع الأمة ، وبعد ذلك يكون التفاوت في الحيازات حتى لا يزدادَ غنى الأغنياء ، وفقرَ الفقراء ، وكما يكون الكنز المحرم والمنهي عنه بحبس المال واحتجازه عن سائر وجوه الإنفاق والاستثمار ، فإنه يكون محرماً ومنهيّاً عنه إذا كان إنفاقه في غير سبيل الله ومصالح الأمة ، فاستثمار العفو الزائد عن كفاية الحاجات لا بدّ أن يكون في سبيل الله ، أي في عمران الأمة القائمة في سبيل الله[2].

وفي الكتاب نقاشٌ جادٌّ حول **التكافل الاجتماعي في الإسلام ، وتحريم الاستغلال الربوي** ، وناقش مقولة أنَّ الترف هو بداية التراجع للخط البياني للعمران الحضاري ، لأنَّ ترفَ المال تنفرد به القلة الغنية التي تستبد بالسلطة ، بينما تقع الفاقةُ على جماهير الفقراء المحرومين الذين يقع عليهم الطغيان ، وهو ما يؤدي للجور ، ويعتبر بذلك خروجاً عن العدل الذي هو روح الإسلام.

---

(١) الإسلام والأمن الاجتماعي ، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠.

ويستخدم الدكتور محمد عمارة الأرقام ليوضّح الفجوة الكبيرة بين أفراد الأمة ، كما يعقد بالأرقام مقارنات مع الصينيين وهم الأحدث في مجال النهضة ليوضِّحَ الفارق الكبير بيننا وبينهم ، فهم في تقدم ونحن في تراجع مطرد.

وضمن قواعد الأمن الاجتماعي ناقش موقفَ الإسلام من الحرية ومن المساواة والمشاركة في العمل العام ، بما يكفل قيام مجتمع آمن ، ويرى أن تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان لا يمكن أن يكتملَ إلا إذا تحقّق لهذا الإنسان الأمنُ الاجتماعي على الكفاية من حاجات المعاش.

٣ ـ الإسلام والأقليات: الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل[(١)]:

الأقليات غير الإسلامية كانت دائماً الورقةَ التي استخدمتها القوى الغربية للضغط على الدول الإسلامية ابتداء من ضعف الدولة العثمانية حتى الوقت الحاضر ، ففرنسا كانت تعلل تدخلها بحماية الكاثوليك ، وروسيا تبرر تدخلها بحماية الأرثوذكس ، وأمريكا الآن تبرر تدخلها بالحفاظ على الأقليات ، وهناك هجوم شرس على الإسلام وموقفه من الأقليات ، وهو هجوم متعصّبٌ جاهل بموقف الإسلام من الأقليات ، وهو أيضاً جاهل بحقائق التاريخ.

وفي هذا الكتاب يناقش الدكتور محمد عمارة هذه القضية بادئاً بالهجوم على المصطلح نفسه ، الذي يرى أنّه مصطلح غربي وافدٌ يحمل في داخله ظلال العنصرية ، وأنّ التراث الإسلامي الحضاري والتاريخي واللغوي لم يعرف هذا المصطلح «الأقلية» بهذا المفهوم الوافد ، وإنما عرفه بمعناه اللغوي: «أي الأقلية العددية».

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، عام ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م ، في ٧١ صفحة.

وناقش عدة قضايا: منها: **الموقف الإسلامي من الأقليات** ، وهو هنا يستخدم منهج المقارنة ، فيبين موقف الحضارات القديمة من الأقليات التي كانت تعيش داخل مجتمعاتها؛ مثل: الرومان واليونان ، ثم يوضّحُ موقف الإسلام الذي احترم التعددية ، فأعطى لأهل الذمة الحقوق الكاملة للمواطنة ، وهو هنا لا يكتفي بالشرح النظري للقواعد التي جاء بها الإسلام ، بل يأتي بالنماذج التي طبقت في الواقع المعاش والعملي في الدول الإسلامية ، فيأتي بالنظرية والتطبيق.

وناقش قضيةً غايةً في الأهمية والخطورة؛ وهي **اعتراف الإسلام بالآخَر الديني** ، وبحق هذا الآخر في المغايرة الدينية ، وهو ما تميّزَ به الإسلام عن كل الآخرين ، ولهذا السبب جازَ زواجُ المسلم من الأخرى «الكتابية» لأنه يعترف بدينها[1].

ولا ننكر وجودَ بعض التوترات الطائفية التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في تاريخها ، وألحقت قدراً من الضيق والأذى بالأقليات[2] ، ويتخذها أعداءُ الإسلام فرصةً لإلصاق التهم بالإسلام وموقفه من الأقليات ، ويرى الدكتور محمد عمارة أن هذه التوترات كانت أغلب أسبابها وافدةً على الموقف الإسلامي الثابت ، فهي تُـرَدُّ لأسباب محلية ، ولا تعود لمبادئ التعصب وعدم التسامح.

وهو يناقشها في ظلّ العصر الذي حدثت فيه ، ويوضّحُ عواملها ،

---

(١) الإسلام والأقليات؛ الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل ، ص ٧١.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ ، **قلت**: لأنّ تلك الأقليات آذت الأكثرية المسلمة في بعض فترات التاريخ ، خاصة عند الغزو الأجنبي لديار الإسلام ، وهذا ما حمل الأكثرية على الانتقام عند زوال الخطر ، فالجرم الأول تسبب في الجرم الثاني (ن).

والأسباب التي أدت إليها ، ويخرجُ بالنتيجة السابقة : **أنها لا تمثل تعاليم الإسلام**.

وناقش الواقع المعاصر للأقليات داخل العالم الإسلامي ، والتحديات المحيطة بهذه الأقليات ، فقد ناقش أعدادهم ، وأمر التفاوت في التقدير ما بين الجهات الرسمية وبين الأقليات نفسها التي تحاول إظهار أنَّ أعدادها تفوق كثيراً الإحصاءات الرسمية ، في محاولة لاستخدام ذلك وسيلةً لكسب المزيد من الحقوق ، وهو هنا لا يوضّحُ أعدادهم في دولة إسلامية واحدة ، بل يناقش ذلك الأمر في إطار أوسع وهو دول العالم الإسلامي.

كما يناقش التحدّيات التي تواجه هذه الأقليات في واقعنا الراهن ، منها : أن الدول الغربية تريد استخدام هذه الأقليات كأوراق ضغط وثغرات للتدخل والاختراق لأحوال العالم الإسلامي ، عارضاً بعض النماذج من التاريخ القريب في نهاية القرن الثامن عشر ، مثل : نابليون بونابرت وموقفه من الأقليات ، وكذلك في القرن التاسع عشر فرنسا والموارنة ، ويخرج بنتيجة مؤدّاها : أنّ المطلوب هو استخدام الأقليات لتفتيت العالم الإسلامي إلى كيانات ضعيفة[١].

لذلك حذرهم من الفعل الاستعماري ، والغواية الاستعمارية ، والنزعة الطائفية الانعزالية ، وطالب بأن يكون الانتماء والولاء للوطن هو الأساس ، وعليهم بالتوحد داخل المجتمع الإسلامي ، الذي أعطاهم كل الحقوق المساوية لحقوق المسلم ، واعترف لهم بالمساواة في حرمة الدين (الحرية الدينية) وحرمة المال والعرض والنفس «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**» وعلينا أن نحذِّرَ من التعصب والوقوع في صراعه.

---

(١) الإسلام والأقليات ، ص ٣٥.

٤ ـ الإسلام وحقوق الإنسان[1]:

أصبحت حقوق الإنسان آخرَ شعار ترفعه الدول الغربية كوسيلة للضغط على دول العالم ، خصوصاً العالم الإسلامي ، وأصبح اتهام الإسلام ذاته بأنه لا يحترم حقوق الإنسان ، وأنه يرسّخ المبادئ الشمولية التي هي ضد حقوق الإنسان ، لذا جاء هذا الكتاب محاولةً لتوضيح الرؤية الحقيقية لموقف الإسلام من حقوق الإنسان والدفاع عنها.

وهو في البداية يميّزُ بين النظريات الإسلامية لحقوق الإنسان وبين الممارسات القهرية والاستبدادية لبعض الحكام المسلمين ، الذين يريدون إضفاء ثوب الإسلام عليها ، وهي ليست من الإسلام في شيء ، بل هي ضد الإسلام ، وتلقي بالضباب الكثيف على الإسلام في هذه القضية ، ويرى المؤلف أن هذا الكتاب هو محاولة لكشف الضباب الذي يعوق الرؤية الصادقة في هذا الميدان.

فقد ناقش عدة فضايا؛ منها: ضرورة الحرية ، وضرورة الشورى ، وضرورة العدل ، وضرورة العلم ، وضورة الاشتغال بالشؤون العامة ، وضرورة المعارضة ، والردّ على شبهات علماء السوء ، ومن المميز أن يأتي في نهاية الكتاب بعدد من النصوص التي تعدُّ وثائق في هذا الموضوع ، وذلك لتأكيد ما ذهب إليه من آراء.

يربط الدكتور محمد عمارة بين صلاح أمر الدين وصلاح أمر الدنيا ، ويستحيل أن يصلح أمرُ الأول إلا بالثاني ، وهي ليست حقوقاً يمكن للإنسان التنازل عنها ، بل هي ضرورات لا بدَّ منها ، «ويبلغ الإسلام في تقديس هذه

---

(١) صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت ، وحمل رقم (٨٩) في السلسلة ، في مايو ١٩٨٥م.

الضرورات الإنسانية الواجبة إلى الحد الذي يراها الأساس الذي يستحيل قيام الدين بدون توفرها للإنسانِ ، فعليها يتوقف الإيمان ، ومن ثَمَّ التدين بالدين»[1] .

فالحرية الإنسانية ـ سواء بالمعنى الفردي أو الجماعي والاجتماعي ـ في عرف الإسلام واحدة من أهم الضرورات للإنسان ، ويأخذ نموذجاً لذلك : الرقيق وموقف الإسلام منه ، لقد بلغ تقديس الإسلام للحرية الإنسانية إلى الحد الذي جعل العقل الإنساني هو السبيل إلى معرفة وجود الله جل جلاله[2] .

عالج الدكتور محمد عمارة **الشورى** من المنظور الشرعي ، كمنهج للسلوك وفلسفة في الحكم ، واستعار من التاريخ الإسلامي العديد من صور الشورى ، ونقد النقص الكبير في الدراسات الإسلامية حول هذا الموضوع الهام .

والشورى هي فلسفة الحكم الإسلامي ، ومنهج سياسة الرعية ، وهي حسب قوله : «فريضة إلـٰهية وضرورة شرعية ، وليس مجرد حق من حقوق الإنسان»[3] .

وعارض الظلم وقال : إنّ الإسلام يعتبره كبيرة ورذيلة اجتماعية ، تفوق في آثارها الممتدة الكثير من الجرائم والكبائر التي تقف آثارها عند المقترفين لها ، وطلب من المسلمين مقاومته .

وطالب **بالعدل** الذي هو أُسُّ الإسلام ، وهو ضرورة إسلامية واجبة ، بالكتاب والسنة ، ووضعت فلسفة العدل في التطبيق العملي في مراحل كثيرة من التاريخ الإسلامي .

---

(١) الإسلام وحقوق الإنسان ، ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

وناقش في الكتاب **قضية العمل العام** ، ورأى أنَّ الإسلام جعل منها فريضة واجبة ، لإصلاح أحوال المجتمع الإسلامي ، وانطلاقاً من تشريع القرآن والسنة لهذه الفريضة الاجتماعية إزاء فكر حضارتنا الإسلامية جعل «إيجاب الثورة طريقاً لتغيير مجتمعات الجور والفسق والضعف والفساد»[١] .

وتأتي أخطر قضية في الكتاب: **قضية المعارضة** ، ففي الوقت الحاضر يردّد العديدُ من الجماعات الإسلامية أنَّ مَنْ مات وليس في عنقه بيعةٌ للإمام مات ميتة جاهلية ، وهم بترديدهم هذه الأحاديث يوجبون الطاعة للأمراء على الكافة ، **ويحرّمون المعارضة** ، **ويجعلونها إثماً دينيّاً** ، **وخطيئةً يرتدُّ صاحبها إلى الجاهلية بعد الإسلام!** . .

يناقش الدكتور محمد عمارة هذا الرأي ، ولكنّه يذكر أنّ البيعة التي قصدها الرسول ﷺ هنا كانت بيعة الرسول ﷺ بصفته الدينية ، ولم تكن بيعة له بصفته رئيساً للدولة[٢] ، وبذلك فهذه المأثورات توظف في غير موضعها الصحيح ، لذا يجب أن نميّزَ بين البيعة الدينية والبيعة السياسية .

ويعلّمنا الرسول ﷺ أن أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر ، وهذا هو الفكر الذي وصفه المسلمون بالمعارضة في الممارسة والتطبيق ، وهنا يؤيّدُ ويؤكّد الدكتور محمد عمارة على أن معارضة المنكر فريضة واجبة في شريعة الإسلام سواء كانت هذه المعارضة فردية وتلقائية أم جماعية منظمة في صورة جمعيات وأحزاب .

---

(١) الإسلام وحقوق الإنسان ، ص ٧٥ .

(٢) **قلت**: لا دليل على هذا التخصيص ، فالبيعة لا تمنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجب الأمة تجاه الحاكم المسلم ، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أجمعت الأمة على بيعته لم يمنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذلك الأمة لم تتنازل عن هذه الفريضة (ن).

وهنا نرى أن الدكتور محمد عمارة يؤيّد أنّ هذه الحقوق ليست حقوقاً ، بل رفعها الإسلام إلى درجة الأوامر الواجبة .

ووضع الدكتور عمارة عدة ملاحق هي عبارة عن نصوص تؤكد وجهة نظره فيما وصل إليه ، وهي نصوص أبدعها الفقهاء والمفكرون المسلمون .

٥ ـ الإسلام والثورة[١]:

يعالج الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب قضيةً خطيرةً شائكة جدّاً؛ هي موقف الإسلام من الثورة ، ووصف الإسلام بالثورة ، وما هي مكانةُ الثورة في القرآن والسنة؟ وأيضاً ما هو موقف المسلمين الأوائل من الثورة؟ . .

فهناك فريق من المشتغلين بالدراسات الإسلامية يأخذ موقفاً معادياً للثورة كسبيل للتغيير وتبديل النظم السائدة في المجتمعات ، وهم بهذا الموقف الجامد غير الواعي للفكر الإسلامي يكرّسون الواقع ، ويمنحونه البركة والشرعية .

هذا الفريق نفسه يرى أنّه إنْ كان لا بد من التغيير فليكن إصلاحاً لا يصل لحد مرحلة الثورة .

وكالعادة يبدأ الدكتور محمد عمارة بتحديد المفاهيم ، فعرّف مفهوم الثورة ، وأصّل له في التراث الإسلامي ، وأنّ العرب والمسلمين الأوائل عرفوا هذا المصطلح واستخدموه ، وهناك أربعون حديثاً ورد فيها هذا المصطلح «الثورة» ، والإسلام عندما ظهر في شبه الجزيرة العربية ، في جوانبه الفكرية والاجتماعية والسياسية كان أول ثورة كبرى في التراث الحضاري للعرب المسلمين ، فقد تحول إنسانُ الجاهليةِ من مرحلة متخلفة

---

(١) صدر هذا الكتاب في طبعته الثالثة عن دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، وعدد صفحاته ٢٨٤ صفحة .

ومعوقة إلى مرحلة حافلة بقدر عظيم من الاستنارة ، وانتقل به إلى مرحلة حضارية جديدة.

ويذكر الدكتور محمد عمارة نصوصَ المصادر الإسلامية من الكتاب والسنة ، بما يؤيد مشروعية الثورة بل ووجوبها في الإسلام ، وهو يستدلُّ بعدد من الآيات القرآنية ، وكذلك بعدد من الأحاديث النبوية في هذا الأمر ، وبناءً على ذلك ناقش إنجازات الإسلام الثورية في واقع الإنسان العربي في المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية.

وناقش الإجراءات الثورية التي تمَّتْ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنموذج إسلامي رائع وراقٍ ، كذلك ضرب لنا المثل بإجراءات علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال: إنَّ عبقرية علي رضي الله عنه أدركتْ ما نسميه الآن: «المضمون الاجتماعي والاقتصادي للوطنية».

ناقش طبقات المجتمع الإسلامي ، والعلاقة بين هذه الطبقات ، وأفرد جزءاً كبيراً للحديث عن الذين يفلحون الأرض ومكانتهم في فكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاجتماعي ، وقد جعل مكان هذه الطبقة أبرزَ طبقة عنده ، وكان يوصي بهذه الطبقة ولاته في الولايات الإسلامية المختلفة ، ووضع الإمام علي رضي الله عنه مجموعةً من القواعد والوصايا التي ترسُم العلاقة بين الجهاز الحكومي الذي يجمع الخراج وبين الفلاحين ، وفي إشارة عامة يبين موقف الإمام من بقية الطبقات في المجتمع.

كما ناقش قضية في منتهى الخطورة؛ وهي: **موقف الحاكم المسلم من أموال المسلمين؟ وحقوقه في التصرف فيها.**

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على أنّ الفكر الإسلامي استمرّ طوال عهد الخلفاء الراشدين على ولائه لمشروعية الثورة ، وكان الخلاف فقط محصوراً

في دائرة وجود أسبابها ، أو انعدام هذه الأسباب[1] .

ويأتي الدكتور محمد عمارة لقضية أخرى حساسة وشائكة عن الخوارج وثورتهم ، فيؤكد أنه إذا كان الخوارج أول فرقة إسلامية منظمة ولدت في إطار مبدأ مشروعية الثورة في الفكر الإسلامي ، فإنَّ الأسس النظرية التي استندت إليها هذه الفرقة كي تبرِّرَ انشقاقها وثورتها قد تبلورت في المجتمع الإسلامي منذ الثورة على عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] .

وبعد أن يناقش الآراء المختلفة؛ مثل: موقف الحنابلة والأشاعرة والغزالي وابن تيمية وابن جماعة من الثورة ، عارضاً لها بالتحليل ، ورابطاً بينها وبين العصر الذي عاشوا فيه ، نجده يؤكد بالبراهين والأدلة الدامغة أنَّ الفكر الإسلامي قد اجتمع وأجمع أعلامه في عصوره المبكرة على الانحياز للثورة سبيلاً من سبل التغيير[3] .

ويعتبر رأي الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب ثورة في حد ذاته .

٦ ـ التحرير الإسلامي للمرأة[4]:

هناك العديد من الاتهامات التي يوجهها أعداء الإسلام إليه ، خصوصاً موقف الإسلام من المرأة ، ويعملون على إثارة الشبهات حول هذا الموقف ، واتبع بعض المسلمين المؤمنين بالنموذج الغربي هذا الموقف ، وعملوا على المطالبة باتباع المنظومة الغربية ، ونظروا إلى المنظومة الإسلامية باعتبارها منظومة ذكورية ، وقد تبنت هذا الموقف الجمعيات النسائية المرتبطة بالغرب

---

(١) الإسلام والثورة ، ص ٢١٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .
(٤) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٢م ، وعدد صفحات الكتاب ١٢٤ صفحة .

فكراً وتمويلاً ، فانطلقت الدعوات للثورة على كل الموروث مقدساً كان أو حضاريّـاً ، وانطلقت الدعوةُ لإحلال المنظومة الغربية محلّ الإسلامية ، وبناء على ذلك بدأ الحديثُ عن تحطيم المقدسات؛ مثل: العفة ، والبكارة ، والالتقاء الجنسي دون قيود وضوابط الشرع ، واللواطة ، والسحاق.

وهناك نموذجٌ آخر مضاد يرى الحفاظ على أوضاع المرأة كما هي للحفاظ على النوع البشري ، وربطوا بين التقاليد والعادات والأعراف وبين الإسلام ، ونسي أصحابُ الاتجاهين: النموذج الإسلامي الصحيح للمرأة في الإسلام المعبِّر عن روح التحرير الإسلامي للمرأة وإنصافها ، والمساواة بين النساء والرجال ، فهي مساواةُ تكاملِ الشقين المتمايزين ، لا مساواة الندين المتماثلين والمتنافرين.

ويرى الدكتور محمد عمارة أنَّ هذا النموذجَ الوسطيَّ ينطلق من الاجتهاد الإسلامي الحديث والمعاصر الذي أولى المرأة ما تستحق وما يجب لها من العناية والرعاية ، كطرف أصيل في المشروع النهضوي المنشود ، الذي استهدفه تيار الإحياء والاجتهاد والتجديد ، مستنداً إلى القرآن الكريم وإلى تطبيقات التحرير الإسلامي للمرأة في مواجهة تصورات ونماذج الغلو الإسلامي ، وأيضاً في مواجهة الغلو العلماني ، فيدافع عن الرؤية الوسطية التي يثبتها الدكتور محمد عمارة ضمن مشروعة الفكري: الوسطية في الإسلام.

عمل الدكتور محمد عمارة على مناقشة هذا الرأي ، ورد الشبهات الموجهة إليه ، وحصرها في خمس شبهات؛ هي:

١ ـ إن ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر.

٢ ـ إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

٣ ـ إن النساء ناقصات عقل ودين.

٤ ـ ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

٥ ـ الرجال قوامون على النساء.

وهو في مناقشة هذه الشبهات يوضّحُ رأي وموقف الإسلام نظريّاً من الكتاب والسنة، وعمليّاً بتقديم النماذج من الواقع المعاش أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وهو في ذلك يُعْمِلُ العقل في التحليل والمناقشة والمقارنة والاستدلال.

وينتهي إلى القول بأنّ للإسلام نموذجه المتميز في تحرير المرأة، ولهذا النموذج طلائعه في تاريخ هذا التحرير، وإذا كانت الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء الأمة، فإنّ المرأة فيها هي الراعيةُ وصانعةُ المستقبل، بصياغة الإنسان وإعداد عدة الغد وتنمية أعظم رأسمال في الوجود[1].

٧ ـ الإسلام بين التنوير والتزوير[2]:

يأتي هذا الكتابُ جرسَ تحذيرٍ، وصفارةَ إنذارٍ للتنبيه على الخطر القادم، المتمثل في حالة الاستقطاب الذي تتعرّضُ له حياتنا الفكرية، وأيضاً من الغلو الذي يعمل على تقطيع كلّ السبل مع الآخر، مما يستدعي حواراً عقلانيّاً شاملاً، وهذا الكتاب يؤكد مهمةً من أهم المهام التي يجب أن تناط بالمفكر، وهي: التنبيه ودق أجراس الإنذار ضد الخطر الذي يناط بالأمة.

يناقش الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب: الموقف من الوافد، ويقارن بين حالتين:

الوافد قديماً في العهود الإسلامية الأولى، وكان هذا الوافد متمثلاً في

---

(١) التحرير الإسلامي للمرأة، ص ١٣٧.

(٢) صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في دار الشروق بالقاهرة، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، وعدد صفحات الكتاب ٢٨٦ صفحة.

الوافد اليوناني على وجه الخصوص ، لا سيّما وأنَّ الفلسفة اليونانية قد استنفرت كثيراً من الفقهاء وعلماء الكلام في الردّ والتأليف ، ولكن في هذه الحالة كانت الدولةُ ومؤسساتُها ملتزمةً مع الأمة ، ومع المذاهب الكبرىٰ الفقهية والكلامية ، وبالمرجعية الإسلامية كأساس لها ، كما أنَّ هذا الوافدَ كان قادماً باختيار النخبة من الأمة ، الذي وظفته في الدفاع عن عقائد الإسلام ضد خطر الجماعات الصوفية والباطنية.

بينما تغير **الموقف في العصر الحالي** ، فقد جاء هذا **الوافد الغربي في** ركاب غزوة بونابرت الاستخرابية ، وكان غرض الغرب استخدام هذه الأفكار في محاولة السيطرة على عقلية الشرق وتوجيهها إلى الوجهة الذي يريدها الغرب ، وكانت الأمة في ذلك الوقت في حالة تراجع وانهيار حضاري ، وعدم قدرة على الرد على الغرب.

وعندما بدأت مرحلة الاستقلال الوطني في دول العالم الإسلامي ظلّت النخب العربية التي تعلّمت وتعلّقت بالغرب ، تحافِظُ على النموذج الغربي معتقدةً أنّه الوسيلة والطريق للتقدم ، ولكنّها تناست أنَّ هذا النموذج لا يصلح للبيئة الإسلامية عموماً ، لأنه نبت في تربة مغايرة تماماً.

لذلك يدعو الدكتور محمد عمارة فرقاء الأمة إلى الحوار الفكري في محاولة لإيجاد سبل للمشروع الحضاري للأمة ، ويعالج بهذا الحوار الموضوعي الجاد الانقسام الفكري غير المسبوق في تاريخنا ، من حيث الحجم والحدة ، ومن حيث التحديات الخارجية ، الفاعلة والمتربصة[١].

لذا بدأ الدكتور محمد عمارة الحوار حول **مصطلح التنوير** ، وما المقصود به وأصوله؟ هل هي عربية أم غربية؟ والتنوير العلماني في جيل الرواد ، ومحاولة البعض لمركسة الإسلام! وناقش ثلاثة نماذج مهمة جدّاً؛ وهم:

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير ، ص ٩.

رفاعة الطهطاوي ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وموقفهم بين التنوير الغربي والتجديد الإسلامي ، وردّ على من ادعى أن الفرسان والرواد الثلاثة كانوا تنويريين على النموذج الغربي ، مستخدماً الأدلة والبراهين ، ومستنكراً هذا الصنيع الذي يضع «الإيمان والإلحاد» في سلة واحدة ، والذي يخلط التنوير الغربي العلماني بالتجديد الإسلامي هو صنيع يرقى في نظرنا إلى مستوى التزوير ، الذي يستدعي وقفة علمية موضوعية تتحقق فيها بالرجوع إلى كتابات أعلام «التجديد الإسلامي» من صدق وصحة هذه الدعوى[١].

٨ ـ هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟[٢]:

في العصر الحديث ترفع بعضُ الجماعات الإسلامية شعارَ (الإسلام هو الحل) ، ولكنْ ما هو البعدُ التاريخي لهذا الشعار؟ ذلك أنّ الوحي جاء من عند الله ليقولَ للناس: إنّ الإسلام هو السبيل والطريق المستقيم ، ومنذ عصر البعثة وحتى الاحتكاك الحضاري بين الشرق والغرب منذ قرنين من الزمان لم تكن هناك حاجة لرفع هذا الشعار؛ لأن المرجعيةَ السائدةَ كانت المرجعيةَ الإسلاميةَ ، ولكن بعد ظهور التيارات الغربية والنموذج الغربي الوافد الذي أخذ يزاحم النموذج الإسلامي ، بدأ هذا الشعار في الظهور وبدأت الكتابات التي تشرحه وتؤيده.

فكان هذا الكتاب الذي حاول فيه الدكتور محمد عمارة بيان وتوضيح أنّ الإسلام مشروعٌ متكاملٌ للحياة ، ويقدّم حلولاً للحياة العصرية المناسبة لكل زمان ، في مختلف مجالات الحياة.

---

(١) الإسلام بين التنوير والتزوير ، ص ٢٢٨.

(٢) صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، والطبعة الثانية التي بين أيدينا عام ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م ، عن مكتبة دار الشروق بالقاهرة ، في ٢١٠ صفحة.

ففي الأبواب الستة للكتاب يناقش الدكتور محمد عمارة عدة قضايا مختلفة؛ بدءاً بالحياة العقلية ، يناقش فيها التعددية الفكرية والاجتهاد الإسلامي ، وعقلانية الإسلام ، وناقش النظام السياسي الإسلامي كنظام متكامل للحكم والمعارضة والأحزاب .

وناقش النظام الاجتماعي من حيث العدالة الاجتماعية ، ونظام الوقف ودوره في صناعة الحضارة .

وعرض لقضية من أخطر قضايا المجتمعات الإسلامية ممثلة في الحريات العامة وحقوق الإنسان وانتمائه لوطنه ، والمرأة وحقوقها ، وناقش الانتماء الإسلامي ـ الوطني ـ القومي ـ والأقليات في المجتمعات الإسلامية ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، فجاء هذا الكتاب دستوراً متكاملاً للحياة على النمط الإسلامي ، وقدّم حلولاً لكثير من القضايا الشائكة بأسلوب عصري رائع .

من ضمن القضايا التي ناقشها الدكتور عمارة قضية الوقف ، فيرى أنَّ الأوقاف مكّنت الأمةَ من صناعة الحضارة ، ومكنتها من أن تظلَّ كفتُها راجحةً على كفة الدولة على امتداد تاريخ الإسلام ، وهو ما ضَمِنَ للحضارة الإسلامية الازدهار ، ومكنت علماء الأمة من الاستقلال الفكري عن الدولة : «الأمر الذي جعلهم سلاطين الأمة[1]» .

ويؤكد الدكتور محمد عمارة من خلال الكتاب على أنَّ البذرة الغربية غيرُ صالحة للإنبات في التربة الإسلامية ، وأنَّ الإسلام هو السبيل الوحيد لإصلاح أحوال الأمة الإسلامية .

وإقامة الدولة الإسلامية النموذج التي تعيد للإسلام أبهى صوره ، وتحقق

---

(١) هل الإسلام هو الحل؟ ، ص ١١٥ .

وحدة الأمة في العقيدة والشريعة والحضارة.

ودارُ الإسلام مع التنوع في الشعوب والأوطان، وفي فقه الفروع.

وهذا الكتابُ كما أكدنا يحمِلُ معالمَ مشروع فكري لتفسير الواقع الإسلامي، وإنهاض أمة الإسلام انطلاقاً من مرجعية إسلامية في الدين والدنيا.

* * *

المبحث الثاني

قضايا فكرية معاصرة

هناك عشرات من القضايا التي يعاني منها العالم الإسلامي الآن ، وهي مطروحة على الساحة في حاجة لطرحها بشكل عقلاني ، ومحاولة الإجابة عنها ، وهناك أخطار كثيرة تتهدّد الأمةَ في مقوماتها ووحدتها ، بل وفي وجودها ، وهنا تستدعي هذه القضايا مفكري الأمة ، إمّا لطرحها وإيجاد الحلول لها ، أو لتحذير الأمة من تلك القضايا الشائكة التي تهددها .

ولم يترك الدكتور محمد عمارة المجال خالياً ، بل إن جزءاً من مشروعه الفكري يقوم على طرح الحلول لتلك القضايا ، وتنبيه الأمة على ما هو محدق بها من أخطار ومخاطر .

٩ ـ استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي(١) :

حشد الغرب قواه لتوجيه ضربته إلى العالم الإسلامي ، وتحويل أكبر قدر ممكن من المسلمين إلى النصرانية مستخدمين كافّة الوسائل؛ مثل : الطب ، التعليم ، الصحافة ، المؤلفات المختلفة ، استغلال العوامل الاقتصادية السيئة خصوصاً في الدول الأشد فقراً ، والحروب التي تدور رحاها في العالم الإسلامي ، وهذه الإرساليات الغربية رغم اختلافها في المذهب إلا أنها تتفق في الهدف .

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطة ١٩٩٢ م ، في ٢٦٢ صفحة .

ولا نستطيع أن نغمض أعيننا عن النتائج التي وصلوا إليها ، فقد تمّ تنصير ما يزيد عن خمسة عشر مليون مسلم في أندونيسية وحدها ، **كما كانت جيوش المنصِّرين مصاحبة لجحافل الغزو الأمريكي للعراق وأفغانستان.**

لذا جاء كتاب الدكتور محمد عمارة ليحذّر المسلمين من الأوضاع القائمة في المنطقة ، التي أعطت المنصرين الفرصةَ ليصولوا ويجولوا دون رادع ، فقد حاول أن يبيّن الوسائل التي يستخدمونها ، وبيَّن في الكتاب الدورَ المطلوب الذي يجب أن نقوم به في هذه المواجهة ، وبالرغم من أنَّ التنصير قديمٌ في التاريخ ، إلا أن الحملة اشتدت في الفترة الأخيرة خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ، فأصبح الإسلامُ هو الهدف؛ لأنه الدين الوحيد القادر على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي للمجتمعات الغربية.

بدأ المؤلف كتابه بنقاش حول (مؤتمر كولورادو) الذي عقد في أمريكا ، وحضره أكبر عدد من المنصِّرين في العالم للبحث في سُبُل ووسائل تنصير المسلمين ، ذلك أنَّ رئيس المؤتمر يؤكد: «**أنا لا أؤمنُ بأنَّ الوقت مناسب تماماً تاريخيّاً فحسب ، بل إنَّ من الضرورة الملحة أن نلتقي ونناقش ونصلي من أجل الواجب الملقى على عاتق الكنيسة النصرانية تجاه (٧٢٠) مليوناً من البشر يؤمنون بالإسلام**»[١].

فالغرب يتحالف بكلِّ قواه ضد الإسلام ، فمؤسسات الفكر والسياسة تريد كسر شوكة الإسلام بالعلمانية لإحكام قبضة الغرب على الإسلام ، وكنائس الغرب ومنصّروه يريدون اقتلاع الإسلام من الجذور ، انتقاماً منه للاستيلاء على أوطان كانت مسيحية ، ولأنه أيضاً الثقافة الأخطر على الغرب المسيحي.

ولكنْ من الملفتِ للنظر أنَّ الدكتور محمد عمارة وهو يناقِشُ الإعداد

---

(١) استراتيجية التنصير ، ص ٥٠.

والتنظيم والإدارة والتخطيط لهذا المؤتمر يبدي إعجابه بذلك: «لهي دروسٌ وخبراتٌ تستحقُّ التأمل لدلالتها على خطر المخطط والمواجهة والتحدي . . . **ولضرورة وأهمية التعلم من هؤلاء الأعداء**»[1] وهي لمحةٌ لها دلالتها.

لذلك فهو يعتبر هذا المؤتمر مخططاً استراتيجيّاً لإعلان الحرب الدينية ضد المسلمين ، واستبدال أسلحة التنصير القديمة بأخرى حديثة.

درس الدكتور محمد عمارة قضية محاولات الإرساليات التنصيرية اختراق المسلمين ، ومحاولاتهم لبيانِ سبل هذا الاختراق ، مثل: الثغرات المذهبية والقومية والعرقية والطبقية والمعرفية بين المسلمين ، كذلك الثغرات الخاصة بالأفكار ، مثل: التغريب والعلمانية ، وبذلك فقد قرروا اختراق الإسلام من خلال الأمراض الذاتية لأهله ، فقد عملوا على الاختراق الثقافي للإسلام ، وتجريد الثقافة الإسلامية من هويتها وجوهرها والصبغة التي تميزها.

وبيَّن الدكتور محمد عمارة أنَّ من ضمن وسائل عمل تلك الإرساليات الاعتماد على الكنائس المحلية في البلاد الإسلامية ، فمن ضمن ما جاء في نصوص المؤتمر: «**يجب أن تخرج الكنائس القومية عن عزلتها ، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم ، وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معاً بروح تامة ، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين**»[2].

من أهم وأخطر القضايا التي يعالجها الكتاب قضية التنصير عن طريق المرأة التي كانت محطَّ اهتمام الإرساليات التنصيرية عموماً ، فقد أنشأت الإرسالية الأمريكية في بيروت (١٨٣٤م) أقدم مدرسة عليا للبنات في الدولة العثمانية كلها؛ فهذه الإرساليات ترى **أنَّ النساءَ هُنَّ المفتاحُ لزرع الكتاب**

---

(١) استراتيجية التنصير ، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق ، ص١٤٥.

المقدس في المجتمعات الإسلامية ، لذلك عمل المنصِّرون على الترويج للنموذج الغربي للمرأة ، فقد كان التخطيط منذ البداية لأن تكون المرأة هي أولى ثغرات الاختراق للعالم الإسلامي.

وأوضح أساليب تنفيذ النصرانية ومؤسساتها، وأوضح ثلاثة أساليب للتنصير:

١ ـ **الأسلوب المباشر**: عن طريق المنصرين والإرساليات الإنجيلية ، وهذا الأسلوب لم يجتذب سوى عدد قليل جدّاً من المسلمين.

٢ ـ **والأسلوب الشامل**: مثل: المدارس والكليات والجامعات الأمريكية ، لكنّه فقد تأثيره الإيجابي الذي خطط له مؤسسوه.

٣ ـ **الأسلوب غير المباشر ، أو أسلوب التسلل**: بالكلمة المذاعة ، والصورة المرئية ، والرسوم المتحركة. . وأوضح الدكتور محمد عمارة هذه الأساليب ، وكيفية استخدامها في التنصير.

يلاحظ في مادة الكتاب أنّ الدكتور محمد عمارة عاد إلى المصادر الأصلية للمشروعات والمؤتمرات التنصيرية ، وإلى نصوص وشهادات المنصرين والمهتمين بالعمل التنصيري ، وهي مادة بالغة الأهمية ، ولا يمكن إنكارها ، لأنها من فعلهم ، واعتمد على التحليل والأرقام والمقارنات ، لتوضيح خطورة التنصير وأساليبه ووسائله ، وبيَّن مخططاتهم ومواقفهم المعادية للإسلام، وأشاد بقدراتهم في التخطيط، ودعا إلى تعلم ذلك منهم ، وأعتقد أنَّ هذا الكتاب صرخةٌ موجّهة للعالم الإسلامي عله يفيق مما هو فيه.

١٠ ـ الغزو الفكري: وهمٌ أم حقيقة؟![1]:

قضية الغزو الفكري وهل هو وهم أم حقيقة؟ من أهم القضايا التي

---

(١) صدر هذا الكتاب عن الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف ، في ٢٦٨ صفحة.

سيطرت على الساحة الفكرية منذ الفترة المبكرة للقرن العشرين ، فقد أصبح هناك فريقان:

أحدهما: يحذّر من الوافد الغازي وخطره على المقوّمات الثقافية للأمة.

والآخر: يقلِّلُ من هذا الخطر ، منكرين ومستنكرين وجود هذه القضية من الأساس.

الفريق الأول: الذي يؤمن بوجود غزو حضاري ، يدعو إلى ضرورة احترام الحدود الحضارية ، خصوصاً أنَّ أمم العالم بينها ما هو مشترك حضاري عام ، وهذه الأمم أيضاً تتمايز حضاريّاً ، وهو ما ينفي الوحدة الحضارية ، ويستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتمايزة.

وكعادته في **الدعوة إلى الوسطية** نجد الدكتور محمد عمارة يؤكد على أننا ننكر تصور العالم وطناً حضاريّاً واحداً لحضارة واحدة . . . وهو تصوُّرُ الذين ينكرون وجود الغزو الفكري ، ويرونه مجرد وهم من الأوهام ، ويرى الدكتور محمد عمارة أنّ هذا الموقف حتى مع افتراض حُسْنِ النية مكرَّسٌ وموظَّفٌ لخدمة الحضارة الغربية المتغلبة على العالم المعاصر.

في الوقت ذاته ينكر الدكتور محمد عمارة تصور العالم حضارات منعزلة تماماً ومكتفية بذاتها ، لأن هذا التصور فضلاً عن أنه يتجاهل الواقع المشترك الحضاري الإنساني فإنّه في النهاية يقودُ إلى الانتحار الحضاري.

لذا يقف الدكتور محمد عمارة وسطاً بين الموقفين ، فيدعو لمعرفة ما هو مشترك وعام في الفكر الإنساني ، فنعمل على تحصيله واستلهامه لازدهار الخصوصية ، وذلك مع إدراك سمات الخصوصية الحضارية ، والعمل على الحفاظ عليها ، وذلك استهداف لنهضة حديثة ، وإبداع جديد للأمة تسهم به في إثراء الفكر الإنساني ، وهذا هو الموقف الذي تبناه الدكتور محمد عمارة في الكتاب ، وعمل على تقديمه بالأدلة والبراهين للبرهنة على صدقه.

في هذا الإطار الذي حدده الدكتور عمارة ناقش عدة قضايا؛ أهمها: وحدة في النوع الإنساني، وتعددية في تحديد مكانة الإنسان، فالحضارة الإسلامية أعطت الإنسان مرتبةً وسطاً، فهو ليس الحقير الذي يتحقق وجوده بالفناء في ذات المعبود، وهو ليس سيد الوجود، وإنَّما هو سيد في هذا الوجود، عليه النهوض بأمانة الخلافة عن سيد الوجود، وبذلك فهاهنا تمايز بين الحضارات في النظرة إلى الإنسان.

كذلك ناقش قضيةَ الاتفاق على مبدأ التدين والاختلاف على مكانته في الحياة، فهو يرى أنَّ الغرب وقفَ من التدين بالمسيحية عند الشكل، وأهدر المضمون، بل ومسخه ونسخه، وأحل محله الطابع المادي للحضارة الغربية، وبذلك أهدر الغربُ المسيحية، وأفسد عقيدتها، بينما التدين في الشرق يتمثّل في التدين بالإسلام الذي يمتاز بالعراقة والعمق والشمول.

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على: «أنّ التوحيد الديني ... الصانع للوحدة القومية العربية المنجزة رسالة الإسلام ديناً ودولة وحضارة على النحو الذي غير وجه التاريخ»[1].

وبذلك تميزت الحضارة العربية الإسلامية في الفكر القومي، وفي المسيرة القومية، عن الحضارة الغربية، وهذا ما يميّزُ الخصوصية الحضارية الإسلامية.

وانطلاقاً من هذا الموقف الوسطي نجد الدكتور محمد عمارة يبحث في عدة موضوعات تمثّل منطلقات مهمة في هذا الموضوع؛ مثل: العقلانية الإسلامية، والقومية بين المذهب والانتماء، خصوصاً الذين يحاولون الخروج عن إطار القومية الإسلامية إلى القومية بالمفهوم الغربي العلماني، كما تحدّثَ عن التفاعل الحضاري متخذاً نماذج لذلك: الحضارات الفارسية

---

(١) الغزو الفكري، ص٨٣.

واليونانية والرومانية والهندية ، فالمسلمون استفادوا من هذه الحضارات ، وأخذوا منها ، وتفاعلوا معها ، ولكنّهم في الوقت ذاته كانوا شديدي الحذر بل شديدي المقاومة لكل ما هو خصوصية حضارية لهذه الحضارات التي تتعارض مع معايير الإسلام وجوهر معتقداته وخصائصه الحضارية .

أما عن الحضارة الغربية والتفاعل معها ، فيرى الدكتور محمد عمارة أنَّ الغرب عندما كان في سبيل نهضته التي أخرجته من العصور الوسطى المظلمة لإبداع العصور الحديثة ، أقبل الغربُ بنهمٍ على امتلاك رصيد الحضارة العربية في العلوم كافة ، ولكنهم أنفسهم الذين تحفظوا تجاه ما يمثل خصوصية حضارية عربية إسلامية ، وهذا الرفض هو الذي ميز الحضارة الغربية الحديثة بالطابع المادي .

والدكتور محمد عمارة هنا يتبنّى الرأي نفسه الذي قاله الأفغاني ومحمد عبده عندما طالبا بالاستفادة من الحضارة الغربية الحديثة ، وما وصلت إليه من منجزات علمية في كافة المجالات ، ولكن مع الحفاظ على الخصوصية الحضارية المميزة للإسلام .

والدكتور محمد عمارة هنا يتفق تماماً مع مشروعه الفكري القائم على «**الوسطية**» ، ويُعْمِل العقل والرأي لتوضيح أمور قد تكون بعيدة عن الأذهان ، في محاولة الإقناع بها .

ومن أهم ما يميز منهج الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب أنه يستثير عقل القارئ للتفكير فيما يثيره من قضايا مهمة في هذا الكتاب .

١١ ـ الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية[١]:

جاءت الغزوة الاستعمارية الغربية في العصر الحديث ، وكانت البداية هي

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة ، عام ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م ، في ٨٢ صفحة .

الحملة الفرنسية عام (١٧٩٨م) وهي تحمل معها نموذجاً فكرياً وحضارياً عملت على تطبيقه في التربة الإسلامية ، حتى تأخذَ منه وسيلةً لاحتلال العقل ، وبالتالي يكون احتلالُ الأرض والثروات مؤبداً ، من هنا كان العداءُ للإسلام؛ لأنه هو المحرك للشعوب للتحرر الوطني والجهاد ضدّ المحتل المغتصب ، ولأنه يدعو للعزة الوطنية والقومية ، وهو السياج الذي يحول بين العالم الإسلامي وذوبانه في حضارة الآخر.

من هنا جاء العداء بين العلمانية والإسلام ، فالعلمانية تسعى بكل السبل لعزل المسلم عن إسلامه ، واتباع القوانين الوضعية بدلاً عن الشريعة الإسلامية ، فالعلمانية الغربية التي تعمل على عزل الإنسان المسلم عن تعاليم الإسلام وقوانينه ، وإحلال العقل الإنساني محل الشرع الإلـهي ، هي فضلاً عن ذلك دليل للتبعية للغرب.

في هذا البحث ناقش الدكتور محمد عمارة عدة قضايا بالغة الأهمية ، مثل: الشريعة الإسلامية التي ظلت المرجعية الحاكمة في قضاء الأمة وفقهها ، وأيضاً في الاجتهادات منذ ظهور الإسلام وحتى الهجمة الاستعمارية الغربية التي جاءت معها بالقوانين الوضعية ، وهو ما دفع مدرسة الإحياء الإسلامي في العصر الحديث للقول بوجوب: «الدعوة لاسترجاع كامل حاكمية الشريعة الإسلامية ، واحدة من مقاصد دعوات اليقظة والإحياء والتجديد في تاريخنا الإسلامي الحديث والمعاصر»[1].

وهو ما دعا الدكتور محمد عمارة للتأكيد على أنّ الدعوة للاجتهاد الإسلامي المعاصر ، الذي يعمل على الاستنباط من الأصول والمبادئ الشرعية ، والأحكام التي تحكم الواقع الجديد ومستجداته ، أصبحت أمراً في غاية الأهمية للأمة الإسلامية التي تعمل على الاحتكام للشريعة مع مواكبة

---

(١) الشريعة الإسلامية والعلمانية ، ص ١٥.

الواقع الجديد بفقه إسلامي جديد ، وهو ما يمكن أن نسميه فقه الواقع .

وعرض أيضاً لقضية العلمانية ، وبيّن مفهومها ونشأتها ، وهي التي جعلت من العقل والتجربة واللاهوت المرجع في كافة شؤون الإنسان ، فقد عملت على عزل الدين عن الدنيا ، والسماء عن الأرض ، فهي بذلك ثمرةٌ من ثمرات التنوير الوضعي الغربي ، ولكنّ علماء مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي ، كان عندهم وعيٌ مبكر بالطبيعة المادية للعلمانية ولماهيتها الداعية للاستغناء بالعقل والتجربة عن الدين .

وعرضَ وناقشَ لوفود العلمانية إلينا ، والتي أتت في ركاب الاستعمار الأوربي بَدْءاً من الحملة الفرنسية على مصر ، ثم الغزوة الاستعمارية على معظم بلدان العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي ، رغم صيحات التحذير التي أطلقها علماء مدرسة الإحياء والتجديد بَدْءاً برفاعة الطهطاوي ، الذي ـ ويا للعجب ـ يعتبره بعض العلمانيين منهم .

وتكونُ النتيجةُ المنطقيةُ أنَّ الإسلام يرفض العلمانية ، فقد نشأت في بيئة مخالفة ومختلفة تماماً عن البيئة الإسلامية ، وتعارض الأصول الحضارية الإسلامية ، لذا لا سبيل للإصلاح إلا بالإسلام ، فهوالسبيل الوحيد للخروج من المأزق الحضاري الذي دخلت إليه الأمة الإسلامية بالتخلف الموروث ، والتغريب الذي جاءها من وراء الحدود ، الهادف لاستخدام العلمانية سلاحاً للقضاء على الإسلام ديناً وحضارةً.

وينهي الدكتور محمد عمارة الكتاب بقوله: «يجب أن نرى ممارسات الغرب التاريخية . . . والحديثة والمعاصرة إزاء الإسلام وأمته وعالمه . . . وأن نبصر مكانة العلمانية في هذا الصراع الذي يفرضه الغرب على العالم . . والذي يتجلّى الآن تحت شعار العولمة»[1].

---

(١) الشريعة الإسلامية والعلمانية ، ص٧١.

١٢ ـ الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب[(١)]؟:

هذا الكتاب يعالج العلاقة مع الغرب ، ورؤية الغرب للإسلام ، والافتراءات الغربية الكاذبة على الإسلام ، والتي اتخذها الغرب ستاراً لأطماعه في العالم الإسلامي ، وهذه الدراسةُ تندرجُ تحت بند الدراسات المقارنة ، التي يقوم بها الدكتور محمد عمارة ضمن إطار مشروعه الفكري لتوضيح الإسلام للغرب ، وأيضاً لتوضيح الرؤية الإسلامية الصحيحة للقضايا المختلفة بأسلوب عقلاني تحليلي مقارن ، وهي أيضاً فتح لأبواب الحوار المثمر مع الآخرين.

يؤكد الدكتور محمد عمارة على عدة قضايا أساسية؛ هي: أنَّ المسلمين بنوا حضارتهم في ظل المرجعية الإسلامية ، وأنَّ المسلمين يؤمنون بثقافة التعدد ويتعايشون معها ، وأنّ المسلمين تفاعلوا مع الحضارات القديمة؛ مثل: اليونانية والفارسية والهندية ، استفادوا منها وطوروها ، واتخذوها أساساً للإبداع ، وهي نفسُها كانت أساس النهضة الأوروبية الحديثة ، **ولكنّ المسلمين أنفسَهم حافظوا على خصوصية الحضارة الإسلامية ، وهو نفسُ ما حافظ عليه الأوروبيون عند الأخذ من الحضارة الإسلامية ، وهذا ما أوجدَ التمايز الحضاري بين الشرق والغرب** ، ولكنّ الغرب بنى حضارته على أنقاض الدين ، وهو ما أدى لظهور العلمانية الغربية ، التي قدمت الحداثة بديلاً عن الدين.

كما ناقش قضية صورة (الآخر) في الساحة الإسلامية ، فبيّن أنَّ الإسلام قدّم السماحة في أبهى صورها ، ودلل على ذلك نظريّاً بذكر النصوص ، وفعليّاً بتقديم الوقائع التاريخية المؤيدة للنصوص ، وفي الصورة المقابلة قدم

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م ، في ٢٧٦ صفحة.

صورة الإسلام في خطاب الهيمنة الغربية ، فيؤكد الدكتور محمد عمارة: «في كل مفردات الخطاب الغربي ـ اللاهوتي منه والسياسي والثقافي والتعليمي والإعلامي ـ كان الغرب حريصاً على توجيه أمضى أسلحته وأخطرها إلى الإسلام ـ الدين والثقافة والحضارة ، باعتباره النموذج الذي حرّرَ الشرقَ من الرومان ومن الصليبيين ، والطاقة المقاومة لكل محاولات هيمنة الغرب على الشرق من جديد»[١] .

أدت تراكماتُ مفرداتِ الخطاب الغربي عن الشرق الإسلامي إلى وجودِ مخزونٍ من ثقافة الكراهية ضد كل ما هو إسلامي ، هذا المخزون هو الداعم للمشاريع الغربية والصهيونية ضد العالم الإسلامي.

ومما يزيد في الاقتناع بهذه القضايا أن الدكتور محمد عمارة يستعين في تقديم آرائه بالمصادر الغربية التي كتبها علماء ومؤرخون ومفكرون أوروبيون ، وهو ما يؤدي للاقتناع حتى عند الغربيين أنفسهم.

فيذكر تصوير الكاثوليك للرسول ﷺ على أنه هو الذي أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية ، وتصوير مارتن لوثر والبروتستانت للقرآن: «بأنه كتاب بغيض وفظيع وملعون ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع»[٢] .

ويستحضر عشرات الآراء في هذا المجال ليوضِّح مخزون الكراهية ضد الإسلام في الغرب ، وهو ما أدى بالتالي إلى تزييف المشروع الغربي السياسي والكنسي لصورة الإسلام.

يحدد الدكتور محمد عمارة أننا إزاء هذه الصورة المغلوطة عن الإسلام ، وإزاء الكراهية الغربية أمام ثلاث خيارات؛ هي:

١ ـ **خيار الاستسلام يأساً وقنوطاً من روح الله ونصره**: وهو خيار بائس.

---

(١) الغرب والإسلام ، ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧١.

٢ ـ **خيار العنف العشوائي**: وهو خيارٌ يحرمنا من أصدقاء كثيرين، ويسيءُ إلى حقيقة الجهاد الإسلامي.

٣ ـ **خيار المقاومة الإسلامية لهذه التحديات ـ بالمعنى الشامل للمقاومة**: بَدْءاً من إرادة الصمود، ويليها الإرادة التي ترمم وترتب البيت العربي والإسلامي[١].

بذلك فقد أوضح هذا الكتاب موقف مشروع الهيمنة الغربي من الإسلام، ومدى الظلم الذي افتراه على الإسلام ديناً وحضارة وشعوباً، ولا تنسَ أنَّ الإنسان الغربي نفسه وقع ضحية تضليل للمشروع الغربي الكاره للإسلام.

لقد حاول المؤلف الدكتور عمارة استثارة عقل القارئ للتفكير بالمنطق السليم، ومعرفة الحقائق بالوجه الصحيح.

١٣ ـ الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية[٢]:

في الكثير من الأعمال الفكرية للدكتور محمد عمارة نجده يناقش ويحذر من العلمانية والنموذج العلماني، وأنَّ هذا النموذج لا يصلح للتطبيق في الشرق الإسلامي، لأنه يناقضُ الأصولَ الحضارية الإسلامية، ولأنه يقف من الدين موقفاً عدائيّاً، وفي هذا الكتاب يعالج الدكتور محمد عمارة قضيةً مختلفةً، ولكنها ذات صلة بهذا الموضوع.

لقد انقسم الناس حول رؤيتهم للإسلام كدين ودولة إلى فريقين:

أحدهما: يرى الدين والدولة شيئاً واحداً: مما يستدعي اتهام الآخرين

---

(١) الغرب والإسلام، ص ٩٤.

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار الشروق بالقاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م، في ٢٣٣ صفحة.

له ، ويلقون على الإسلام السياسي شبهات الكهانة والسلطة الدينية ، والحكم حسب نظرية الحق الإلـٰهي.

والآخر: يريد أن يصل إلى العلمانية: التي تفصل فصلاً تامّاً بين الدين والدولة.

والدكتور محمد عمارة كعادته في مشروعه الفكري القائم على **وسطية الإسلام** يوضح رؤية الإسلام الصحيحة لهذا الأمر ، وهو ما يؤكد أن للإسلام طريقاً وسطاً بعيداً عن العلمانية ، وبعيداً أيضاً عن السلطة الدينية التي تجعل الدولة ديناً خالصاً.

لذلك قدم الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب دراسة لأربع قضايا بالغة الأهمية توضح الرؤية الإسلامية ، وهي: **الإسلام والسلطة الدينية ، الإسلام والحرب الدينية ، الإسلام والعلمانية ، محمد ﷺ الرسول السياسي.**

تسرّبت فكرةُ **السلطة الدينية** في بعض فترات التاريخ الإسلامي إلى قطاع محدود من الفكر السياسي ، فقد دعا إليها أئمة الشيعة ، كما دعا إليها العديدُ من المستبدين من الحكام والسلاطين ، وكانت النتيجةُ إعاقة تطور الأمة الإسلامي ، والدفع بها إلى مرحلة من الجمود والتخلف التي كبّلت العالم الإسلامي ، ولكنّ الإسلام ينكِرُ هذا اللون من أنماط سياسة الدولة والناس ، ويستشهِدُ برأي الشيخ محمد عبده الذي يرفض السلطة الدينية في الإسلام ، ويرى أنّ اعتراف المسلم لأي أحد ـ كائناً من كان هذا الأحد ـ بسلطة دينية أمراً يتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر[1].

فالإسلام ليس دولة دينية مثل: البابوية القيصرية ، وعلماء الإسلام ليسوا كهان ، كما أنّ الشريعة الإسلامية قد وقفت عند النهج والمقاصد والحدود ،

---

(١) الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ص ٢٩.

وتركت الأمة مصدراً للسلطة ، فهي تشرع وتقنن كي تتحول مقاصد الشريعة إلى نظم تستخدمها الأمة لتحقق مصالحها.

ويؤكد الدكتور عمارة أنّ العالم الإسلامي مثّل مطمعاً للغرب ، لذلك على أبناء المسلمين اليقظة التامة لما يراد بهم ، لأنه أمام التحديات العاتية التي تواجه المسلمين فلا أمن ولا أمان لهم إلا «**بالجهاد**» الذي هو إحدى خصوصيات الأمة المسلمة.

والجهاد مصطلح واسع فضفاض ، ويحدد الدكتور محمد عمارة هذا المصطلح بأنه كما يراد به التعبير عن عمليات الصراع المسلح؛ يراد به في أحيان كثيرة بذل الجهد واستفراغ الوسع في ميادين أخرى ومهام مختلفة ، ففي الأحاديث النبوية نقرأ: «**الحج جهاد**» ومصطلح الجهاد شامل الإبداع الأدبي[١].

فالقتال لم يكن أبداً لإدخال الناس في الإسلام كرهاً ، وإنما لتحرير المستضعفين ، ومواجهة الظلم والطغيان والعدوان ومجاوزة الحدود ، وأكد الدكتور محمد عمارة ذلك بمناقشة وعرض عشرات الأمثلة على ذلك ، كما عرض لنصوص كثيرة في هذا المجال لتأييد رؤيته.

وناقش قضية محورية وأساسية؛ وهي: هل كان محمد ﷺ سياسيّاً ومؤسساً لدولة سياسية؟ أم أنه كان مؤسساً لدولة دينية أوحي بها من الله؟ ناقش الدكتور عمارة هذين الرأين موضحاً أدلة كل فريق وبراهينه ، وموضحاً وسطية الإسلام في هذا المجال: وسطية العدل بين الظاهريين . . . والحق بين الباطنيين ، والاعتدال بين المتطرفين . . . الوسطية التي تجمع وتؤلف بين ما يعد في المنظومات غير الإسلامية متناقضات يستحيل الجمع بينها ،

---

(١) الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ص ٩٠.

فضلاً عن التأليف ، الوسطية التي تجمع بين الرسالة والسياسة ، وبين الدين والدولة ، مبصرة العلاقة بينهما[1] .

١٤ ـ سقوط الغلو العلماني[2]:

هذا الكتاب ردّ على كتابات ومقالات المستشار محمد سعيد العشماوي ، الكاتب اليساري المعادي للمشروع الإسلامي برمّته ، والذي وجَّه عشرات التهم للإسلام من عينة :

١ـ أنّ الإسلام قد تغيّرت معالمُه الأساسية ، وهو ما يعني حَسْبَ قوله : أنّ الإسلام قد تعرض لعمليات تزوير ، خرجتْ به عن شكله الذي كان عليه في عهد الرسول ﷺ ، وبذلك فهو يرى أنَّ المعالم الأساسية للإسلام استبدلت بأخرى خاطئة وفاسدة ودخيلة .

٢ـ يسعى المستشار العشماوي إلى علمنة الإسلام ، وإلى القول بتاريخية النصَّ القرآني ، وهو الأساس الذي انطلقت منه دعوات ومشاريع أخرى ضد الإسلام ، مثل مشروع الدكتور نصر حامد أبو زيد .

٣ـ كما أنّ العشماوي حاول الطعن في العديد من الثوابت الإسلامية ؛ مثل : أنّ الصحابة قد ارتدوا إلى خُلُق الجاهلية وطباعها ، وأنَّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه قد غيّر الإسلام ، وجاء بدين مخالفٍ لما جاء به محمد ﷺ .

في ظلِّ هذه الصرعات العلمانية ما كان للدكتور عمارة أن يقف صامتاً إزاءها ، فقام بالردّ والتفنيد لتلك المزاعم ، ولم تكن ردودُ الدكتور محمد عمارة ردوداً عاطفيةً ، ولا ردوداً عصبيةً متشنّجة ، بل كانت ردوداً تتّسم

---

(١) الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ص ٢٠٧ .

(٢) صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى عام ١٤١٦هـ = ١٩٩٠م ، والطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م عن دار الشروق ، القاهرة ، وعدد الصفحات ٣٢٧.

بالنظرة العقلية الفاحصة ، وأيضاً كانت نظرةُ الدكتور محمد عمارة واثقةً في ردوده.

يؤكد الدكتور محمد عمارة على أنَّ حق النقدِ مباحٌ في الإسلام ، وأن ذلك يأتي ضمن إطار التعددية التي يؤمن بها الإسلام ، وأن من حق العشماوي الاختلاف حول الفكر الإسلامي ، ولكنَّ هذه المطاعن انتقلت إلى الطعن في صميم الإسلام كدينٍ ، حتى إنّه اتهم القرآن والوحي ، بل الرسول ﷺ ، ثم الصحابة رضي الله عنهم من بعده ، فهو يشكِّكُ في إلـٰهية النص القرآني.

ردَّ الدكتور محمد عمارة على العشماوي ردوداً حاسمةً ، ناقداً لرؤيته بالأدلة الواضحة ، وناقداً المصادر التي استقى منها ، بل متَّهِماً إياه بالقصور في العودة للمصادر ، فهو يرجع للمصادر التي تؤيد وجهة نظره دون البحث بعمق ، كما أنّه لا يوثِّقُ معلوماته في كثيرٍ من الأحوال ، أضف إلى ذلك اعتماده على الروايات المعلولة ، والتي نبَّه أصحابُها على ذلك ، وتركيب الجملة عند العشماوي مربكٌ ، فهو يحوّرها ليوحي إلى القارئ بأن كثيراً من آرائه قد نقلها عن القدماء ، والحقيقة ليست كذلك.

ويرد الدكتور محمد عمارة على القضيةِ التي أثارها العشماوي متهماً الخلافة الإسلامية منذ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأنَّ السلطة كانت دينيةً كهنوتيةً ، وأنّ الخلفاء كانوا يحكمون بالحق الإلـٰهي ، وأنّهم كانوا معصومين ومقدّسين ، واستمرّ ذلك إلى أنْ أسقطَ أتاتورك الخلافة العثمانية (١٩٢٤م).

وهنا رد الدكتور محمد عمارة مفنِّداً ما ذكره العشماوي ، ومستخدماً عشرات الأدلة التي توضِّحُ بلا ريب مقصد ورؤية الإسلام ، وتدحضُ كلام العشماوي ، وممَّا يزيدُ في دحض كلام العشماوي استعانة الدكتور محمد عمارة بآراء وكلام عددٍ كبيرٍ من المستشرقين ، وكشف الدكتور محمد عمارة

عن التناقضاتِ التي وقعَ فيها العشماوي مع نفسه ، مثال ذلك : عند حديثه عن شرعية الخلافة الإسلامية[1] .

وذكر الدكتور محمد عمارة عشرات الأحداث التي تدلُّ على جهل المستشار بأحداث التاريخ ، على سبيل المثال ما ذكره : أنَّ زيد بن عمرو بن نفيل لم يؤمن بالرسول ﷺ مع أنَّه أدركَ الرسالة ، وتوفِّي بعدها بفترة[2] . . فيرد الدكتور محمد عمارة أنَّ زيداً توفي قبل البعثة بأربع سنوات .

وناقش الدكتور محمد عمارة قضيةَ أنَّ الفقه الإسلامي استمدَّ قواعده من الفقه الروماني ، وهي القضية التي أثارها المستشرقون من قبلُ ، فأوضح الدكتور محمد عمارة زيفَ هذه القضية ، وأنّ مدارس الفقه الإسلامي الذي عاشت وانتشرت قد نشأت في الحجاز والعراق بعيداً عن مواطن القانون الروماني ، كما يؤكد الدكتور محمد عمارة أنَّ أول ترجمة عربية لكتابٍ في القانون الروماني كانت عام (١١٠٠م) ، أي بعد أن اكتمل ازدهار الفقه الإسلامي .

١٥ ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبة ـ شهادة ألمانية للقس الألماني جونفرايد كونزلن ، تقديم وتعليق الدكتور محمد عمارة[3] :

أكد الدكتور محمد عمارة في العديد من كتبه ، وكجزء من مشروعه الفكري على أنّ العلمانية لا تصلح للشرق الإسلامي ، لأنها تخالف الخصوصيات الحضارية له ، وهي تعادي الدين ، وتريد القطيعة بين السماء والأرض ، وقدّم العديدَ من الأدلة على رؤيته .

---

(١) سقوط الغلو العلماني ، ص ٩٧ ، ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٧ حيث عدد الدكتور محمد عمارة نماذج من جهل المستشار بالتاريخ والفكر الإسلاميين .

(٣) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، في ٤٧ صفحة .

في الوقت ذاته قدّم لنا الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب بياناً عن مأزق العلمانية في أصل منشئها في أوروبة ، وبقلم كاتب غربي ينتمي لهذه الحضارة .

يذكر الباحث أنَّ العلمانية مثّلت تراجُعَ السلطة المسيحية ، وضياع أهميتها الدينية ، وتحويل المعتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية ، وسيادة مبدأ : (دين بلا سياسة وسياسة بلا دين) وكان من نتائج العلمانية فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً ، وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتعليم .

في نقاشه وتعليقه على هذه الآراء ، يؤكِّد الدكتور محمد عمارة صدقيتها ، وأنّ العلمانية قد وصلت في الوقت الحاضر إلى مأزق خانق وأزمة حقيقية للإنسان والحضارة ، فالقناعات العقلية الأساسية قد غدت مفتقرة إلى اليقين ، والحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها .

وطرح الدكتور محمد عمارة تساؤلاً في غاية الأهمية ، وهو لماذا نجحت العلمانية مع المسيحية في أوروبة ، وفشلت مع الإسلام رغم أنها جاءت مدعومةً لمدة قرنين من الزمان بالاستعمار الغربي؟ ولمعرفة ذلك لا بد من البحث المقارن بين الدينين ، وبين المواريث الحضارية للحضارتين .

وينهي الدكتور محمد عمارة تعليقه على الكتاب بقوله : «إنّ مأزق المسيحية الغربية يدعوها إلى التعلّم من تجربة الإسلام ، لا إلى الصراع مع الإسلام ، كما يدعو المسلمين إلى التعلم من تجربة أوروبة مع العلمانية ، حتى لا نقعَ في المأزق الذي وقع فيه الأوروبيون ، وهذا هو الميدان الحقيقي لمؤتمرات الحوار»[1] .

---

(١) مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبة ، ص ٤٧ .

بذلك يقدم لنا الدكتور محمد عمارة رؤية الآخر الأوروبي للعلمانية التي نشأت وسادت في بلادهم ـ الأوروبية ـ والمآزق التي أصابت المسيحية منها ، وأيضاً المأزق الذي وقعت فيه العلمانية نفسها ، وهذا يدلل على صدقية الرؤى التي طرحها الدكتور محمد عمارة في التحذير من النموذج العلماني ، وفي نقد هذا النموذج.

١٦ ـ التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية[١]:

يعرف الدكتور محمد عمارة التعددية على أنها تنوع مؤسس على تميُّز وخصوصية ، وهي مستويات يحددها الجامع والرابط ، والرؤية الإسلامية قصرتِ الوحدانية على الذات الإلـٰهية وحدها ، دون كل المخلوقات والمحدثات والموجودات ، لذلك فالتعددية في كلِّ الظواهر المخلوقة سنةٌ من سنن الله تعالى.

لذلك يؤكد الدكتور محمد عمارة على أنَّ السبيل الإسلامية التي حددها الإسلام ، وتميّزتْ بها شريعتُه في حلِّ التناقضات بين فرقاء التعددية ، جاءت طبيعتها وآلياتها ومقاصدُها لتكرّس قيامَ هذه التعددية عند المستوى الوسطي ، الذي لا يذهبُ بها إلى إلغاء الآخَرِ ونفيه ، ولا إلى التشرذمِ والقطيعةِ التي لا رابطَ ولا جامعَ يوحِّد بين فرقائها[٢].

وبناء على أنّه بضدِّها تتميّز الأشياءُ ، فإنَّ الحضارة الإسلامية تميّزت بالإيمان بالتعدد ، وطبّقت ذلك في مختلف الميادين ، وعلى كلّ المستويات ، فلو قارنا ذلك مع الغرب وحضارته فسنرى لأيِّ مدًى طبق الإسلام التسامح مع أهل الديانات الأخرى ، بدليل وجود الديانات السابقة على الإسلام في البلاد التي فتحها المسلمون ، وتمتعت هذه الأديان كلّها في

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر ، عام ١٩٩٧م ، في ٦٥ صفحة.
(٢) التعددية ، ص ١٨.

ظل الإسلام بالتعددية التي حافظت على علاقاتها ، فقد طوى الإسلامُ صفحة الحروب الدينية .

وفي الغرب نجد العكسَ تماماً ، فشارلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤م) ، فرض النصرانية على السكسونيين بالسيف ، وغيرُه عشرات الأمثلة ، وهذا ما يؤكّدُ أنه حينما امتدّ نفوذ وحكم الحضارة الغربية ، امتدَّ الإنكار للتعددية ، فالحضارة الغربية لم تعرف التعددية سبيلاً إلى التعايش مع الآخرين .

عمل الغربُ في فترات استعماره للعالم الإسلامي على فرض نموذجه الفكري الحضاري على العالم الإسلامي ، وعلى ضرب النموذج الإسلامي القائم على التعددية الحضارية ، أقاموا مجموعةً من المتغربين للدعوة إلى النموذج الغربي ، كما أقامت المؤسسات التنصيرية مدارسَ وجامعاتٍ لتخرّج أجيالاً مؤمنة بالفكر الغربي ، وتدعو إلى تطبيقه في العالم الإسلامي ، أدى ذلك ـ كما يقول الدكتور محمد عمارة ـ إلى تترُّسِ هؤلاء الأعداء والعملاء في محاولة صرفِ الأمة عن مرجعية الإسلام في المشروع النهضوي : فمن **حداثةٍ** تقيمُ قطيعةً صريحةً مع الإسلام وتاريخه وتراثه ، إلى **مركسةٍ** للإسلام تجعله مجرّدَ بناءٍ فوقي لقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج ، إلى **وضعيةٍ** تفرِّغ الإسلامَ من محتواه كدين ، إلى **علمانية** تعزلهُ عن كل ميادين الاجتماع الإنساني والعمران البشري ، والمحصلة النهائية بجميعها هي إلغاء «التعددية» في المرجعيات الحضارية ، وبذلك لا تتميزُ الحضارة الإسلامية بمرجعيتها المميزة .

ولكنّ التحذير الذي يوجهه الدكتور محمد عمارة هو الخوفُ من أنَّ الأقليات النصرانية التي تدين ببقاء عقائدها وكنائسها للتعددية الإسلامية ، هذه الأقليات تكاد تُخْتَرَقُ من قِبَلِ الغرب ، ويتم تحويلها إلى فيتو ضد حاكمية الشريعة الإسلامية التي ضَمِنَتْ لها وجودَها ، فيجب الحذر الشديد من ذلك .

١٧ ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة[١]:

تواريخ الأمم ومسارات الحضارات عبارة عن دورات متتابعة تحكمُها السننُ والقوانين ، فيها الصعود والهبوط ، والازدهار والانحطاط ، وفي مواجهة مراحل الهبوط والتخلف تفاوتتِ المواقفُ الفكرية .

فيرى الدكتور محمد عمارة أنَّ هناك فريقاً من الناس يستسلم لواقع الهبوط ، ويرى فيه قدراً إلـٰهيّاً أو حتميةً تاريخيةً ، وهذا الفريق يتجاوز نطاق الاستسلام لواقع المأزق إلى تكريسه وتأييده .

وهناك مَنْ يرى في الواقع الهابط ثمرةً للسنن والقوانين التي أفضت إليه ، فيحاول هذا البعض الوعيَ بهذه السنن ، وتوجيه هذه القوانين لتغيير هذا الواقع .

حدد الدكتور محمد عمارة ثلاثة مواقف تكرر فيها هذا الواقعُ الفكري في مسيرة الحضارة الإسلامية خلال القرن العشرين :

أولها : بعد إلغاء أتاتورك للخلافة العثمانية (١٩٢٤م) .

ثانيها : بعد هزيمة (١٩٦٧م) مما أصاب المشروع القوميَّ في مقتل .

الثالثة : عقب حرب الخليج الثانية (١٩٩١م) .

وفي كل حالة من هذه الحالات يرصد الدكتور محمد عمارة موقفين في غاية التباين :

أولهما : يتعامل مع الواقع المأزوم وكأنه واقعٌ مستمرٌّ ، فيبرر له ، ويعمل على تكريس الهزيمة ، والعمل على تطبيع العقل العربي والمسلم على نتائجها ، وتمهيد السبل للنموذج الغربي .

أما الثاني : فقد تعامل أصحابه مع الواقع المأزوم دون تسليم به ، وعمل

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر ، ١٩٩٩م ، في ٦٣ صفحة .

هؤلاء على البحث عن السنن والقوانين الحاكمة للانتصار ، وعملوا على تطبيقها في التعبئة الوطنية والقِومية ، ومثل هذه التيارات ، وتيارات الأصالة المستجدة كلها قد تمثلت في التيارات الإسلامية والقومية والوطنية .

يرى الدكتور محمد عمارة في أصحاب الفريق الأول أنهم احترفوا صناعة تزييف الوعي ، وكلامهم كتاباتٌ صحفية إعلامية لا علاقةَ لها بالدراسات العلمية ، وأظهر لهم أمثلةً من التاريخ لتفنيد منطقهم القائم على التسليم بالواقع .

ويذكر الدكتور محمد عمارة قوله : «فالقليل من الوعي بالتاريخ تاريخ الصراعات بين الأمم والتدافع بين الحضارات كفيلٌ بتبديد مقولات الداعين إلى الاعتراف بالأمر الواقع من كتّاب الصحف ونجوم أجهزة الإعلام»(١) .

في هذا الكتاب عَرَضَ الدكتور محمد عمارة نقاشاً لرأي المفكر محمد جابر الأنصاري في العاهة المزمنة للواقع العربي والإسلامي ، فقد حدد الدكتور الأنصاريُّ عاهتين : عاهة مزمنة في المكان وهي الصحراء ، وعاهة مزمنة في الإنسان وهي البداوة ، ونشأ عن هاتين العاهتين عاهات أخرى؛ مثل : القطيعة المزمنة بين العرب والدولة ، والقطيعة المزمنة مع السياسة ، والقطيعة المزمنة مع القدرة على الدفاع عن النفس ، الأمر الذي جعل التبعية للغير عاهةً عربيةً مزمنةً ، والقطيعة مع صلب العقيدة الإسلامية(٢) .

ناقش الدكتور محمد عمارة هذه الآراء ناقداً لها بالأدلة القاطعة ، ومناقضاً لها في ذات الوقت ، فقدم رؤيته في هذه العاهات ، وبيّن التناقض في الأمثلة التي قدمها الدكتور الأنصاري في توضيح رؤيته ، وبيّن الدكتور محمد عمارة

---

(١) تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة ، ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨ .

القراءة المجتزأة للنصوص التي استعان بها الدكتور الأنصاري؛ مثل: قراءته لبعض نصوص ابن خلدون.

من الجدير بالذكر أن الدكتور محمد عمارة اعترف بفضل الدكتور الأنصاري كواحد من أهم المفكرين المعاصرين الذين يمتلكون مشروعاً فكريّاً متميزاً، وردَّ عليه وناقشه بدافع بيان وجه الحقيقة، ولكنه في الوقت ذاته حذَّر من أن الاجتهادات الخاطئة ـ وهي مشروعة ويؤجر عليها صاحبها ـ قد تخدم الفريق الذي يعمل على تكريس الهزيمة، والإجهاز على آمال الأمة في النهضة وتجاوز المحنة.

١٨ ـ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام[١]:

القضية الأساسية التي يثيرها الدكتور محمد عمارة هنا هي أنّ لكل حضارة مصطلحاتها الخاصة بها، والتي قد تختلف كثيراً في الحضارات الأخرى، لذلك فمن العبث استخدام نفس المصطلحات بنفس المعنى في كل الحضارات، وإن كان هذا يجدي في القليل النادر، ولكنه غير صحيح وغير منطقي في الكثير منها، انطلاقاً من الاختلاف في المرجعية الحضارية لهذه المصطلحات، وتأتي هذه القضيةُ كجزء من المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة في تأصيل المصطلحات والمفاهيم الإسلامية، خصوصاً ونحن بالفعل نعاني من فوضىٰ كاسحة في مضامين المصطلحات، فعلى سبيل المثال: مصطلح (اليسار) يرمز في الفكر الغربي للأجراء والفقراء المعدمين، بينما في الشرق يراد به أهل الغنى واليسر، وكذلك مصطلح (اليمين) الذي يدل في الغرب على أهل التخلف والرجعية نراه في الفكر الإسلامي يدل على الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤م، في ٢٢٢ صفحة.

فيرى الدكتور محمد عمارة أن تحرير وتحديد مضامين المصطلحات ، واكتشاف مناطق الاتفاق ومناطق التمايز في معاني هذه المصطلحات مهمة أساسية وأولية بالنسبة لأي حوار فكري جاد لإنقاذ ثقافتنا من سياسة الاستقطاب ، وهو أيضاً محاولة لإيجاد لغة فكرية واحدة بين الفرقاء المتحاورين ، حيث يؤكد الدكتور محمد عمارة على قوله: «إنّ أغلب حواراتنا هي ضحايا بائسة للفوضى الشائعة في مضامين المصطلحات ، وعلينا كي يفهم كل منا الآخَر ، ولتحديد مناطق الاتفاق ومناطق الاختلاف ، ولتنظيم حوار موضوعي وجاد وبنَّاء: أن نبدأ بتحرير وتحديد مضامين ومفاهيم المصطلحات»[1].

شرح الدكتور محمد عمارة وأَصَّلَ في هذا الكتاب لخمسة وثلاثين مصطلحاً من أهم المصطلحات التي تقابلنا في حياتنا المعاصرة؛ مثل: العلمانية ـ الأصولية ـ العدل ـ التكافل ـ المساواة ـ الذمة ـ الشورى ـ الشريعة ـ الحاكمية ـ التنوير ـ ولاية الفقيه ـ التجديد ـ الإبداع ـ التأويل ـ الهوية ـ الوسطية ـ الوطنية ـ الثورة ـ الجهاد ، فيرى الدكتور محمد عمارة أنّ هناك اختلافاً جذريّاً في الرؤية لهذه المصطلحات سواء بين الشرق والغرب ، أو بين الإسلاميين والعلمانيين.

وهو في شرحه للمصطلح يبين أصول نشأته التاريخية من حيث الزمان والمكان ، كما يبين معناه في الشرق حيث الحضارة الإسلامية ، وفي الغرب حيث الاختلاف الحضاري ، فمثلاً عند تعريف مصطلح (الأصولية) يرى الدكتور محمد عمارة أنه: مصطلح غربي النشأة وغربي المضمون ، ويبين أنها نشأت في الأصل والأساس حركة بروتستنتية التوجه ، أمريكية المنشأ ، والموقف الفكري الذي ميّزها هو التفسير الحرفي للإنجيل وللنصوص الدينية

---

(١) معركة المصطلحات ، ص ٢٢.

الموروثة ، بينما لا نجد أثراً لتعريف الأصولية في المعاجم اللغوية العربية إلا جذر الكلمة بمعنى أسفل الشيء.

وحتى العلماء المسلمون في العصر الحديث حينما استخدموا مصطلح (الأصولية) ، استخدموه بمعنى القواعد الأصولية التشريعية التي استمدّها علماء أصول الفقه من النصوص التي قررت مبادئ تشريعية عامة وأصولاً تشريعية كلية.

وبذلك نجد اختلافا بيناً «قد يبلغ حد التضاد ، بين مفهوم ومضمون مصطلح الأصولية كما عرفته النصرانية الغربية ، وبين مفهوم هذا المصطلح في تراثنا الإسلامي ، ولدى تياراتنا الفكرية ، القديم منها والحديث والمعاصر»[١].

على هذا النهج سار الدكتور محمد عمارة في شرحه لبقية المصطلحات ، فهو انطلاقاً من إيمانه التام والعميق بالخصوصية الحضارية الإسلامية يرى وجوب خصوصية المصطلحات وتمايزها تبعاً لتمايز الحضارات.

١٩ ـ الصحوة الإسلامية في عيون غربية[٢]:

في هذا الكتاب ناقش الدكتور محمد عمارة ثلاث قضايا بالغة الأهمية؛ هي أسباب صعود المد الإسلامي ، وهل الصحوة الإسلامية خطر على الغرب؟ وهل هناك مستقبل للصحوة الإسلامية؟ وقدم لتلك الدراسات تعريفاً واسعاً ومناقشةً مستفيضةً لمصطلح (الأصولية).

فقد رفض أغلب المستشرقين ـ وهو ما أقرهم عليه الدكتور محمد عمارة ـ إطلاق مصطلح (الأصولية) بمعناه الغربي على الحركات الإسلامية ،

---

(١) معركة المصطلحات ، ص ٤٩.

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، في ٦٥ صفحة.

كما رفضوا المساواة بين الإسلام في علاقته بالسياسة والدولة ، وبين الديانات الأخرى ، ونتيجة للدور الإحيائي الأخلاقي والروحي للأصولية الإسلامية فقد رفض أغلب المستشرقين المساواة بينها وبين أصوليات الديانات الأخرى ، وهناك اختلاف شديد في المعنى بين الأصولية بمعناها الغربي وبين معناها في المشرق الإسلامي.

وناقش الدكتور محمد عمارة آراء المستشرقين حول أسباب صعود المد الإسلامي الحديث ، وهناك ما يشبه الإجماعَ في تلك الآراء على أن العالم الإسلامي يعيش أزمة عميقة ، حضارية وثقافية وحياتية ، فتحت الطريق أمام المدّ الإسلامي ، باعتبار الإسلام هو البديل المناسب لذاتية الأمة ، الرافضة لتقليد النموذج الحضاري الغربي بشقيه: الليبرالي الرأسمالي ، والشمولي الاشتراكي ، كذلك فَشَلُ نظم الحكم التي حكمت العالم الإسلامي في حقبة ما بعد الاستقلال ، في حل الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتلك المجتمعات ، فالأصولية الإسلامية هي التعبير عن البديل الرافض للنموذج الغربي العلماني الذي فشل في إنهاض المسلمين.

هل الصحوة الإسلامية خطر على الغرب؟..

ناقش الدكتور محمد عمارة هذه القضية المصاغة بشكل سؤال ، ناقشها بمنتهى الموضوعية والعقلانية ، فالهدف هو الخروج بنتائج فعالة نستفيد منها في تفكيرنا ، وفي بنائنا للنموذج النهضوي ، فهو يؤكد خلال نقاشه لآراء ثلاثين مستشرقاً في هذه القضية على عدة أمور؛ هي:

١ـ خرافة القول بتهديد إسلامي للغرب ، فهي مشكلة مفتعلة.

٢ـ صنع الغرب هذه الخرافة ضمن سعيه لصنع عدو بديل بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

٣ـ لعب الإعلام الغربي والصهيوني دوراً بارزاً في صنع هذه القضية والترويج لها.

٤ـ سوء فهم الغرب لحركات الإحياء والتجديد والنهوض ذات المرجعيات الإسلامية.

٥ـ الجهل بتميز النموذج الإسلامي الحضاري وعلاقة الدين بالسياسة.

٦ـ مخزون الكراهية السوداء منذ العصور الوسطى ضد الإسلام والمسلمين.

وعمل الدكتور محمد عمارة من خلال نقاشه لآراء المستشرقين على الإجابة على سؤال بالغ الأهمية وهو: **هل هناك مستقبل للصحوة الإسلامية؟**.

بداية يذكر الدكتور محمد عمارة على أنه من الخطأ اختزالها في تيار العنف الراديكالي، ذلك لأنها حركة شديدة التنوع مع اجتماعها في إطار المرجعية الإسلامية العامة، والمقاصد الإسلامية العامة، كما أن هذه الحركات وإن انطلقت من الإسلام إلا أن فهمها ومنهاج عملها أوجد فيها العديد من ألوان الطيف الإسلامية، وبناء على دراسة واقع تلك الحركات يؤكد هؤلاء المستشرقون على أهمية الحركات الإسلامية في مستقبل العالم الإسلامي؛ لأن المستقبل هو للتيارات ذات الرؤى الإيمانية والدينية، والإسلام هو محور النهضة ومرجعيتها في العالم العربي والإسلامي.

٢٠ ـ السلفية[1]:

يعترف الدكتور محمد عمارة بأنَّ هذا المصطلحَ يحيط به الغموض وعدم

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار المعارف، سوسة ـ تونس، في ٥٧ صفحة.

التحديد ، وهذا الغموضُ لم ينشأ من الوهم والفراغ ، لأنَّ بعض الذين ينتسبون إلى السلفية جامدون رجعيون ، ومنهم مَنْ هم في طليعة المنادين بالتجديد الديني ، ويرى الدكتور محمد عمارة أنَّ السلفية نشأتْ في العصر العباسي كردٍّ فعلٍ لنشأة المعتزلة أصحاب التيار العقلاني ، وكان على رأس التيار السلفي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) .

ناقش الدكتور محمد عمارة المراحل الثلاث التي مرت بها السلفية :

الأولى: في العصر العباسي ، وكان على رأسها الإمام **أحمد بن** حنبل .

الوسطى: كان على رأسها **ابن تيمية** رحمه الله تعالى .

الحديثة: التي تمثلت في **محمد بن عبد الوهاب** في نجد ، **والسنوسية** في ليبيا ، **والمهدية** في السودان ، ثم دعوة **الأفغاني ومحمد عبده** في مصر ، ودعوة **جمال الدين القاسمي** في بلاد الشام .

والمؤكد أن الحركة السلفية قد تميزت باتساق المنهج ، ووحدة الأصول الاعتقادية والفكرية ، واتفقوا في الإلـهيات واختلفوا في الفقهيات .

ولكنّ سلفية العصر الحديث انقسموا إلى تيارين :

أحدهما: حافظ على المنهج النصوصي للسلفية القديمة .

الثاني: رفع سلطان العقل وبراهينه على سلطان ظواهر النصوص ، وعمل هذا الفريق على استخدام الإسلام في مقاومة الزحف الحضاري الغربي .

ناقش الدكتور محمد عمارة قضية النصّ لا الرأي ، فقد عمل السلفيةُ منذ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى على اتباع النص ، فهم: يرون في وجود النصوص والمأثورات مانعاً من إعمال الرأي فيها ، بصرف النظر عن قطعية دلالتها وثبوتها ، وجاء موقف السلفية من الرأي متّسقاً مع منهجهم النصوصي ، الذي ينحّي العقل جانباً طالما وجدت النصوص والمأثورات ،

وهم يرون أنَّ هذه النصوص والمأثورات قد أحاطت بحكم كل الحوادث: الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن ثَمَّ فهم لا يرونَ حاجةً للقياس ، كما أنّه لا حاجةَ للرأي ، واتساقاً مع منهجهم هذا فقد رفضوا التأويل ، وقالوا: إنّه هو الذي أفسد سائر الأديان ، كما أنّهم رفضوا ذوق الصوفية وَوَجْدِهم ، لأنها أمور ذاتية تختلف باختلاف أهواء صاحبها وما يحبه وما يهواه ، ورفضوا ما يسميه المتكلّمون حقائق عقلية ، لم تشهد عليها السمعيات.

وناقش الدكتور محمد عمارة الفكر السياسي عند السلفية ، وخرج من ذلك بقوله: «هكذا قنن أعلامُ السلفية تطوّر الفكر السياسي والقانوني ، فربطوا بين العادل منه والشريعة ، واضعين أنظارهم على مقاصد الشريعة ، جاعلين هذه المقاصد هي المعيار لما يقبل وما يرفض من القوانين والأحكام التي توضع ، والتي وضعت لما استجدّ بعد عصر التنزيل والبعثة من المحدثات»[١].

ولكن في الوقت ذاته نرصدُ آثاراً متناقضةً للسلفية من بعض الأمور السياسية ، مثلاً يرى بعضهم: أنَّ الوالي أو الحاكم هو وكيل عن الأمة ، وهم بذلك يجعلون الأمة هي مصدر السلطات ، ومما يناقض ذلك أنَّ بعض الآثار الفكرية لهم تتحدث عن أنَّ السلطان ظل الله في الأرض ، وهي مقولةٌ الشريعةُ بريئةٌ منها لفظاً ومضموناً.

ويرى الدكتور محمد عمارة أنَّ موقف السلفية المعادي للثورة هو أثر من آثار تحول الواقع الظالم إلى أمر معتاد أصبح يمارس سلطاناً على الفكر ، حتى دعا هؤلاء الأعلام إلى تغيير الفتوى من مشروعية الثورة إلى التحذير منها ، تبعاً لتغير هذا الواقع.

وذكر الدكتور محمد عمارة وناقش آراء أئمة السلفية في هذا الموضوع؛

---

(١) السلفية ، ص ٤٤.

مثل: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، والإمام ابن تيمية، وابن قيم وغيرهم.

ويرى الدكتور محد عمارة أنّ أعظمَ مدارس السلفية هي تلك التي قادها الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وعبد الحميد بن باديس، فهؤلاء قد ذهبوا في عقائد الدين وأصوله مذهب السلفيين القدماء، وفي مشكلات الدنيا وقضايا الحضارة ذهبوا نحو العقل مثل المعتزلة: «فكان تجديدها للدين وتحريرها للعقل وتبشيرها بحضارة عربية إسلامية متميزة»[١].

٢١ ـ إسلاميةُ الصراع حول القدس وفلسطين[٢]:

لفلسطين مكانتها الكبيرة في قلوب المسلمين جميعاً، ويحتلُّ الصراع العربي الصهيوني حول فلسطين مكانته الأولى في الأولويات عند المسلمين، وكان أول مقال كتبه الدكتور محمد عمارة في حياته وهو ما زال طالباً في المرحلة الابتدائية كان عن فلسطين، ونشره في مجلة (مصر الفتاة)؛ وفي هذا البحث يحدثنا الدكتور محمد عمارة عن بعض النقاط المهمة في القضية الفلسطينية.

وهو يحدد في البداية المقصود بالخطاب هنا، فهو ليس موجهاً إلى الذات، وإنّما الخطاب موجه بالحوار إلى الذين ينكرون إسلامية القدس، وإسلامية قضيتها، وإسلامية الصراع حولها، وإسلامية آليات تحريرها، فالخطاب موجَّه إلى الذين يريدون علمنة الصراع حول القدس وتجريده من طبيعته الإسلامية.

يبدأ الدكتور محمد عمارة في تحديد طبيعة المشكلة، فهي ليست مع

---

(١) السلفية، ص ٥٢.

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨م، في ٣٨صفحة.

اليهودية ولا مع التوارة التي جاء بها موسى عليه السلام ، كما أنَّ المشكلةَ ليست مع الإنسان اليهودي ، ذلك لأنّ حضارتنا الإسلامية تؤمن بالتعددية ، وإنَّما المشكلةُ مع الصورة التلمودية لليهودية؛ تلك التي نسخت ومسخت توحيد اليهودية ، «فحولته إلى وثنية أحلَّت يهوه محل الله ، ثم جعلته إلـٰهاً لبني إسرائيل وحدهم ، من دون الشعوب الأخرى ، التي لها آلهتها المغايرة والمتعددة»[1] كذلك فالمشكلة مع المشروع الصهيوني الذي وظف إمكانات الجماعات اليهودية في الشراكة مع الزحف الاستعماري الغربي على العالم الإسلامي ، وهذا كله يؤكد البعد الديني للصراع حول القدس.

كما أنَّ المقاصدَ الدينية للمشروع الصهيوني معلنةٌ ، فالوظيفة الصهيونية تصل آفاقها واختصاصاتها إلى الإسلام ويقظته ، فإيران وتركيا ليستا دولاً عربية ، ولكنهما ليستا خارج المخطط الصهيوني بحكم أنهما دولتان إسلاميتان ، فإسرائيل تتبنّى مشروع تفتيت العالم الإسلامي إلى كانتونات صغيرة مفككة ، لجعله ضعيفاً باستمرار ، كما أن إسرائيل وباعتراف قادتها تعملُ على الاستعانة بالأقليات الدينية في العالم الإسلامي ، لذا ينتهي الدكتور محمد عمارة إلى تأكيد أنَّ المواجهةَ مع الإسلام وأمته وعالمه وحضارته لا تستطيعُ أن تُسْقِطَ البعدَ الديني في قضية فلسطين.

وطرح الدكتور محمد عمارة عدة تساؤلات في هذا المجال هي :

١ـ ماذا تعني إسلامية هذا الصراع؟ .

٢ـ هل تعني إسقاط أو حتى تهميش البعدَ الوطنيَّ الفلسطيني ، وإهمال طاقاته وإمكاناته في هذا الصراع؟ أو الاستغناء بالبعد الإسلامي عن البعد القومي العربي لهذا الصراع[2]؟ .

---

(١) إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين ، ص ٦.
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣.

فيرى الدكتور محمد عمارة أن إسلامية الصراع واقع يضيف الإمكانات الإسلامية للإمكانات الوطنية الفلسطينية ، وكذلك للطاقات القومية العربية ، وذلك حسب الدوائر الثلاث للإنسان المسلم ، وهي: الوطنية ، والقومية ، والإسلامية.

ويذكر الدكتور عمارة مؤيداً رأيه بالأدلة التاريخية وبعشرات النماذج من أحداث التاريخ: **أن كل معارك التحرر الوطني الإسلامي في العالم الإسلامي بدأت إسلامية ، وكانت تتغذى على الميراث الديني والميراث الحضاري الإسلامي ، ولم تنفصل التضحية في سبيل الوطن عن الجهاد في سبيل الله**؛ لذا يحذر الدكتور محمد عمارة من علمنة الصراع؛ لأنه بذلك يفتح المجال أمام الذين يرون في الإسلام الخطر المحدق وبالتالي سيدفعهم إلى الخندق نفسه الذي يقف فيه الصهاينة [1]، لذلك فإن إنكار البعد الإسلامي للصراع حول القدس وفلسطين والدعوة إلى علمنة الصراع يعتبر نوعاً من التزييف والتزوير لوعي الأمة الإسلامية.

٢٢ ـ القدس بين اليهودية والإسلام [2]:

امتداداً لاهتمام الدكتور محمد عمارة بالقضية الفلسطينية وبالقدس ، يناقش هذا الكتاب موقع القدس بين اليهودية والإسلام ، وموقف كل دين منها ، وخصوصاً وأنّ الكتابات العربية والإسلامية عن القدس كثيرةٌ جدّاً ، ولكنْ في الوقتِ ذاته فإنَّ الدراسات عن دعاوى اليهود والصهاينة والدراسات الغربية عن الحقِّ اليهودي في القدس؛ هذه الدراسات نادرةٌ ، وعلى المسلمين مناقشة مثل هذه القضايا ، مستخدمين المنطق العقلي ، والبراهين

---

(١) وهذا ما حدث مع من وقعوا اتفاقية أوسلو (ن).

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، في ٥٣ صفحة.

التحليلية في نقاشهم لهذه القضايا ، ولا نكتفي بترديد المأثورات الإسلامية حول القدس مثلاً ، فمن غير المجدي محاولةُ إقناع هؤلاء بالحق الإسلامي في القدس مستخدمين القرآن والسنة النبوية ، وهم في الأساس لا يؤمنون بالقرآن ولا بالسنة .

من هذا المنطلق تأتي أهميةُ هذا الكتاب الذي عمل الدكتور محمد عمارة فيه على مناقشة بعض الوثائق التي كتبها غلاة الحركة الصهيونية حول الحقِّ المزعوم لهم في القدس الشريف .

فتركز الادعاءات الصهيونية على عدة أمور ؛ يمكن إجمالها في الآتي :

١ـ إن القدس أعظم مدينة دينية بالنسبة لليهودية .

٢ـ إن اليهود عرفوا القدس وسكنوها قبل العرب الفلسطينيين بمئات السنين .

٣ـ إن القرآن الكريم لم ترد فيه كلمة القدس ولا مرةً واحدةً .

٤ـ يؤكد اليهود على أنَّ القدس والاهتمامَ بها اختفى فعليّاً من خريطة الدبلوماسية العربية في الفترة من (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧م) ، ولم تستعد القدس أهميتها في الفكر الإسلامي والعربي إلا نتيجة اهتمام الحركة الصهيونية بها .

عمل الدكتور محمد عمارة على الرد على هذه الادعاءات مستخدماً المنطلق العقلاني ، وإبراز الحجج في رده ، ومستعيناً بالمنهج العلمي الصارم ، يقول : يجب أن نتجرد من منطق صاحب الحق الذي يخاطب ذاته ، فنتحّدث بالمنطلق الموضوعي البارد الذي يفنّدُ حجج الخصوم ، بمنطق هؤلاء الخصوم ، وبلغة العلم وعقلانية الفكر لا بالعواطف أو حتى بمأثوراتنا الدينية الخاصة التي لا يؤمن بها الآخرون[١] ، بهذا المنهج نجح

---

(١) القدس بين اليهودية والإسلام ، ص ٢٤ .

الدكتور محمد عمارة في تفنيد مزاعم الصهيونية تجاه القدس.

٢٣ ـ في المسألة القبطية: حقائق وأوهام[١]:

في المقدمة يؤكد الدكتور محمد عمارة على بعض الأساسيات التي يؤمن بها، ومنها الوحدة الوطنية، والتعددية داخل الحضارة الإسلامية في كلِّ شيءٍ ما عدا الوحدانية الإلـهية، وأنَّ كل الفرقاء الذين تمايزوا في الدين والمذاهب واللغات والأقاليم أسهموا في صناعة الحضارة الإسلامية، لذا فعلينا أن نميِّزَ داخل الأقليات بين نوعين من الناس، هما: الأكثرية التي انحازت لثوابت الأمة ودافعت مع المسلمين عنها، والأقلية التي ارتمت في أحضان الغرب.

جاء هذا الكتابُ لعرض قضية شائكة مهمة جدّاً، وهي انتماء الأقليات، والتحذير من المخططات الرامية لاستقطابهم للعمل ضد الوطن، سواء من جانب الغرب أو من المؤسسات التنصيرية، أو من جانب الحركة الصهيونية الرامية أيضاً إلى التعاون مع الأقليات لتفتيت وحدة الوطن.

واتخذ الدكتور محمد عمارة الأقباط المصريين دراسةَ حالةٍ، واستخدم الأرقام التي تؤكِّدُ أنَّ عددهم في مصر (٦ ٪) من سكان مصر، وهم رغم ذلك يملكون (٤٠ ٪) من ثروات وخيرات مصر، وعلى الرغم من ذلك وُجِدَ في الأقباط ـ أقباط الهجر ـ من يلجؤون إلى الغرب لطلب الحماية، بحجة اضطهادهم، وهم أنفسهم الذين يعملون على إحياء اللغة القبطية لتحلَّ محل العربية، كما أنّ منهم من يقيمُ المنظمات القبطية لتحريرِ مصر ـ حسب قولهم ـ من الاحتلال الإسلامي.

أشار الدكتور محمد عمارة في البداية إلى المخطط الأمريكي الذي وضعه المستشرق اليهودي برنارد لويس، الهادف إلى تفتيت البلاد الإسلامية

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة الشروق ـ القاهرة، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م، في ١٥١ صفحة.

لكيانات صغيرة هشة حتى يتحقق الأمنُ لإسرائيل ، والسلاح الأساسي لها هو الأقليات القبطية، وإذكاء النار داخلها، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال؛ لذلك حذّرَ الدكتور محمد عمارة من انسياق الأقباط وراء هذا المخطط ، لأنّه في النهاية يؤدي إلى القضاء على وحدة الوطن وسلامته ، أضف إلى ذلك أن هؤلاء ينكرون ما قدّمه لهم الإسلام من حرية ومساواة وعدالة.

طرح الدكتور محمد عمارة العديد من الأسئلة؛ مثل: هل أقباط مصر مضطهدون؟ وأجاب على تلك التساؤلات بأحداث التاريخ ، وبالأرقام والإحصاءات ، وأيضاً بذكر أقوال زعماء الأقباط أنفسهم ، كما أنّه يعودُ لمصادر كتبها مستشرقون أجانب ليدلل من خلالها على الحقيقة الواضحة ، والتي يغمض الكثيرون أعينهم عنها ، وهي: أنَّ الأقباط في مصر عاشوا في ظل الإسلام حياةً مساويةً للمسلمين تماماً، فلم تقع عليهم مظالم ولا اضطهادات، بل عاشوا إلى جانب المسلمين لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، وهو ما يؤكد عليه قول الشيخ الغزالي: «إنَّ أقباط مصر هم أسعدُ أقلية في العالم».

هنا نجد الدكتور محمد عمارة يطلِقُ تحذيره من أنَّ مصر مستهدفةٌ بمخطط أمبريالي صهيوني للتفتيت ، ومعها كلُّ بلاد العالم الإسلامي ، هذه الصرخةُ تأكدت في الوقت الحاضر من خلال المحاولات الأمريكية الدؤوبة في تقسيم العراق ، وتقسيم السودان ، وتقسيم لبنان ، والبقية تأتي ، وهو المخطط نفسه الذي وضعه برنارد لويس في نهايات الأربعينيات في القرن الماضي ، لذا فالخوف من استقواء الأقليات بالغرب ، ومن سياسة الاستقطاب الرامية لتجنيد تلك الأقليات لخدمة المخطط الغربي.

٢٤ ـ فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية[1]:

صاحبت هذا الكتاب ضجةٌ كبيرةٌ أدّت لسحب المجلس الأعلى للشؤون

(١) صدر هذا الكتاب عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، عام ٢٠٠٦م ، في ١٢٠ صفحة.

الإسلامية ـ وهو الناشر ـ النسخَ من السوق ، كما منع الدكتور محمد عمارة من كتابةِ مقاله الأسبوعي بجريدة (الأخبار) المصرية ، وهاجَ عليه الأقباط والعلمانيون تجريحاً واتهاماً.

يؤكد هذا الكتاب في البداية على مجموعة من الأمور؛ منها:

١ـ أن الإسلام ليس فيه سلطةٌ دينيةٌ ، بل إنّ سلطته هي الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير ، وليس لمسلم مهما علت مكانته في الإسلام من سلطةٍ على أيِّ مسلمٍ آخر مهما انحطت منزلته ، إلا حق النصيحة والإرشاد.

دعا الدكتور محمد عمارة إلى صيانة الإيمان من التكفير العبثي ، ومن عبث التكفيريين ، وهنا يأتي دورُ العلماء والمفكرين في معالجة هذه النزعة التدميرية ـ نزعة التكفير ـ وهو يورِدُ عِدّةَ نماذج لتكفير الصوفية من جانب بعض العلماء؛ مثل: ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب.

كما أنه يؤكد أنَّ تراث الشيعة في المصادر المعتمدة تعمّه فاحشة التكفير ، ويقرر الدكتور محمد عمارة أنَّ الجميع قد سقط في هذا المستنقع.

منْ هنا كانت دعوته لحوار الحكماء يُعقَدُ بعيداً عن العامة ، وعن وسائل الإعلام ، للدعوة لإصدار فتوى جماعية بتحريم توجيه تُهم التكفير وما يتصل بها لأيِّ مذهبٍ من مذاهب الأمة.

كما دعا الدكتور محمد عمارة إلى التقريب بين المذاهب باعتبار ذلك هو الميدان الحقيقي للجهاد الفكري لمواجهة الفتنة التي تهدد وحدة الأمة ، هذا التقريبُ يجب أن ينطلق من التمايز بين هذه المذاهب باعتبارها اجتهادات داخل الإطار الإسلامي ، وهذا التقارب ينفي الدمج ، كما يرفض نفي أي واحدٍ من المذاهب.

يرى الدكتور محمد عمارة أن الأمم في مختلف بلدان العالم تسعى نحو التقارب والتضامن فيما بينها انطلاقاً من التحديات والضرورات الحياتية لهذه

الأمم ، ولكن حال الشعوب الإسلامية في ضوء هذه الظاهرة يدعو للأسى والأسف ، وهذه الفرقة هي التي مكنت الأعداء من نهب ثروات الأمة .

لذا جاءت دعوة الدكتور محمد عمارة لعلماء الأمة في وجوب العمل على توحيد أمة الإسلام في ضوء خمسة جوامع ؛ هي :

١ ـ وحدة العقيدة.

٢ ـ وحدة الشريعة.

٣ ـ وحدة الحضارة.

٤ ـ وحدة الأمة.

٥ ـ وحدة دار الإسلام.

ولكن ما أثار الضجةَ حول الكتاب هو تلك الفقرة التي اقتبسها من حجة الإسلام الغزالي ، وهي لتأكيد تكفير من لا يشهد بأن لا إلـه إلا الله ، وهذه الفقرة هي : **الكفر** : هو تكذيب الرسول ﷺ في شيءٍ ممّا جاء به ، **والإيمان** : بتصديقه في جميع ما جاء به ، **فاليهود والنصارى كفّار بدين الإسلام لتكذيبهما الرسول** ﷺ . فانطلقت حملةٌ شرسةٌ ضد الدكتور محمد عمارة من اليسار والعلمانية والأقباط ، واعتبروا ذلك دعوة وفتوى لإباحة دم النصارى ، وأنّ هذا يؤدّي للفتنة والاضطراب ، بل دفع ذلك بعضَ الكتاب الأقباط لجعل الدكتور محمد عمارة مسؤولاً عن الفتنة الطائفية التي حدثت في الإسكندرية .

وتقدّمت الكنيسةُ الأرثوذكسية المصرية ببلاغ للنائب العام المصري لاتهام الدكتور محمد عمارة بازدراء المسيحيين والمسيحية ، والتحريض على الفتنة الطائفية ، واستباحة دماء المسيحيين ، ورأى مقدمو البلاغ أنَّ الدكتور محمد عمارة لم يكتفِ بإقرار الكفر للمسيحيين ، بل إنه أعطى الحكم الواجب تنفيذه بناءً على هذا الكفر .

ونسوا جميعاً أنّ الدكتور محمد عمارة في العديد من كتبه يدعو إلى

التعددية داخل المجتمعات الإسلامية ، ويعتبرها سنةً من السنن الكونية ، ويُرْجِعُ إليها الفضلَ في وجود الأقليات داخل العالم الإسلامي .

ويدعو الدكتور محمد عمارة في نهاية الكتاب إلى تهذيب كتب التراث في كلِّ المذاهب الإسلامية ، وذلك بتطهيرها من كلِّ أحكام التكفير لمن يشهد بشهادة التوحيد[1] .

* * *

(١) **قلت**: ليس من حق أحد أن يتصرف بتراثنا حذفاً أو تحريفاً أو زيادة ولو سمّى ذلك تطهيراً ، إنه عبث وإفساد ، فلندع تراثنا كما هو ، ولكن لنكتب نحن لأجيالنا بروح جديدة وأسلوب جديد يتلاءم مع عقولهم وعلومهم وعصرهم ، ولا يتناقض مع النصوص الثابتة في الكتاب والسنة (ن).

المبحث الثالث

عقلانية الفكر الإسلامي

انطلاقاً من اهتمام الدكتور محمد عمارة بعقلانية الإسلام ووسطيته ، وهو لب المشروع الفكري له ، عمل على البحث في تراث الإسلام المعرفي والفلسفي ، ليؤكد هذه الفكرة ، وليؤكد وجود الجذور التجديدية للفكر الإسلامي ، فاهتم بالمعتزلة وفكرهم ، واهتم اهتماماً بالغاً بابن رشد ، وله عنه أكثر من كتاب بالإضافة لتحقيقه عدة نصوص له .

وكان هذا الاهتمام مبعثاً لكثير من الاتجاهات السلفية على توجيه العديد من الاتهامات للدكتور عمارة؛ منها: **الغلو في العقلانية** ، وأنّه يعمل على بعث فكر المعتزلة في العصر الحديث ، ولكن هذه الاتهامات الجزافية المتسرّعة لم توقف المشروع الفكري للدكتور عمارة ، ولم تكن إلا دافعاً له للاستمرار في إكمال مشروعه ، لتبصير المسلمين بماضيهم الحضاري الجميل ، ليكون ذلك باعثاً لهم على اتخاذه أرضية للبعث والتجديد في الفكر الإسلامي الحديث ليتواءم مع عصرنا الحاضر .

٢٥ ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية[١]:

منذ البداية يؤكد الدكتور محمد عمارة على أن قضية الجبر والاختيار من القضايا التي شغلت بال المسلمين منذ فترات مبكرة من تاريخ الإسلام ،

---

(١) صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة ، عام ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، في ٢٠٢ صفحة .

وكانت المصطلحات المعبرة عنها هي: الجبر والاختيار، وليس الحرية والاستبداد، كما هو في وقتنا الحاضر، مما أدى لنفي عدد من الباحثين أنّ يكون المسلمون قد ناقشوا هذه القضايا، لذلك يرى الدكتور محمد عمارة أن تغير مصطلحات البحث لا يصحُّ أن يكون مبرراً للحكم بتغير المضامين التي وضعت تحت هذه المصطلحات.

ويرى الدكتور محمد عمارة أهمية بلورة نظرية المعتزلة خصوصاً القائلين بالعدل والتوحيد عموماً في الحرية الإنسانية، حتى يكونَ لهذه النظرية دورٌ كبيرٌ في الثورة الفكرية والثقافية المطلوبة والمرغوبة عند المسلمين.

ناقش الدكتور محمد عمارة بدايةَ نشأةِ فكرة حرية الإنسان في الإسلام، وبدأ بما قاله المستشرقون، وما وقعوا فيه من تناقضات كثيرة، فالمستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نلينو (١٨٧٢ ـ ١٩٣٨م) الذي كتب عدة أبحاث عن المعتزلة، فهو يُرْجعُ هذه الفكرة إلى اللاهوت المسيحي، وهو ما يعني إنكاره لأصالة هذا الفكر في التراث الإسلامي، ولكن مستشرقاً آخر هو كارل هينرش بيكر (١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م) حدد بدقة ما أخذه المعتزلة من التيارات الفكرية غير الإسلامية من أدوات الجدل والصراع الفكري، بينما ظلت الفكرة الأساسية ذات جذور إسلامية، ثم ناقش آراء المسلمين في هذه الفكرة، وقدّم عدة أدلة تثبت أصالة فكر الحرية والاختيار في تراث العرب المسلمين، وهو ما يعني أن العرب لم يبدؤوا من فراغ، بل كان هناك مراحل فكرية مروا بها بصدد هذه القضية، ولم يكن المعتزلة وحدهم هم من يقولون بالعدل والانتصار لحرية الإنسان واختياره، فهناك فرق إسلامية عديدة شاركتهم في هذا المجال، مثل: بعض فرق الخوارج، وتيار كبير من الشيعة الإمامية، وكذلك الزيدية.

ناقش الدكتور محمد عمارة الفرقَ المجبرة في الإسلام وقال: إنها بدأت منذ العصر الأموي في صورة أفكار ذات أهداف سياسية تعمل على أن يكون

لها مسحة من الدين حتى تبرزَ أمام الناس تلك التحوّلات السياسية التي نقلت الخلافة من الشورى إلى الوراثة ، كما ناقش جبريةَ فرقة الجهمية التي تُنْسَب إلى جهم بن صفوان ، وغيرها من الفرق الأخرى التي ظهرت بعد ذلك.

ناقش الدكتور محمد عمارة الأصول الخمسة التي يقول بها القائلون بالعدل والتوحيد عموماً والمعتزلة خصوصاً ، وهذه الأصول هي:

١ ـ أصل العدل.

٢ ـ أصل التوحيد.

٣ ـ أصل الوعد والوعيد.

٤ ـ أصل المنزلة بين المنزلتين.

٥ ـ أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي مسألة أن الإنسان خالق أفعاله ناقش رأي المعتزلة في ذلك ، ذاكراً أنّهم حسموا هذه القضية ، وكانوا شديدي الإنكار للمواقف التوفيقية والتلفيقية التي تعتني صياغاتُها بالإيمان بالجبر وتكريسه ، وتؤكد نظريتهم على مسؤولية الإنسان عن أفعاله ، بأنّ هذه المسؤولية قائمة على أساسٍ من منع الإنسان لهذه الأفعال ، وخلقه واختراعه لهذه الأفعال.

ناقش الدكتور محمد عمارة هذه النظرية وفقاً لنقاط ثلاث ، وهي:

١ ـ عناصر النظرة المتكاملة للمشكلة.

٢ ـ أبرز أدوات الحرية الإنسانية.

٣ ـ الشمول في التطبيق.

وبناء على ذلك ميزوا بجلاء واضح بين فعل الله وفعل الإنسان ، وساقوا على ذلك عِدَّةَ أمثلة؛ مثل: الأفعال المتصلة والمنفصلة ، وخلق الأدوات واستخدامها ، كما فرقوا بين المادة الخام التي جعلوها من خلق الله سبحانه وتعالى ، وبين صنع الإنسان في تحويل هذه المادة ، كما فرقوا بين قدرة الله

سبحانه وتعالى ، وهي قدرة غير متناهية ، وبين قدرة الإنسان المتناهية .

وتحدث المعتزلة في قضية الأموال ففرقوا بين ما أحل الله للإنسان وبين ما حرم عليه من متع الحياة ، وقضية علم الله ، فالله علم أهل الجنة وعلم أهل النار؟ فهل كان لهذا العلم تأثير في طاعة الإنسان وعصيانه؟ رفض أهل العدل والتوحيد ذلك وقالوا: إن علم الله وقع على اختيار الإنسان ، فلقد علم الله ما سيختاره الفاعل ، ثم أخبر عن مصيره بناءً على علمه بما سيفعله باختياره .

ومن أهمّ الموضوعات التي ناقشها في الكتاب البعد السياسي للحرية ، والبعد الاجتماعي للحرية ، فقد مارس المعتزلةُ نشاطاً سياسيّاً وثوريّاً واسعاً ، ويذكر الدكتور محمد عمارة: أنّ قمة نشاطهم السياسي والعسكري والفكري ضد السلطة الأموية متمثلة في مساهمتهم مع الشيعة في إسقاط الحكم الأموي ، وكان للمعتزلة تنظيمٌ استخدموه كسلاحٍ في سبيل تدعيم كيانهم ونشر أفكارهم ، ولقد شمل التنظيمُ أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي بسبب الطابع السياسي لأفكارهم ونشاطهم ، لقد آمن المعتزلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمستوياتهما المختلفة ، موعظةً ونقداً وثورةً ، وكانا مبنيين في الجملة على القيم والمبادئ والأفكار ، لا علىٰ العصبيات القبلية أو الجنسية أو المذهبية .

ويذكر الدكتور محمد عمارة بعد تقديمه للعديد من الأفكار السياسية عند المعتزلة أنّ السياسةَ كانت ميداناً من الميادين الرئيسة التي أبدع فيها المعتزلة ، وقدموا فيها العديد من النصوص والصياغات ، ففكرهم حول الحرية والاختيار كانت له أبعاد سياسية؛ مثل: موقفهم من الإمامة ، فقد قرروا أنّ الإمامةَ بالاختيار ، وأنَّ أسلوب هذا الاختيار يختلف ويتطور مع الأوقات والأزمنة ، ورفضوا مبدأ عصمة الإمام ، وأعطوا الأمة الحقَّ في عزل الإمام إذا أخل بشرط من الشروط المطلوب توافرها فيه .

وفي الكتاب صفحات عن البعد الاجتماعي في فكر المعتزلة ، فأكد على

وجود أفكارٍ حول هذا الموضوع ، ولكنّها متناثرةٌ في كتبهم تحتاجُ لاستقصاء كبير ودقيق ، ومن الأدلة على وجود هذا البعد الاجتماعي عندهم: وجود إشارات تثبت وجود الفكر الاجتماعي في التراث العربي الإسلامي المبكر ، والحديث الموجز عن بعض القضايا الاجتماعية التي عالجوها في ضوء حرية الاختيار.

لقد قدم الدكتور محمد عمارة صفحة رائعة من التراث العقلاني للأمة ما أحوجنا إلى أن نتواصل معه ، حتى لا نفرّط في هذا التراث الذي يجب أن يكون القاعدة التي ينطلق منها التجديد للفكر الإسلامي.

٢٦ ـ المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد[١]:

أشار الدكتور محمد عمارة في المقدمة إلى تلك المحاولات التوفيقة التي تجري للبحث في النصوص المقدسة عن أصول لمكتشفات العلم الحديث ، في الوقت نفسه التي تجري فيه بين المفكرين القائلين بالتصور المادي للكون ومحاولاتهم الاجتهادية للتنقيب بين أصل الأديان الكبرىٰ ومعتقداتها ، وإماطة اللثام عن العديد من القيم والأفكار والمعتقدات وإعادة تقديمها في شكل جديد. . ويؤكد الدكتور محمد عمارة في هذه المقدمة المهمة على أنّ محاولات التوفيق ما بين البرنامج النضالي للاشتراكيين العلميين وبين البعد الإنساني للدين دون المساس بالجانب الميتافيزيقي للدين ، لذلك يعتقد الدكتور محمد عمارة بجدوى هذه المحاولات الاجتهادية ، ويطرح الدكتور محمد عمارة سؤالين هما جوهر هذا الكتاب ، وهما:

ـ هل من الممكن أن يكون الإنسانُ ماديّاً ، وفي الوقت ذاته مؤمناً (أي معتقداً بوجود قوة فاعلة في هذا العالم ومهيمنة عليه)؟.

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار المعارف ـ القاهرة ، ط ٢ ، عام ١٩٨٣م ، في ١١٠ صفحة.

ـ وهل في الفكر الفلسفي الإسلامي منهج وتصورات وجهود فكرية تصلح أن تكون منطلقات لجهود فكرية معاصرة؟ .

يجيب عن هذا السؤال ـ الأخير ـ بالإيجاب .

يعتقد الدكتور محمد عمارة أن هناك نموذجاً يصلح لذلك هو الفيلسوف المسلم أبو الوليد ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨م) ، فعنده تصور واضح ومحدد وخصب للكون وللعالم .

يرى الدكتور محمد عمارة من خلال ما قدمه من فلسفة ابن رشد أنه يمتلك صياغات فكرية تصلح أساساً لنظرية متميزة فيما يتعلق «بنظرية المعرفة» ، وقدم أرضية لقاء مشترك بين التصور المادي والتصور المثالي الديني لهذه الموجودات والأشياء ، أما لماذا ابن رشد؟ ذلك أنه ليس كابن رشد من بين فلاسفتنا العرب المسلمين من طرق هذا الباب ، فقدّم نظرةً شبه متكاملة تستطيع أن تجيب بالإيجاب عن السؤال المطروح سابقاً .

وقد مكن ابن رشد من ذلك ـ حسبما يرى الدكتور محمد عمارة ـ عدة عوامل ، هي :

١ ـ مكان ابن رشد من الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية .

٢ ـ المنهج الذي استخدمه إزاء التأويل ، ومراتب الناس ، وأصناف الكتب .

٣ ـ حرصُه على التوفيق ما بين الحكمة والشريعة من على أرض الفلسفة ، حتى يأتي التوفيقُ بفكرٍ فلسفيٍّ جديد ، ويبرأُ من داء التنازلات والحلول الوسط .

لذلك قدم الدكتور محمد عمارة عدة قضايا ؛ وهي :

١ ـ ابن رشد الشارح لفلسفة أرسطو .

٢ ـ منهج ابن رشد.

٣ ـ ابن رشد والفلاسفة القدماء.

٤ ـ شرح عدة موضوعات من خلال فلسفة ابن رشد، مثل: أزلية الطبيعة، وعلاقة الفكر بالمادة، ونظرية المعرفة، ثم الذات الإلـٰهية عند ابن رشد.

فيرى الدكتور محمد عمارة في هذه القضية أنّ ابن رشد: «وفق توفيقاً مبدئيّاً وموضوعيّاً بين موقف الفلسفة من هذه القضية وبين النصوص القرآنية، بعد تأويلها وسبر أغوار باطنها»[(١)].

كما نجدُ في الكتاب مناقشةً لموقف ابن رشد من **وحدة الوجود** من خلال النفس بين الوحدة والكثرة، الوجود الحي.

ثم ختم **بنظرية المعرفة** عند ابن رشد، حيث يرى الدكتور محمد عمارة أنَّ ابن رشد سبق الفكر الفلسفي المادي إلى تحديد بعض الأسس الجوهرية لهذه النظرية، وقام منهج الدكتور محمد عمارة على تقديم النصوص وتفسيرها وقراءتها وتوضيح دلالات النص للخروج بنظرية جامعة.

ختم الدكتور محمد عمارة الكتاب بتقديم جدول بكافة أعمال ابن رشد، وهو في حدِّ ذاته له دلالات عميقة على فكر واهتمامات ابن رشد المعرفية في كافة المجالات.

* * *

---

(١) المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، ص ٥٤.

المبحث الرابع

استلهام التاريخ

يمثّل التاريخُ أهميةً كبرى في مشروع الدكتور محمد عمارة الفكري ، فهو المَعين الذي لا تنضبُ أحداثه ووقائعه ، فيلجأ إليه الدكتور محمد عمارة مستمدّاً منه المثل والنموذج ، فهو الملجأ الذي يعود إليه مستشهداً ومعللاً ، فالتاريخ يقدّم النموذج المعاش بعيداً عن النظريات ، وفي التاريخ وأحداثه ووثائقه ما يمكن أن يكوِّن وعي الأمة ، وتبحث فيه عن القدرات الحقيقية لهذه الأمة ، هذه القدرات التي يجب أن تمثّل أرضيةَ الانطلاق نحو آفاق واسعة من التطور ، فالتاريخُ يشهدُ بقدرات الاستجابة والتحدي إحدى قدرات الأمة التي أثبتها التاريخ ، والوعي بالتاريخ وأحداثه صناعة للتاريخ ، فهو يرى أنه لو عدنا لاستخلاص العبر من أحداثه لتقدّمنا خطواتٍ نحو المستقبل ، ولو عدنا لحالات الصراعات والتحديات التي فُرِضَت علينا فرضاً في مراحل كثيرة لأمكننا أن نخرجَ بقانونِ الصراعِ الذي نستفيدُ منه في حاضرنا ومستقبلنا .

٢٧ ـ الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ[١]:

يتخذ الغرب موقفاً معادياً للإسلام وللأمة الإسلامية منذُ القدم ، وهو موقف متأصّل ومتجذّر في عقلية الغرب ، لذلك تقف المنظّمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة ـ التي تسيطر عليها الدول الغربية ـ موقفاً معادياً ومزدوجاً من القضايا العربية الإسلامية ، لذلك لا بدّ من إنعاش الذاكرة

---

(١) صدر الكتاب عن دار الشروق ـ القاهرة ، ١٩٩٧م ، ط٢ ، وهي التي اعتمدنا عليها ، في ٢٦٧ صفحة .

الإسلامية حتى تكونَ أكثر وعياً بالتاريخ ، وهذه المواقف ليست وقفاً على الفترات الأخيرة ، بل هي كما قلنا مواقف جذرية ، لذلك كانت العودةُ لإنعاش الذاكرة بالتاريخ الإسلامي في مختلف مراحله هي الحل. . فيتبنى الدكتور عمارة رأياً مؤداه أنَّ مشكلة الشرق الأوسط بدأت منذ ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ، لذلك علينا أن نعلم أنّ الوعي بالتاريخ هو باب من أبواب صناعة التاريخ.

درس الدكتور عمارة في هذا الكتاب العديدَ من الموضوعات ، مثل: **الأمة العربية في مواجهة التحديات** ، فيؤكد الدكتور عمارة على أنّ الأمة الإسلامية تظلّ متفردةً بكثرة التحدّيات التي فُرضت عليها من خصومها ، وبضراوة ما شنّ ضدها من معارك: «وباستمرارية ذلك الصراع بينها وبين خصوم لها رغم تعاقب القرون ، واختلاف الديانات ، وتغير الدولة ، وتطور المحتوى الاجتماعي لأنظمة الحكم التي تسود عندنا أو عند هؤلاء الخصوم»[1].

فيؤمن الدكتور عمارة أنَّ هناك مئات الأحداثِ في التاريخ الإسلامي يستطيعُ الوعي بالتاريخ أن يحوّلها من مجرّد صفحاتٍ وأحداث تقرأ إلى تيار حي وفعال يسهم بلا حدود في الحاضر والمستقبل: «ذلك لأنَّ الوعي بالتاريخ ينقل الأرض من إطار الرمل والطين إلى إطار الكائن الحي الذي يعني الكثير والكثير في صنع الأحداث وتقرير المصائر للأمم والشعوب»[2].

يدعو الدكتور عمارة لمحاولة البحث عن **السمات الإيجابية للشخصية العربية** ، مثل: الوضوح والصلابة والتحدّي والفروسية ، هذه الإيجابياتُ كانت لمتابعةِ أسلحةٍ استخدمها العربُ في الدفاع عن حقهم ،

---

(١) الوعي بالتاريخ ، ص ١٥.
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩.

وفي مواجهة عدوّهم ، واكتشافنا لهذه الإيجابيات يسلح الأجيال الحالية والمستقبلية بخبرات القدماء ، وثمرات صراعهم ضد أعداء الأمة ، وهذا يجعلُ من الدراسات التاريخية إسهاماً في معالجة القضايا الراهنة والمستقبلية أيضاً.

في هذا الكتاب وعن طريق عشرات النماذج التي استخدمها الدكتور عمارة ، يؤكِّدُ أنَّ الشخصية العربية بفعل عوامل كثيرة جدّاً أهمها الصراع الحضاري مع الطامعين فيها ، اكتسبت خاصيةَ الاستجابةِ المتحدية والانتفاضة الإيجابية ضدَّ ما يهددها من أخطار وتحديات ، وهو الأمر الذي حفظ لها ذاتيتها ، فلم تنقرضْ أو تَذُبْ في موجات الغزو والتحدي.

قدّم الدكتور عمارة في الكتاب دراسةً في غاية الأهمية عن سيناء ، وأهميتها في المشروع القومي العربي كله ، وناقشَ عدة مقولات حول وضعية سيناء قديماً وحديثاً ، محذّراً من موقف الصهاينة من سيناء ، وموقع سيناء في الفكر الصهيوني والغربي الرامي لشق الوحدة الإسلامية.

يصرُّ الدكتور عمارة في العديدِ من كتبه على وجوبِ تقديم الفكر الإسلامي الحديث للعالم وموقفه من العقلانية والحرية والاشتراكية والمرأة ، وهو يقدّم هذا الفكر التجديدي الحديث من خلال مدرسةِ الإحياء الديني التي قادها المفكر الثائر جمال الدين الأفغاني وبعده تلاميذه؛ مثل: محمد عبده ، والكواكبي ، وغيرهم.. كما ناقش التيارات الإصلاحية التجديدية التي انبثقت من الإسلام بمختلف أنواعها سياسية واجتماعية.

ختم الدكتور عمارة الكتابَ بدراسةٍ رائعة وذاتِ مغزًى عن **القاهرة وبغداد** ، فقد عرضَ لتطوّر القاهرة في كافّة مجالاتها بشكل بانورامي ، ثم خلصَ إلى نتيجةٍ مؤدّاها: «فكم في صفحة تاريخ القاهرة من عبرٍ ودروسٍ ، وكم في هذه الصفحة من مباهجَ وآلامٍ ، وكم لشعبِ هذه المدينة الصامدةِ من مواقف وتضحيات ، فلا الأيام الحلوة تنسيه المخاطر المحتملة ، ولا

الشدائد والمحن تفقده الأملَ في تحقيق الانتصارات»[1].

كما أنهى الكلام على بغداد بعبرة درسٍ مستفاد من التاريخ يجب أن نعيه بشكل جيد، وهو قوله: «هكذا أثبتت بغدادُ من خلال مسيرتها مع الحياة والأحياء أنَّ جودةَ المعدن وصلابتَه كفيلةٌ بدحر التحديات، ولذلك عادت المدينة التي نشأت نموذجاً للحضارة العربية في عصورها الأولى، عادت لتسهمَ في تجديدِ هذه الحضارة في عصرنا الحديث»[2].

قال الدكتور عمارة هذا الكلامَ قبلَ سقوط بغداد في براثن الغزو الأمريكي، وهو ما يؤكِّدُ مصداقيةَ دعوته للوعي بالتاريخ، لأنَّ هذا الوعيَ هو في حدِّ ذاته صناعة للتاريخ.

٢٨ ـ التفسير الماركسي للإسلام[3]:

من ضمن ملامح المشروع الفكري للدكتور عمارة محاولته تنبيه الأمة على عديد من الأخطار التي تتهددها، عن طريق بيان وجه الحقيقة العلمية، كما أنّه أيضاً دائماً ما يدعو الفرقاء المختلفين فكريّاً للتّلاقي على أرضية الحوار، فهو يؤمن بالحوار وسيلةً راقيةً للوصول إلى نتائجَ تسهِمُ في نهضة الأمة. . لذا كان هذا الكتاب الذي صدر على أثر معركة فكرية حامية الوطيس أثارها الدكتور نصر حامد أبو زيد، امتدّت من (١٩٩٣ ـ ١٩٩٥م)، فعمل الدكتور عمارة على دراسة الموضوع بعقلانية وموضوعية هادفاً إلى دعوة الفرقاء للحوار، لذا قدّم لهذه الدراسة بثلاثة مقدمات تمهيدية عن: حرية

---

(١) الوعي بالتاريخ، ص ٢٤٤.

(٢) الوعي بالتاريخ، ص ٢٦١.

(٣) صدرت الطبعة الأولىٰ لهذا الكتاب عام ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، والطبعة الثانية ـ وهي التي اعتمدنا عليها ـ صدرت في ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، عن دار الشروق، القاهرة، في ١٣٤ صفحة.

الاعتقاد ، التكفير ، الردة عن الإسلام.

يؤكِّد الدكتور عمارة على أمر نراه بالغَ الأهمية ، ويجب أن يأخذَ مكانه في الفكر الإسلامي الحديث ، عند الجماعات الإسلامية المختلفة ، وهو **حرية الفكر**؛ لأنّ المسلمين سيكونون الخاسرين إذا تمّ تقييد حرية الفكر ، ومن مصلحتهم قبل غيرهم فتح أوسع أبواب الحرية أمام الجميع ، ومن خلال الحرية تتحقق مصلحة المسلمين ، وعلى المسلمين محاربة الكفر والنفاق بسلاح الكلمة والبرهان وليس بمصادرة الفكر ، ولذا وقف الدكتور عمارة ضدّ مصادرة كتب الدكتور نصر حامد أبو زيد ، ونادى بأنَّ القضيةَ فكريةٌ من اختصاص المفكرين والباحثين ، وليس من اختصاص القضاء والمحاكم ، فالحلّ الذي يطرحه الدكتور عمارة هو في الإيمان بالتعددية والحوار ، ويقول في ذلك: «إنَّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يقف في الفضائل عند حدّ الاعتراف بالآخَر ، بل جعل حماية هذا الآخر ، والدفاع عن حقه في الاختلاف ، الذي هو بنظر الإسلام «كفرٌ» جعل حماية الآخرين «الكفرة» بالإسلام عقيدةً وذمةً وعهداً وميثاقاً ، لا يكتمل بدون رعايتها ، وجاهد في سبيل الحفاظ عليها[1].

يؤكد الدكتور عمارة ويقدم الأدلة على أنَّ الموقف المادي في النظر إلى الدين لا يمكن أن يكون متسقاً مع إيمان صاحبه بالدين ، ولا مع انتمائه إلى دين الإسلام ، فالماركسيةُ تؤمن أنَّ المادةَ مستكفيةٌ بنفسها ، مستغنيةٌ عن خالقٍ يوجدها ، وهنا يبدأ التناقض ، وأورد الدكتور عمارة عشراتِ النصوص من كتب الدكتور نصر التي ناقشها الدكتور عمارة ، وبيّنَ خطأها بالأدلة والبراهين ، فالدكتور نصر: يؤمن أنَّ القرآن مجموعةٌ من النصوص المأخوذة من الكتب الدينية السابقة ، كما أنّ الدكتور نصر بناءً على التفسير المادي

---

(١) التفسير الماركسي للإسلام ، ص ١٥.

يؤمن أنَّ النص القرآني متشابه مع الشعر الجاهلي خصوصاً المعلقات وشعر الصعاليك ، كما أنه يشكِّكُ في عالمية القرآن ، ويرى أنَّ العربية ليست من بنية القرآن وجوهرِه ، وإنّما هي من «أيديولوجية العصبية القبلية»[١].

وامتداداً لهذا النهج يرفض الدكتور عمارة تطبيقَ المنهج الماركسي في المادية الجدلية على أمهات الاعتقادات الإسلامية ، وهو ما فعله الدكتور نصر ، فهو يرى مثلاً أنَّ العقيدةَ مؤسسةٌ على كثير من التصورات الأسطورية في ثقافة الجماعة البشرية ، كما أنه ـ اتباعاً لنفس المنهج المادي الجدلي ـ يؤكد أنَّ القرآن نصٌّ شكَّله الواقع ، والنبوة والوحي نتاجُ الواقع ، والشريعة صاغت نفسها مع حركة الواقع في تطوره.

يناقش الدكتور عمارة هذه الآراء مبيناً خطأها ، ويرفضها رفضاً قاطعاً ، مؤكداً عدم جواز استخدام المنهج المادي الجدلي في دراسة الأديان ، وهو في رده على الدكتور نصر أبو زيد يؤكد «أنَّ المرءَ ليدهشُ عندما يرى كَمَّ الأخطاء المنهجية التي وقع فيها الدكتور نصر ، حتى بمعايير المنطلقات الفكرية التي ينطلق منها»[٢]! . . وقدّم خمسة نماذج على هذه الأخطاء المنهجية ، ونعتقد أنَّ هذا الكتابَ على صغر حجمه قدم أقوى ردٍّ على الدكتور نصر أبو زيد والتفسير الماركسي للتاريخ الإسلامي.

٢٩ ـ عندما أصبحت مصرُ عربيةً إسلاميةً[٣]:

يرتكزُ هذا الكتابُ على أنَّ القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ يمثّل بلوغ التعريب في مصر قمته ، حتى إنّ العربيةَ أصبحت لغةَ الكنيسةِ في

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤.
(٢) المنهج الماركسي ، ص ١٠١.
(٣) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م ، في ١٦٠ صفحة.

صلواتها وكتاباتها ، كذلك مثَّلَ هذا القرنُ تحوُّلَ مصر من مجرد ولاية تابعة للدولة العباسية إلى مقرٍّ للخلافة الفاطمية ، وبُنيت القاهرة ، وهذا يعني أنَّ مصرَ بدأت تلعب دورها الطبيعي والتاريخي الذي تأهّلت له منذُ عصر الفراعنة . . فهو يرى أنّ : هذه الفترة ظُلِمَتْ ، ولم تأخذ حقها من الدراسة ، فقد تعرضت إمّا إلى النقد الظالم ، أو التشويه ، أو الإهمال والأغلال ، وبذلك فقد ظُلِمَتْ مصرُ الحضارةُ والفكرُ والعمران والمجتمعُ ، ومردّ ذلك أنَّ الذين أرّخوا لهذه الفترة لم يكونوا يتعاطفون مع المذهب الفاطمي الشيعي ، ولا مع النظام السياسي الذي أقامته بمصر في ذلك الوقت .

بدأ الكتابَ بدراسةٍ عن **مغزى إقامة القاهرة فلسفةَ المكان** ، فهو ذلك البحث الروحي الجميل عن معشوقته القاهرة التي تنطق السطورُ بحبِّها ، وبدورها التاريخي الذي يجبُ أن يعودَ إليها ، وبقدمها الضارب في أعماق التاريخ ، فهي ـ حسب قوله ـ عاصمة مصر منذ أقدم العصور ، فهو يقدِّمُ من الأدلة ما ينفي صفة بناء القاهرة عام (٩٦٩م) ، فهو يقدّمُ لفرضيةٍ جديدةٍ تماماً؛ وهي أنَّ : «وحدة العواصم المصرية إنّما هي صنوٌ لتجددها وتطورها وتعددها ، بقدر ما نجـدُ أنَّ تعـدُّدَ المراحل التاريخية والحقب الزمنية والأطوار الحضارية التي مرّت بها هذه البلاد ، إنّما هي صنوٌ لوحدة تاريخ البلاد»[1] .

فالدكتور عمارة يؤكّد بعد كثير من المقدمات أنَّ القاهرةَ اليومَ إنّما هي الامتداد الحضاري والتاريخي والمعماري الحي والمتطور وأيضاً المتحد لهذه العاصمة الفرعونية القديمة التي بُنيت باسم «منف» سنة (٣٤٠٠ق.م) ، وأنّ تاريخ (٩٦٩م) إنّما هو تاريخ التسمية فقط بالقاهرة وليس النشأة .

قدّم الدكتور عمارة موضوعاتٍ رائعةً عن تلك الفترة ، ونحسب أنها

---

(١) عندما أصبحت مصر عربية ، ص ١١ .

جديدة ، أو أن المؤرخين لم يهتموا بها الاهتمام الكافي ، من ذلك : **الحياة الفكرية في مصر الفاطمية** ، فهو يرفضُ المقولةَ بالتدهور والانهيار الفكري في ذلك العصر ، ويقدّم عشرات الأدلة الداحضة لهذا الرأي ، وهو ما يؤدّي به إلى رفض هذه المقولات التقليدية وزيفها ، فقدَّم أسماء عشرات العلماء ، ودار الحكمة ، والمكتبات ، وهو ما يؤيد مقولته منذ البداية حول أصالة الحركة الفكرية العربية في مصر الفاطمية.

قدم كذلك **الحياة الاجتماعية والترف في مصر** ، ولم ينسَ أنَّ يقدم لنا الوجه الآخر من العملة عندما ساءت الأحوال؛ فقدم **الثورات والانتفاضات** التي قام بها الناس في وجه المظالم ، وقدّمَ **أسبابَ الاضمحلال** التي أضعفت الدولة الفاطمية ، فقد تحدّث عن الشدة المستنصرية ، وما نشأ عنها من سيطرة العسكر على مقاليد الأمور في البلاد ، وتشتت الكلمة داخل البلاد ، والخطر الصليبي الواقف على الأبواب ، كلُّ هذه الأمور سهّلت القضاء على الدولة الفاطمية لترثها الدولة الأيوبية العسكرية.

وبيَّن كذلك **العقبات التي قابلت صلاح الدين الأيوبي في جهوده لإعادة المذهب السني للبلاد** ، ووضح الأسلحة الفكرية والأنشطة العسكرية التي استخدمها صلاح الدين لتحقيق ذلك ، وقضائه على الثورات التي قام بها بقايا الشيعة وأتباع الفاطميين في البلاد؛ مثل : ثورة عُمارة اليمني.

كما أوضح جهودَ صلاح الدين لملء الفراغ الفكري الذي نتج عن القضاء على خلافة عقائدية ، لذلك فقد شجَّع حركة التصوف ، والاهتمامَ غير العادي بإقامة المدارس السنية السلفية ، وذلك لكي تعيد صياغة أيديولوجية المجتمع المصري ، فقد أقاموا خمسَ عشرةَ مدرسة سنية ، كل واحدة منها بمثابة مؤسسة علمية كبيرة ، لها من الإمكانات الفكرية والمادية ما يتيح لها أن تؤدي دوراً هامّاً في الحياة الفكرية في البلاد.

يؤكد الدكتور عمارة في نهاية دراسته الشيقة على أنَّ مصر وإنْ كانت قد

شهدت تغييرات هامة في الفكر والاقتصاد والاجتماع خلال العصر الأيوبي ، إلا أن الأمر الذي لم يتغير فيها هو **الدور القيادي الذي ظلّت تمارِسُه على المستويين العربي والإسلامي** ضد كل الأخطار التي حاقت بالوطن العربي والإسلامي.

٣٠ ـ عندما دخلت مصر في دين الله[١]:

هذا الكتاب الذي ظهر بمناسبة مرور (١٤٠٠) سنة على الفتح الإسلامي لمصر هو محاولة لاسترجاع أثر الإسلام في مصر ، وأثر مصر في الإسلام ، فهو دعوةٌ للاحتفال بعيد ميلاد مصر الإسلامية ، وهو محاولةٌ لاسترجاع أحداث التاريخ لأجل وعيها والاستفادة منها.

تحدّث الدكتور محمد عمارة في هذا الكتاب في عدد من الموضوعات شديدة الأهمية وأيضاً الشائكة ، فقد تحدث عن **فجر التوحيد والنبوات في مصر قبل الإسلام** بَدْءاً بالنبي إدريس عليه السلام ، وهو ثالثُ الأنبياء في الترتيب بعد آدم وشيث عليهما السلام ، وبذلك: «فقد دخلت مصرُ في دين الله ، وعرفت التوحيد ، وحياً إلٰهياً ، لا وضعاً بشريّاً وإفرازاً إنسانيّاً ، وتلقت علمَ النبوة ، واحتضنت الرسالة السماوية منذ فجر الإنسانية وفي حياة أبي البشر آدم عليه السلام»[٢].

وإلى مصرَ جاء إبراهيم عليه السلام ، ورحل يوسف عليه السلام ، وفي مصر ارتفعت دعوةُ التوحيد في عصر أخناتون ، وتربّى موسى في مصر ، وجاء عيسى مع أمه ، لكلِّ ذلك غدت شريعةُ السماءِ وعقيدةُ التوحيد روحاًساريةً في الثقافة المصرية.

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، في ٦٥ صفحة.

(٢) عندما دخلت مصر في دين الله ، ص ٥.

ودرس الدكتور محمد عمارة: **مصر تحت القهر الديني والحضاري**، فذكر أنَّ مصر ظلّت تعاني محنةً عظمى لمدّة ألف عام منذ فتح الإسكندرية لها عام (٣٣٢ق.م) حتى الفتح الإسلامي لها عام (٦٤٠م)، فقد جاءت الحضارةُ الإغريقيةُ لتطغى على الحضارة المصرية الفرعونية، وقضت على العاصمة منف، وعلى اللغة المصرية، كما أنَّ الدينَ أيضاً تعرّض للقهر البيزنطي، الذي سالت فيه الدماء أنهاراً، وأدى كل ذلك لفراغ حضاري كبير، ساعد وسهّل دخول المسلمين مصر.

ولم تقف **مصر الإسلامية** عند حدود الانتماء للإسلام ديناً ودولة، وإنّما تبوأت مكانتها الريادية حتى لكأنها هي صاحبةُ الدين الإسلامي، والأمينةُ عليه، فكانت هي الحاميةُ والمدافعةُ عن الإسلام، واتخذت من وسطية الإسلام مذهباً لها ونبراساً، ولم يكن غريباً أن يأتيَ ذكرُ مصر في القرآن الكريم أكثر من (٢٥) مرة، منها ما هو بصريح اللفظ، ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير.

ثم تحدّث عن **خطوات فتح مصر** إلى أنّ تم الاستيلاء عليها، ثم تحصّن الرومانُ في الإسكندرية، وهزيمتهم، ودخول الإسلام إلى مصر، وسيطرة المسلمين على كافة أرجاء البلاد، وهي أحداثٌ تاريخية بحتة، ليؤكد على مقولة هامة جدّاً؛ هي: أنّ مصر كانت وظلت في النظام الغربي بوابة استعمار الغرب للشرق، وضمانة بقاء هذا الاستعمار، ولذات السبب كانت أهميتُها في الفتوحات التحريرية التي غير بها الإسلام وجه الحضارة ومقاصدها، فغير بذلك مجرى التاريخ[1].

ثم يتحدّث الدكتور محمد عمارة عن **الإحياء الإسلامي لمصر**، وأنّه كان إحياءً لمطلق الدين الإلـهي الواحد، الذي تعددت فيه الملل والشرائع

---

(١) عندما دخلت مصر في دين الله، ص ٤٨.

والرسالات والنبوات ، فقد رأى أهلُ مصر في الإسلام منقذاً لهم من القهر الروماني ، الأمر الذي جعل الإسلام لهم الحياة والإحياء.

لقد أعاد الفتحُ الإسلامي لمصر عافيتها الحضارية ، فغدت القائدةَ والرائدةَ في سائر ميادين الفتوح ، لذلك نجدُ مصرَ في الإبداع الحضاري روت ثمرات الإسلام من جذور إبداعها الحضاري القديم ، لذلك كان لها إسهام حضاري متميز في مختلف علوم الحضارة الإسلامية في كافة المجالات؛ والعلوم الشرعية منها.

٣١ ـ العرب والتحدي[1]:

يعترف الدكتور محمد عمارة بعظم وكثرة التحديات التي قابلت الأمة العربية على طول تاريخها ، فهي تحديات كبيرة ، وندر أن توجد أمةٌ أخرى قابلت مثل هذه التحديات ، وخرجت منها دون أن تفنىٰ أو تُمْسَخ هويتُها الحضارية ، يدعو الدكتور محمد عمارة أبناء الأمة إلى أن يعوا قانون صراع الأمة تاريخيّاً مع التحديات التي فرضت عليها في مراحل تاريخها ، هذه التحديات التي أريد من خلالها الحيلولة دون امتلاكها شروط العودة لساحة الدولة والإنسانية كقوة حضارية ذات عطاء ، وهنا طرح الدكتور محمد عمارة سؤالاً ذا مغزًى حول: **ما هي الأسباب وراء هذه التحديات؟**.

أرجع الدكتور بعضها للموقع الجغرافي الذي تمرُّ به طرق التجارة العالمية الهامة ، أضف إلى ذلك ثروات هذه البلاد ، ولكنّ الأهم من كلِّ ما سبق «أنّ أعداء الأمة يرون فيها أمةً تمتلك مقوّمات حضارة متميزة ، وذات إمكانات للعطاء على المستوى الإنساني ، ومن ثَمَّ فإنّ انعتاقها من الأسر الاستعماري سيعني مهما طال الزمن: الوحدة والنهضة ، والعودة مرة أخرى طرفاً مشاركاً

---

(١) صدر هذا الكتاب في سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، في ٢٤٧ صفحة.

بل ومزاحماً في نادي الأمم ذات الحضارة والعراقة والنفوذ»[1] . . وعلى الأمة اكتشاف القانون الذي يحكم الصراع التاريخي ضد التحديات التي فرضت عليها.

بدأ الدكتور محمد عمارة التحديات بجيش أبرهة الحبشي الذي كان سبباً في إفاقة العرب من نومهم العميق ، فتحدّث عن المقاومة التي لاقاها هذا الجيش على طول الطريق إلى مكة.

ويبحث الدكتور محمد عمارة في أحداث عام (٥٧١م) الذي شهد إرهاصات بناء الأمة ، ويصل إلى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة ، ويؤكد أنّ هذا الحدث يؤكد الطابع القومي العربي في الإسلام[2].

ونجح الإسلامُ ودولته العربية في توحيد ودمج القبائل العربية وفق المضمون الحضاري والإنساني المستنير الذي قدمه الرسول ﷺ لماهية العروبة ولمن هو العربي ، ولكنّ هذه الوحدة تهددتها الأخطارُ أثناء الدولة الأموية ، وقدم من وجهة نظره عدة دلائل على مصداقية ما يريده ، أهمُّ هذه الدلائل هو أنَّ **الفتوحات الإسلامية** شملت ثلاثة ميادين:

الميدان الأول: بلاد العراق والشام، وهي بلاد عربية الأصل، فالفتوحات هنا تعني تحريراً لهم من القهر.

الميدان الثاني: مصر ، وهي قريبة من العرب ، ولها بالساميين اتصال.

أما **الميدان الثالث**: وهو بلاد فارس الذين رأوا في ذلك قهراً عربيّاً لأمة متميزة وعريقة ، لهذا أجمعوا على رفض التعريب والعروبة ، واتخذوا موقف العداء ظاهراً أو مستتراً من الدولة العربية ، وهو ما أدى لظهور الشعوبية ، ومن هنا بدأت التحديات الكبار تواجه الأمة العربية.

---

(١) راجع: العرب والتحدي ، ص ١١.
(٢) في هذا نظر. (ن).

تحدث الدكتور محمد عمارة عن **التيار العقلاني الإسلامي** الذي أعلى من شأن العقل، وأكد سلطانه، وفصّل المجمل، ووضع المبدأ العام في صورة منهج عقلي، وقام بتطبيقه على المشكلات وعلى موضوعات الجدل وقضايا الصراع، وقطعوا باستحالة تعارض العقل مع الشرع، ويخرج الدكتور محمد عمارة بنتيجةٍ مؤدّاها: أنَّ الإسلام لم ينتشر بالسيف، ولكنّه انتشر بالعقل.

عقد الدكتور محمد عمارة فصلاً عن **الفروسية العربية** وهي تواجه الفرسان الصليبيين، استخدم فيه أحداثَ التاريخ، ليتحدّث في هذا الموضوع ليوضح إيجابيات في شخصية الأمة يجب العمل على عودتها.

تحدّث عن **حركة الإحياء الحديثة** سواء في الإطار السلفي؛ مثل: السنوسية والمهدية، وتحدث عن رواد حركة اليقظة العربية الذين اقتربوا من الفكر الغربي؛ مثل: رفاعة الطهطاوي، الذي كوَّن بعد عودته من أوروبة مدرسة الفكر المصري الحديث، وعلى عكس حركات التجديد السلفية التي كانت تحذِّرُ من مخالطة الأوروبيين فضلاً عن الأخذ عنهم، على عكس هذا الموقف نجد الطهطاوي يدعو للأخذ من الحضارة الغربية فيما لا يخالف الشريعة والدين، وقدّم كذلك لجهود مفكرين آخرين؛ مثل: خير الدين التونسي وجهوده في هذا المجال.

وتحدث الدكتور محمد عمارة باستفاضة عن تيار **السلفية العقلانية المستنيرة** الذي بدأه جمال الدين الأفغاني، وهو يحدد السلفية المقصودة هنا بأنها تأخذ عقائد الدين وأصوله على النحو النقي المبرأ من الخرافات، وهم لا يقتصرون في فهمهم للإسلام حضارةً وتراثاً على فهم السلف الصالح له؛ لأن الإسلام حضارة وعلوماً ظهر بعد عصر السلف، فتحدث هنا عن الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم من أصحاب هذا الاتجاه التجديدي.

٣٢ ـ قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية[1]:

المصطلحات تختلف من بيئة حضارية إلى أخرى ، بل ومن فترة زمنية إلى أخرى، **فالمصطلح فيه مضمونٌ وأداة تحمل رسالة**، وهذه المصطلحات في حاجة إلى ضبط ، وتقييد لإطلاقها ، وتحديد نطاق صلاحية المصطلح ، وضرب الدكتور محمد عمارة عدة أمثلة على ذلك بمصطلحات لها مضامين في الحضارة الإسلامية تختلف بشكل جذري عن مضامينها في الحضارة الغربية المادية.

ويذكر الدكتور محمد عمارة أنَّ القاموس في أيِّ فنٍّ من الفنون أو علم من العلوم هام جدّاً ، وأداةٌ شديدةُ التأثيرِ في تكوين الفكر والمذهب والرؤية والهوية ، ومن ثَمَّ تكوين وصبغ الاتجاه الحضاري لمن يستخدم هذا القاموس بفلسفة واضعيهِ ، لذلك فهو أحد وسائل احتلال العقل العربي والمسلم ، وكذلك فالقاموس يسهم في تغريب العقل المسلم خاصة في ميدان العلوم الإنسانية.

ويؤكد الدكتور محمد عمارة ـ وهو مُحِقٌّ في ذلك ـ أنَّ القارئَ والباحث لن يستطيعَ فهم تراثنا الاقتصادي النظري منه ، كما صيغ في كتب التراث: (الأموال) و(الخراج) و(الكسب) و(التجارة) و(الحسبة) ، أو الجانب التطبيقي كما عرفته المسيرة الحضارية للأمة الإسلامية ، لن يستطيعَ هذا الباحثُ فهم هذا التراث الإسلامي بواسطة القاموس ذي المنطلقات والمفاهيم الغربية ، لأنّ إسقاط المفاهيم الغربية على المصطلحات الاقتصادية الإسلامية لونٌ من ألوان خداع الرؤية ، فهو عزلٌ للعقل الاقتصادي عن تراثه الحضاري.

وتأتي أهمية هذا القاموس من عدة اعتبارات؛ منها: أنه الأداةُ الطبيعية

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق ـ القاهرة ، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م ، في ٦٤٥ صفحة.

لرؤية وفهم وتفسير التراث الاقتصادي الإسلامي في مجاليه: النظري والتطبيقي ، وأنه السبيلُ لوضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري للأمة ، عندما يضع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم في حقل الاقتصاد ، فيسهم بذلك في تحرير العقل الاقتصادي من أسر التبعية للغرب.

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على أنّ طوقَ النجاةِ لهذه الأمة هو في إدراكها لحقيقة هويتها الحضارية ، وفي تفاعلها مع الآخرين ، فللحضارة الإسلامية خصوصيتها الحضارية.

لقد قدم الدكتور محمد عمارة مئات المصطلحات التي تخدم ثقافتنا التراثية ، لا يستغني عنها الباحث في التراث الاقتصادي ، فهي تجلو الغشاوةَ عن هذه المصطلحات ، وتميط عنها اللثام ، لتعيدها للحياة مرة أخرى ، وقد بذل المؤلف فيها جهداً جباراً ، ورجع لمئات كتب التراث بكافة أشكالها.

٣٣ ـ تيارات الفكر الإسلامي[(١)]:

تناول هذا الكتابُ التيارات الفكرية التي ظهرت في الفكر الإسلامي بمختلف اتجاهاتها وقناعاتها الفكرية ، فالدكتور عمارة يؤمن بأنَّ تاريخ هذه الأمة ليس هو سياسة الخلفاء والحكّام فقط ، ولن نستطيعَ فهم الصحوة الإسلامية في العصر الحديث بمعزلٍ عن فهم جذور التيارات الإسلامية التي تمثل الخلفية الموجِّهة والحاكمة لعقل الأمة ووجدانها ، فالوعي بحقيقة تيارات الأمس ـ وهي لا تزالُ فاعلةً وحاكمةً ـ هو إسهام ضروري في تصحيح المسار الفكري للأمة ، وهو يجيبُ عن عديد من الأسئلة التي نحتاج إليها.

بدأ الدكتور عمارة الكتاب بالحديث عن **الخوارج** وظهورهم على مسرح

---

(١) صدر هذا الكتاب في طبعته الثانية ـ التي اعتمدنا عليها ـ عن دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م ، في ٣٩٠ صفحة.

الأحداث منذ عصر علي بن أبي طالب سنة (٣٧هـ) ، وأنّهم كانوا نقطة تحول في الفكر الإسلامي ، فهم لم يقفوا بخلافهم مع خصومهم عند الحدود السياسية ، بل أضفوا عليه طابعاً من الدين ، وزعموا أنّهم هم المؤمنون ، ومَنْ عداهم فقد مرق من الدين ، وزاد البلية أنَّ الفرق الإسلامية الأخرى فعلت الأمر نفسه ، فنشأ الغلوُّ والانحرافُ مع فقه الخوارج ، ولا زال العقل العربي يعاني منه ويجاهد ضده حتى الآن. . ناقش الدكتور عمارة أفكار فرق الخوارج نقاشاً مفصَّلاً.

كما عقد الدكتور عمارة فصلاً **للمرجئة** ، بادئاً بتعريف المصطلح الذي يعني إرجاء الحكم على العقائد إلى الله يوم القيامة ، وهي إحدى مهام الخالق سبحانه وتعالى ، وهذه الفرقُ تصل كما هو الشائع في كتب الفرق الإسلامية إلى اثنتي عشرة فرقة ، عرض لها الدكتور عمارة ولأفكار كل فرقة ، وما يميزها عن الفرق الأخرى.

وأهمُّ ما جاء في هذا الأمر هو عدم إهمال البحث في الأصول السياسية والدوافع الاجتماعية لهذه الفرق ، فلا يمكن البحثُ فيها باعتبارها جدلاً دينيّاً لا علاقة له بالواقع السياسي والاجتماعي ، ويرى الدكتور عمارة أنَّ هذا التيارَ بدأ في العصر الأموي بعد التغيرات التي أحدثها معاوية بن أبي سفيان ، وإحداث عدة مظالم في عصر خلفائه ، فكان أن طرح هذا السؤال: هل مَنْ أحدث هذه التغييرات والتحولات في نظام الحكم الإسلامي ، وصنع كل هذه المظالم ، ومارس أنواع الاضطهادات؛ هل هو مؤمن؟.

حول هذا السؤال دار فكر المرجئة الذي عرضه الدكتور عمارة بسهولةٍ ويسرٍ ، وربطه بالواقع السياسي والاجتماعي المعاش آنذاك.

ثم تحدّث عن تيار أهل العدل والتوحيد (**المعتزلة**)؛ وهو تيارٌ فكري سياسي أكثر منه فرقة منضبطة ، وخاصة في جانب التنظيم ، ودخلوا إلى ميدان السياسة من باب المعارضة الفكرية لفكر الدولة الأموية ، وكانوا

يؤمنون بالثورة كطريق من طرق التغيير ، ولكن بشروط؛ منها: التمكن من مقوّمات النجاح.

ويحدد الدكتور عمارة أهم الأصول الفكرية لهذا التيار في:

١ - **القول بنفاق مرتكب الكبيرة**: بما يعنيه من موقف وسط بين إفراط الخوارج عندما كفّروه ، وتفريط المرجئة عندما دعوا إلى إرجاء البحث في عقيدته ، وتركه لله تعالى يوم القيامة.

٢ - **العدل**: بما يعنيه من حرية الإنسان واختياره ومسؤوليته عن أفعاله المخلوقة له.

٣ - **التوحيد**: بما يمثّله من نقاء بلغ بعقيدة التوحيد ذروة التنزيه والتجديد.

وتحدَّث الدكتور عمارة عن الانشقاق في جسد هذا التيار ، ومنهم المعتزلة ، وهو ما أفرد له كتاباً خاصّاً عرضنا له قبل ذلك = رقم (٢٥).

ثم تحدث عن **الزيدية** التي تنتسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب رضي الله عنهم في الأصول ، وهم تيار الثورة في آل البيت والاعتزال على السواء[١] ، وعرض لها الدكتور عمارة سواء الإطار العام أو المناخ الذي ظهرت فيه وأهم أفكارها ، وهو هنا يربط بين الاقتصاد والعوامل السياسية والفكرية الذي نشأ متأثراً بهما.

وتحدث عن ثورة زيد ضد هشام بن عبد الملك وفشلها ، وحالة أتباعه من بعده لثوراتهم وأفكارهم ، ولكنّ الدكتور عمارة يرى أنّ الزيدية لم يكونوا فرقةً مستقلةً عن المعتزلة[٢].

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي ، ص ٩٧.
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٩.

ثم تحدث الدكتور عمارة عن **السلفية** ، فبدأ بتعريف المصطلح ، والغموض الذي يحيط به ، لذلك تتبّع نشأة الظاهرة منذ العصر العباسي ، ولقد أفرد الدكتور عمارة للسلفية كتاباً خاصّاً عرضنا له قبل ذلك = رقم (٢٠).

ثم تحدّث كذلك عن **الأشعرية ونشأتهم** ، فتحدّث عن نشأة زعيمهم أبي الحسن الأشعري ، والبيئة التي نشأ فيها ، فقد نشأ معتزليّاً ، ووضع المؤلفات في الدفاع عن أفكارهم ، ثم بعد أن بلغَ الأربعين تحول عن هذا الفكر وهجره ، وبذلك نشأت الأشعرية التي أصبحت الوسطية الإسلامية الجديدة ، فهي لا تقفُ عند النصوص وحدها متنكرة للعقل ، مثلما يفعل السلفيون ، ولم تقفْ عندَ العقل وحدَه مهملة الوحي والنقل ، كما يفعل الفلاسفة ، ولكنّ الأشاعرة يعتمدون على العقل والنقل مع تحكيم العقل.

لقد انطلق الأشاعرةُ من منهج الفقهاء في أصول الفقه كما صنعه الشافعي ، وبمنهج المتكلمين من أهل السنة وخاصّة ابن كلّاب ، وبسلفية أحمد بن حنبل ، بكل هذه المنطلقات ، ومنها انطلق الأشعريُّ صانعاً تحوّله الفكري التاريخي ، ومبلوراً منهجه الوسطي الجديد[١].

ثم تحدث الدكتور عمارة عن **الشيعة الاثني عشرية** من حيث النشأة والأفكار ، وبيّن الدكتور عمارة أنّ الانقسام في فرق الشيعة كان حول الخلاف حول أعيان الأئمة المنصوص عليهم بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ناقش الدكتور عمارة الكثير من أفكار الشيعة ، وعقائدهم ، مثل **نظرية الإمامة** التي قالت الشيعة: إنّها أهمُّ أصول الدين ، وهم بذلك يقفون من الشورى ونظم الحكم موقفاً عدائيّاً جدّاً ، ومن الجميل في هذا الفصل أنّ الدكتور عمارة يختمه بثورة الإمام الخميني التي وضعت نظرية الإمامة عند الاثني عشرية موضع التطبيق.

---

(١) تيارات الفكر الإسلامي ، ص ١٦٨.

ثم عقد الدكتور عمارة فصلاً لمناقشة **التيارات السلفية الحديثة**؛ مثل: الوهابية، والسنوسية، والمهدية.

ويخرجُ منها لمناقشة **فكر الجامعة الإسلامية الذي** تراه مدرسة التجديد والإحياء الإسلامي، فيعرض لأهم أعلامها؛ مثل: الأفغاني، ومحمد عبده، ثم يعرضُ لأهم أفكار هذه المدرسة في مواجهة أفكار العصور الوسطى، وفي دعوتهم للعقلانية الإسلامية، وتمسُّكهم بالعروبة ضد التيار اللاقومي، ومن إنكارهم للسلطة الدينية، وإيمانهم بالثورة الوطنية ضد الاستعمار.

٣٤ ـ الإسلام والعروبة[1]:

يعتبر هذا الكتاب الشائك من أهم الكتب التي تُقدِّم لنا إجابات عجز الكثيرون عن تقديمها، إما خوفاً من الهجوم عليهم من أصحاب التيارات المختلفة، أو للخوف من التناقضات المختلفة التي قد يقعون فيها، فالإجابة على **موقف الإسلام** من **العروبة** ومن **القومية** ومن **الوحدة العربية** أمرٌ شائك تماماً.

وعلى عادته أقدم الدكتور عمارة على تقديم الإجابات المنطقية عن هذه الأسئلة انطلاقاً من مشروعه الفكري الذي عمل ويعمل عليه.

من البداية يذكر الدكتور عمارة أنه يجب علينا قبل الإجابة عن السؤال السابق أن نميز بين أي إسلام نريد.

فهناك **الإسلام الدين** كما نزل في النص القرآني الموحى به من الله، ومن السنة النبوية الشريفة التي جاءت لتفصيل ما أجمل من القرآن.

وهناك **الإسلام الحضارة** الذي يتمثل في ثمرات العقل المسلم، وتجربة

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨م، في ٢٦٧ صفحة.

المسلمين في مختلف مناحي الحياة الدنيا، وعرف المسلمون «الإسلام الحضارة» منذ تأسيس دولتهم الأولى في المدينة.

وهناك **الإسلام التاريخ** الذي عاش المسلمون في ظله بعد الجمود الحضاري، والتوقف عن النمو والازدهار والإبداع والعطاء.. ويحدد الدكتور عمارة بدايته ببداية سيطرة الجند الترك على مقاليد الخلافة العباسية منذ عصر الخليفة المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م).

وهناك **الإسلام المعاصر** الذي يتمثل في مدرسة الإحياء والتجديد التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي.

لذا يؤكد الدكتور عمارة على وجوب بحث الإجابة عن هذه الأسئلة في الإسلام الدين، والإسلام الحضارة، والإسلام التاريخ، والإسلام المعاصر حتى لا نقع في التعميم والغموض، وهو ما يؤدي للارتباك وعدم الفهم.

يتميز الإسلام الدين بعالمية لا تعرف الحدود، ولكن هذا لا يعني أنه ينكر القومية، ذلك لأن عالمية الإسلام كدين لا تعني إنكاره للواقع المعاش، والقومية بعض هذا الواقع، يستوي فيه المسلمون وغير المسلمين، كما أنّ (الإسلام الدين) مرتبط مع العروبة، ويبدو وكأنَّ هناك مزجاً بين الاثنين: الإسلام والعروبة.

ويخرج الدكتور عمارة من ذلك بوجود خصوصية عربية للإسلام، فللعرب في دعوته مكان الطليعة والقيادة بحكم عروبة النبي ﷺ، وعروبة القرآن، ونهوض الواقع العربي بدور المذكرة التفسيرية للنص القرآني.

أما عن موقف **الإسلام الحضارة** من هذه المسألة، فهناك: تزامل منذ البداية بين الإسلام كدولة، والتوحيد القومي للعرب، فقد وضح الطابع القومي للدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ففي الصحيفة ـ وهي الدستور

الأول للدولة الإسلامية ـ ورد مصطلح (أمة) للدلالة على العرب المسلمين ، ففي هذه الدولة الجديدة قدم مفهوم (الإسلام الحضارة) مفهوماً للعروبة يتجاوز العصبية والنعرات القومية وينهى عنها ، ويضع محل كل ذلك مفهوماً حضاريّـاً يقوم على عوامل الفكر واللغة والعلاقات القومية .

ومن مميزات الدكتور عمارة هنا أنه أورد آراء المفكرين والفقهاء واجتهاداتهم في هذا الموضوع ، وأنَّ التناقض الذي حدث بين العروبة والإسلام ، حدث في حقبة الجمود والتخلف والتراجع الحضاري ، الذي بدأ بسيطرة العناصر العسكرية التركية على مقاليد الخلافة العباسية ، فيرى الدكتور عمارة أن هؤلاء لم يهتموا بالإسلام إلا بالشكل .

وفي بحثه عن الإجابة في **الإسلام المعاصر والعروبة** ، تحدث عن عوامل الجمود التي أصابت الأمة الإسلامية نتيجة لعوامل كثيرة .

كما تحدَّث عن بعض الحركات السلفية التي ظهرت لمقاومة هذا الواقع المتخلف للأمة ، مثل : الدعوة السلفية في نجد بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فيرى الدكتور عمارة أنَّ هذه الدعوة لم تقف عند التجديد السلفي لعقائد الإسلام ، وإنما أقامت أيضاً دولة عربية ، كما أن تبني الوهابية لشرط القرشية في الخليفة ، يعني تبنيها لضرورة عروبة الدولة ، وناقش أيضاً الدعوة السنوسية ، والدعوة المهدية ، ولكنه قال : إنّ النطاق المحلي قد حدَّ من فعاليات هذه الحركات ذات البعد القومي العربي .

أما موقف **التيار التجديدي** الذي يأتي على قمته الأفغاني ومحمد عبده ، فيرى الدكتور عمارة أنه موقف متميز ، فيرى أن هذا التيار قد قدم أصح الصيغ الفكرية التي نفت التناقض ما بين العروبة والإسلام ، وذلك عندما قصد إلى يقظة إسلامية ، وتضامن إسلامي ، ووحدة فكرية ونضالية للملة الإسلامية ، يقودها العرب ، المتميزون قومياً في المحيط الإسلامي الكبير .

ولأهمية هذا التيار عرض الدكتور عمارة لآراء زعماء هذا التيار ، وخرج

بنتيجة مؤداها: «لحسن الحظ فإن فكر هذا التيار قد تناول هذا الموضوع صراحة، ولم يتركه لمجرد الاستنتاج والاستنباط، وذلك عندما تحدَّث الأفغاني وغيره من أعلام تيار «الجامعة الإسلامية» من أمثال عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠هـ = ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢م)، وعبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ ـ ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠م)، وعن الموقف من العروبة والقومية العربية، وعلاقة هذه الرابطة بالجامعة الإسلامية ورابطتها[١].

ثم يناقش هذا الرأي عند المفكرين المعاصرين، وهم امتداد لمدرسة الإحياء والتجديد، مثل: حسن البنا، وأبو الحسن الندوي، الذي يرى في القومية نبتاً أوروبيّاً لا دينيّاً، وينكر أن يكون لها مكانة في فكر الإسلام وعالمه.

ويخرج الدكتور عمارة بنتيجة مؤداها: «لقد افتقد التيار الإسلامي الحزبي المعاصر وحدةَ الموقف إزاء هذه القضية، وإنْ ظلَّ موقفُ **الشيخ حسن البنا** هو الأعمق، والأكثر اتساقاً، والأقرب إلى فكر الجامعة الإسلامية في هذا الموضوع»[٢]. . وهو ما يمثل ثغرة في صفوف الوحدة الوطنية والقومية، فلا يجد تعارضاً ولا تناقضاً بين العروبة والإسلام، فقد اقترن الإسلام بالعروبة في التقدم والازدهار، وكذلك اقترنا مع بعضهما في التراجع والجمود.

ومن أهم ما قدم الدكتور عمارة في الكتاب بجانب التحليل والاستنتاج، تقديمه لعدة ملاحق هي نصوص في (الإسلام والعروبة)، وهي: نصوص الأفغاني، وعبد الرحمن الكواكبي، وابن باديس، وحسن البنا، وهي تقدم رؤيتهم بوضوح للعروبة وللقومية ولموقف الإسلام من ذلك.

* * *

---

(١) الإسلام والعروبة، ص ٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٣.

المبحث الخامس

التراجم

عمل الدكتور عمارة على الترجمة لعدد كبير جدّاً من الخلفاء؛ مثل: عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، كما ترجمَ لعددٍ كبيرٍ من رواد مدرسة الإحياء الإسلامية في العصر الحديث ، وواصل الترجمةَ لأصحابِ هذا الاتجاه المعاصرين من حسن البنا إلى الشيخ القرضاوي ، والشيخ الغزالي وغيرهم ، وترجمَ كذلك لعددٍ ممن اعتبرهم رواداً في النهضة العلمية والسياسية ، فكان كتابه عن علي مبارك مهندسِ العمران ، ومصطفى كامل.

وكذلك كتب عن ميشيل عفلق برؤيةٍ جديدةٍ علميةٍ معتمدة على المنهج التحليلي ، وهي كتاباتٌ توضّحُ المشروع الفكري لهؤلاء ، وترد الظلم الذي وقع عليهم من جانب آخر.

٣٥ ـ مسلمون ثوار[١]:

يؤكد الدكتور عمارة أنّ هذا الكتابَ يأتي في إطار **تصحيح صورة الإسلام في عقول أبنائه** ، وفي مواجهة الصور التي عمل البعضُ على رسمها له بأنه دينٌ جامِدٌ يقيِّدُ عقلَ المسلمَ ، ويعمل على تكريس الواقع الراهن البائس الذي يعيشه المسلمون حاليّاً.

ناقش الدكتور عمارة **مفهومَ الثورة وتطوره** ، **وموقف المفكرين**

---

(١) صدرت الطبعة الثالثة ـ التي اعتمدنا عليها ـ من هذا الكتاب عن دار الشروق ـ القاهرة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، في ٥٣٥ صفحة ، بينما صدرت الطبعة الأولى في عام ١٩٧٢م.

المسلمين منه ، والاختلاف حول «الثورة» في الفكر الإسلامي ، وأكد أنَّ الإسلامَ لم يقف منها موقف العداء كما تؤكِّدُه بعضُ التيارات السلفية ، التي ترى الرضا بالحاكم الظالم خيراً من الثورة عليه ، وهذا تكريس للواقع الظالم.

ولكن يقدّم الدكتور عمارة عشرات من الشخصيات الثورية قديماً وحديثاً ، مثل: **الأفغاني** ، **والكواكبي** ، **وابن باديس** ـ المفكر السلفي.

فذكر الدكتور عمارة أنه اختار كوكبةً من عصور مختلفة ومن بلاد مختلفة في العالم الإسلامي ، بل ومن مذاهب فكرية مختلفة ، ولكن يجمعهم جميعاً أنهم مسلمون ، وأنهم ثوار أحدثوا آثاراً ثورية في ميادين مختلفة ، وأنهم يقدّمون الدليل على استمرارية الثورة في حياة الأمة الإسلامية.

فقد قدّم نماذجَ كثيرةً؛ مثل: **عمر بن الخطاب** ، **وأبي ذر الغفاري** الذي اعتبره ثائراً وقائداً لانتفاضة العدالة الاجتماعية ، وهو يردُّ على الاتهام الموجَّه لأبي ذر بأنه كان ضحيةً لمخطط يهودي استخدمَ الرجلَ في تنفيذ مؤامرة يهودية ضد الإسلام والمسلمين[1]! وهو ينكر هذا الاتهام بالأدلة والمناقشة الواعية.

وترجم **لعلي بن أبي طالب** رضي الله عنه بوصفه قائد ثورة الفكر الاجتماعي في الإسلام ، فهو يذكر أن عليّاً عندما بايعه الناس بالخلافة ، أعلن ما يمكن أن نسميه بلغة عصرنا: الثورة الشاملة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلاد.

والدكتور عمارة لم يقف عند الذين قادوا ثورات فقط ، بل ترجم لمن قادوا ثورات فكرية؛ مثل: **الماوردي** الذي طوّر الفكر السياسي الإسلامي ، والذي قدم قواعد الإصلاح الدنيوي ، كما ترجم **لأبي الوليد ابن رشد** الذي قاد ثورةً في العقل الإسلامي، فتحدّث عن موقفه من السياسة، والحرب والمرأة والعقل،

---

(١) مسلمون ثوار ، ص ٨٣ وما بعدها.

وترجم للشيخ **العز ابن عبد السلام** الذي قاد الثورة ضد الجمود والخيانة والاستبداد ، وكان مِنْ أهم أسباب الانتصار على التتار في عين جالوت.

وقدَّمَ لعدد كبير من الشخصيات الإسلامية في العصر الحديث؛ مثل: **الطهطاوي** ، الذي اعتبره رائد التنوير الإسلامي في العصر الحديث ، **وخير الدين التونسي** ، الذي عمل على استلهام النظم الغربية بروح الإسلام وفي إطار الإسلام ، **والأفغاني** الذي اعتبره قائدَ ثورة البعث والإحياء في العالم الإسلامي الحديث ، وتلاميذه؛ مثل: **محمد عبده ومحمد رشيد رضا** ، كما ترجم **لعبد الحميد بن باديس** وفكره وثورته ضد الظلم والاستعمار.

وأنهى الكتابَ بالترجمة لواحد من أهمِّ علماء الأزهر في العصر الحديث؛ الإمام الأكبر السيد **محمد الخضر حسين**، الذي عمل على الإصلاح بالإسلام.

وكان للمرأةِ نصيبٌ من هذا الكتاب؛ حيث ترجم **لأسماء بنت أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما.

وهذا الكتاب كان بداية كتب التراجم في فكر الدكتور محمد عمارة الذي عمل على تقديم الفكر الإسلامي وموقفه من الثورة بشكل متكامل ، وعبارة عن نماذج حية واقعية عاشت وما زالت تعيش في عالم الإسلام من خلال أعمالهم ، وهو بذلك يرد على المنكرين لثورية الإسلام بشكل عملي ، ونعتقد أن توقيت صدور الطبعة الأولى من الكتاب عام (١٩٧٢م) كانت تعبيراً موفَّقاً ضد الظلم ، والهزيمة ، والانهيار الموجود في المجتمع المصري والإسلامي في ذلك الوقت.

٣٦ ـ جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام[1]:

يعترف الدكتور عمارة أنّ الهدف الأساسي الذي يلحُّ عليه من وراء هذا

---

(١) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٨م في بيروت، ثم أصدرتها دار الشروق ١٩٨٨م ، ط٢، في ٣٠٣ صفحة ، وهي التي اعتمدنا عليها.

الكتاب الحاجة الملحّة للأمة الإسلامية بضرورة بل حتمية إعادة النظر في التراث ، وإعادة تقويمه بالمنهج العلمي . . «أتمنى أن يكون تجديدُ الرغبة الصادقة في أن تكون الترجمة بعثاً للتراث ، وأن تصبحَ فرصةً لإعادة تقويمه على أساس من المنهج العلمي الذي أحاول التزامه في فرز صفحاته ، وغربلة أحداثه ، وأيضاً في عملية الاختيار والانتقاء من هذه الصفحات وهذه الأحداث ، ومن ثَمَّ تتحوَّلُ هذه الدراسة عن جمال الدين الأفغاني إلى روحٍ حية ، تعيد الأفغاني الثائر والمفكر إلى رحاب حياتنا الثورية والثقافية»[1] .

يبدأ الدكتور عمارة **بالردِّ على الشبهات** التي انتشرت حول بلد ونسب ومذهب الأفغاني ، ذلك لأن بعض الشيعة ـ وأيضاً المستشرقين ـ يقولون عنه : إنّه شيعي جعفري إيراني ، وليس سنيّاً أفغانيّاً ، واستخدم في الردِّ عدة أدلة ترد هذه الاتهامات الباطلة التي عملت على الانتقام من الأفغاني حتى بعد مماته ، للدور الذي قام به دفاعاً عن الإسلام والمسلمين .

لقد ناقش الدكتور عمارة **فكرة الجامعة الإسلامية** ، وهي لبُّ أفكار جمال الدين الأفغاني ، وتطور هذه الفكرة ، ومراحلها التي مرت بها في فكر الأفغاني ، فهو مثلاً يذكر أنَّ العلاقةَ فيما بين شعارات الجامعة الإسلامية ، وما بين الأفكار القومية ، كانت في المرحلة الأولى من فكره تحمِلُ شيئاً من الازدواج والتعميم وعدم الحسم ، كذلك فإن موقفه من الخلافة العثمانية قد خضع لتقلّبات وتطورات أيضاً ، كما أنَّ الدكتور عمارة ناقش بوضوحٍ كاملٍ موقف الأفغاني من: المضمون التحرري ، والمضمون الطائفي لشعار الجامعة الإسلامية ، كذلك ناقشَ موقفه من الخلافة العثمانية ، ودور وحجم الفكرة القومية عند الأفغاني ، كذلك لمن يكون الثقل والقيادة في سبيل

---

(١) جمال الدين الأفغاني ، ص ٩ .

التحرر؟ أللعرب؟ أم لعنصر إسلامي آخر؛ الأتراك مثلاً؟ ونجدُ الأفغانيَّ يؤكِّدُ على اللسان العربي ، وعلى التعريب.

فموقفه حيال القومية العربية مرَّ بعدة مراحل حتى أدرك في النهاية أن **التزاوج بين الإسلام والتفكير القومي هو الأمر الطبيعي والمناسب لمصالح الشعوب وآمال المسلمين** ، لذا أكد الدكتور عمارة على أنَّ الأفغاني هو زعيمُ المدرسةِ التي زاوجت ما بين الفكر الإسلامي وتعاليمه وما بين الفكر القومي الذي حفلت به منذ ذلك العصر بلاد العالم الإسلامي[١]؛ لذلك فإنَّ نضوجَ الفكر القومي عند الأفغاني لم يكن بمعنى إدارة ظهره للتضامن الإسلامي ، ولا رجوعاً عن فكرة الجامعة الإسلامية.

ويرى الدكتور عمارة أنَّ الأفغـاني وضعَ للإنسان المسلم ثلاثة دوائر يتحرَّكُ فيها على الترتيب: **دائرة الأمة** التي ينتسب إليها ، **ودائرة الملة** التي تعتنق ذات الدين الذي يؤمن به ، **ودائرة النوع الإنساني** الذي هو آخر أفكاره.

وأهم القضايا التي عالجها الدكتور عمارة في هذا المجال هي ظلال الشك التي يرميها عددٌ من الباحثين حول **موقف الأفغاني من الثورة العرابية** ، وأنه ساهم في إفشالها ، فردَّ الدكتور عمارة على أصحاب هذا الرأي بالأدلة ، وبيَّن لهم أيضاً بطلان ما يقولونه وما يعلنونه.

لم يكتف الدكتور عمارة بعرض آراء الأفغاني السياسية فقط ، بل **عرض لآرائه الاجتماعية ، وكذلك رؤيته للعقل ، وموقفه من قضية التطور والارتقاء** ، بل ولتوقعاته بأنَّ الإنسان سوف يغزو القمر والكواكب الأخرى ، وبذلك قدم لنا الدكتور عمارة لوحةً متكاملةً للسيد جمال الدين الأفغاني ، نستطيعُ من خلال رؤيتها معرفة كل ما يتعلق بفكر وشخصية الأفغاني التي

---

(١) جمال الدين الأفغاني ، ص ١٦٢.

تمتعت بفكر سياسي ناضج ومتطور ، وفي المجال العلمي يتمتع بمنطق علمي ناضج بعيداً عن التعصب الممقوت.

ويختم الدكتور عمارة الدراسة بقوله: «وهو ـ يقصد الأفغاني ـ نموذج نتمنى أن يتحول من خلال هذه الدراسة وذلك التقديم ، إلى مركز جذب يغري مثقفينا ومفكرينا ومناضلينا باقتفاء هذا الأثر ، والسير على ذلك الدرب ، وانتهاج ذات السبيل»[1].

٣٧ ـ علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران[2]:

علي مبارك علم من أعلام النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر ، فقد أسهمَ في إيقاظ العقل العربي ، وله من الفكر والإنجازات ما جعله في صف عظماء المفكرين المسلمين. . لذلك استغرب الدكتور عمارة من هذا التجاهل المريب للرجل ، فلم يأخذ حقه من التأليف والكتابة عنه ، رغم خصب حياته ، ورغم المجالات التي اقتحمها ، فكانت روايته (علم الدين) هي النموذج الأول للرواية العربية ، كما أنّه أعاد إلى الأذهان الكتابة في الخطط التي كانت وانتهت بالمقريزي.

بدأ الدكتور عمارة كتابه بعرض **حياة علي مبارك** مبتدئاً بجذور الأسرة ، ومراحل انتقالها ، والكتاتيب التي التحق بها ، وتمرُّده على تقاليد التعليم البالية ، حتى استقراره وتعليمه في المدارس الحديثة في القاهرة ، وسفره إلى أوروبة وعودته ، وفي كل هذه المراحل يعمل الدكتور عمارة على الربط ما بين الخاص والعام ، وما بين علي مبارك وأسرته وتعليمه ، وما بين حالة مصر وظروف العصر.

---

(١) الأفغاني ، ص ٢٨٩.

(٢) صدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب ـ وهي التي اعتمدنا عيها ـ عن دار الشروق بالقاهرة ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، في ٤٥٥ صفحة.

عرض الدكتور عمارة **للوظائف التي تولاها علي مبارك في حياته ، ولمؤلفاته ، وإبداعاته** ، كما عرض لنجاحاته وإخفاقاته ، ولحياة البطالة والعوز والفقر ، وللغنى الشديد الذي أصابه حتى أصبح واحداً من كبار رجالات مصر ، هذا التقلب الذي ترك أثراً كبيراً على حياة علي مبارك.

ناقش الدكتور عمارة رواية علي مبارك (**علم الدين**)؛ ومما قاله عنها: إننا دخلنا عصر الرواية الحديثة بها ، وتتميز رواية (علم الدين) بالطابع الموسوعي ، فقد كانت شاملةً لأحوال الحضارة الأوروبية ، ولعقد المقارنات مع الحضارة الشرقية.

كما أنه عرض لكتابه (**الخطط التوفيقية**) وهو أهم مصادر تاريخ مصر في القرن التاسع عشر ، لا استغناء عنها لباحثٍ جادٍّ في دراسته ، وهو يذكر عن منهج علي مبارك قوله: «إن علي مبارك قد نظر في رواياتِ المؤرخين القدماء بعين ناقدة ، وعقل مهندس ، ومنهج علمي مستنير ، يتسلّحُ صاحبه بالعلوم الحديثة ، ويؤمِنُ بالتخطيط المعتمد على التعداد والإحصاء»[1].

كما كان علي مبارك أول المهندسين الوطنيين في العصر الحديث الذين عملوا على دراسة السبل الكفيلة بسيطرة الإنسان على النيل.

عرض الدكتور عمارة لقضية غاية في الأهمية في فكر علي مبارك ، وهي: **نقده للدولة ، وموقفه من الثورة** ، فبالرغم من أن التنوير كان في مصر في ذلك الوقت وحتى سبعينيات القرن التاسع عشر من عمل الجهاز الحكومي الذي كان يضمُّ مفكرين كبار ، مثل: رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ، على الرغم من ذلك نجد أن علي مبارك كان يوجِّهُ النقدَ لما يراه خطأً في جهاز الدولة وقمة الحكم ، بل إنّه تجاوز التلميح إلى التصريح؛ لذلك دخل في

---

(١) علي مبارك ، ص ٢٢٢.

العديد من الأزمات مع جهاز الدولة ، ولكن مع ذلك فعلي مبارك ـ وفقاً لما ذكره الدكتور عمارة ـ اتخذَ موقفاً متحفظاً من الثورة ، فقد رفض علي مبارك الثورةَ كوسيلةٍ للتغيير ، ولكن دون أن يناصبها العداء.

وحول **موقف علي مبارك من المرأةِ** يقرر الدكتور عمارة أنه قد انحاز إلى صف تحرير المرأة ، وتطويرها في بعض القضايا ، ولكنه وقف متردداً أمام قضايا أخرى.

وبالرغم من أنه لم يكن أزهريّاً في تعليمه ، فقد **دافع عن الإسلام دفاعاً مجيداً ، واستخدم العقل والمنهج في الكتابة** ، لذا يقول عنه الدكتور عمارة: «لقد أثمر هذا المزيج في عقل الرجل وقلبه ثمرة جعلت منه واحداً من أقل مفكري عصره وقوعاً تحت سلطان الخرافة ، فبدا في كثير من صفحات آثاره الفكرية عقلاً علميّاً ، وعالماً عقلانيّاً ، تآخت عنده الفلسفة مع الدين ، فتزاملا وتعاونا لتعبيد الطريق أمام الإنسان كي يكشف المزيد والمزيد من أسرار هذا الوجود»[١].

٣٨ ـ الجامعة الإسلامية والفكرة القومية: نموذج مصطفى كامل[٢]:

مصطفى كامل الابن البار للوطنية المصرية الذي جاهد وكافح من أجل استقلال مصر من الاحتلال البريطاني ، وعمل من منطلق قومي تحت رايات الجامعة الإسلامية ، وتوفي في ريعان الشباب بعد أن أضناه الكفاح ، فجاء هذا الكتاب تحيةً له في ذكرى ميلاده المئة ، وأيضاً للتأكيد على ما يؤمن به الدكتور عمارة من فكرة **الجامعة الإسلامية** وعلاقتها **بالفكرة الوطنية ، والفكرة القومية** ، فهي دوائر ثلاث يجب أن يدور في فلكها الإنسان المسلم.

---

(١) علي مبارك ، ص ٤٣١.

(٢) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق بالقاهرة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، في ١٨٥ صفحة.

يذكر الدكتور عمارة أنه بعد الاحتلال الإنكليزي لمصر (١٨٨٢م) عمل الإنكليز على تنمية تيار القومية المصرية الرافض لارتباط مصر بمحيطها العربي والإسلامي ، ولكن عندما بدأ مصطفى كامل نشاطه الوطني ، أدرك أنّ **الجامعة الإسلامية** هي السبيلُ للتعبير عن طوق النجاة من العزلة التي يريدها الاحتلال الانكليزي ، وتيار القومية المصرية.

في بداية الكتاب قدَّم الدكتور عمارة **لحياة مصطفى كامل وأسرته وتعليمه وكفاحه**.. وأسلوب الدكتور عمارة مشوق ، وكأنه يكتب بأسلوب الروائي عندما يكتب عن الأسرة والحياة ، ولا يغفل الربط بين الخاص والعام ، وعلاقة الأحداث التي كانت تجري في مصر وانعكاساتها على أسرة مصطفى كامل ومسيرته وفكره ، ويؤكد الدكتور عمارة على أن مصر وصلت إلى عصر جديد بفضل جهود مصطفى كامل الوطنية.

ناقش الدكتور عمارة **فكرة الجامعة الإسلامية** ، ومنزلتها في فكر مصطفى كامل من منطلق مقولة كامل: إن حركة الجامعة الإسلامية ، بمعنى الحرب الدينية ، لا وجود لها بالمرة ، فلا يوجد مسلم متنور يدعو إلى تأليف عصبة إسلامية ضد المسيحية ، كما يؤكد الدكتور عمارة على أنَّ لتيار الجامعة الإسلامية عدة تيارات بينها من عوامل الاختلاف والتمايز أكثر مما بينها من الوفاق والاتفاق ، ومن هذا المنطلق عمل الدكتور عمارة على الرد على الاتهامات التي وجهت لنشاط مصطفى كامل الوطني من خلال الجامعة الإسلامية.

فيؤكد الدكتور عمارة أن عقيدة مصطفى كامل ونشاطه العملي إنما كانت تصبُّ جميعاً في إقامة ذلك البناء الذي أسهم فيه أكثر من أي معاصر له؛ بناء «القومية المصرية» و«الذاتية المصرية» و«الوطنية المصرية»؛ وهي كلها

أحجار عثرة في سبيل أية محاولة تبذل لإعادة البلاد مرة ثانية إلى حظيرة إمبراطورية آل عثمان[1].

لقد فهم مصطفى كامل الدوائر الثلاث للإنسان المسلم، وعمل من خلالها على تحرير بلاده، لذلك فهناك اختلاف في مفهوم الجامعة الإسلامية عند مصطفى كامل، وعند السلطان عبد الحميد مثلاً، وهنا قدم الدكتور عمارة عشرات الأدلة على صدق هذه الرؤية من خلال عرضه ونقاشه لكلام مصطفى كامل ومواقفه.

كما أنّ الدكتور عمارة بيّن من خلال عروضه لأفكار مصطفى كامل أنّه لم يكن في يومٍ من الأيام من دعاة الفتنة بين المسلمين والأقباط: «فإنّ موقفه من أهمية وضرورة الوحدة الوطنية لكلِّ أبناء الأمة المصرية هو موقفٌ ثابتٌ وواضحٌ وحاسمٌ، لا لبس فيه ولا غموض»[2].

ومن خلال أقوال وأفعال مصطفى كامل نجده يحذّر الأمةَ من الشقاق والخلاف؛ لأنه منشأ الخراب والدمار، ولذا فقد دعا إلى تحقيق علاقة المواطنة والأخوة الوطنية بين الطرفين.

٣٩ ـ عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام[3]:

في أمانةٍ وتجرّدٍ علميين يعترف الدكتور عمارة بأنّ هناك ثلاثين دراسة كتبت عن عبد الرحمن الكواكبي، وأنّ هذه الدراسات كان من الممكن أن

---

(١) مصطفى كامل، ص ٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص ١١.
(٣) صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب ـ التي اعتمدنا عليها ـ في ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م عن دار الشروق بالقاهرة، في ٢١٩ صفحة، كما صدرت طبعة جديدة للكتاب عن دار الشروق عام ٢٠٠٧م، ويقع في ٢٦٨ صفحة، ومكتوب عليها: الطبعة الأولى!.

تمثل عاملاً للانصراف عن الكتابة عن الكواكبي ، ولكن بعد مراجعتها يتّضحُ للباحث أنه رغم كل ما كتب عن الكواكبي ، فما زالت هناك مناطق بكر في عبقرية وآراء هذا المفكر لم تعالج ، وبعضها عولج من زوايا خاطئة ، مما ترتبت عليه أحكام خاطئة ، لذا كان هذا الكتاب.

وضع الدكتور عمارة منذ المقدمة وخلال صفحات الكتاب عدة أسئلة تمثّل حجرَ الزاوية للكتاب ، منها: **ماذا كان يمثّل الكواكبي؟ وما هو التفسيرُ الأقربُ إلى حقيقة ما أراد؟ وما هي حقيقة أفكار الكواكبي؟**.

ويدعو الدكتور عمارة مثقفينا وباحثينا إلى النظر بعين الاعتبار إلى التراث وآفاقه؛ لأنّ به من التقدمية والثورية ما يبهران الباحثين ، أيضاً أصالةُ وعمقُ الكواكبي يمثلان ميزة كبرى يجب أن يتحلى بها المثقف العربي المسلم.

ألقى الدكتور عمارة في البداية الأضواء على **حياة وأسرة وترحال الكواكبي** ، مبيناً العوامل المختلفة التي أثرت على هذا الفكر وأثرته ، ثم يثيرُ قضية خطأ البعض في **فهم موقف الكواكبي من قضية العروبة**! وأنّهم خلطوا وجهة نظره فيها بحديثه عن الدين الإسلامي والروابط الروحية التي تربط ما بين المسلمين. . يرى الدكتور عمارة أن المصدر الذي استقوا منه هذه الأخطاء هو كتابه **(أم القرى)**؛ لأنّ هؤلاء درسوا الكتاب دون إمعانٍ ، ودون أن يتعمّقوا الفروق الدقيقة والحاسمة بين عدد من المصطلحات والأسماء التي وردت في الكتاب. . وهنا قدم الدكتور عمارة عرضاً رائعاً لهذه المصطلحات والمفاهيم مبيناً دلالتها وأصولها وربطها بزمنها الذي قيلت فيه.

ويعرض الدكتور عمارة **لآراء الكواكبي في التجديد الديني** ، بل إنّ الدكتور عمارة يضعه على رأس المجددين للدين الإسلامي على رأس القرن التاسع عشر ، وللتدليل على هذا الرأي قدّم عشراتِ النماذج من فكر الكواكبي التي تؤيد وتؤكد ما وصل إليه الدكتور عمارة ، من هذه الآراء: مطالبةُ الكواكبي بالعودة الواعية المستنيرة إلى المنابع النقية للدين الإسلامي ،

واطراح ما علق به من بدع وتعقيدات وخرافات . . كما قدم الدكتور عمارة **لآراء الكواكبي فيما أصاب الأمة الإسلامية من فتور ومن تدهور حضاري** ، وهو مع ذلك يؤمن بالمستقبل المشرف لهذه الأمة الإسلامية ، وأن عوامل الفتور سوف تزول لو أرادت الأمة اليقظةَ من غفلتها ، فهي ليست داءً دفيناً ، وليست داءً مزمناً أو داء عضالاً .

أما عن **موقف الكواكبي من الثورة** فيذكر الدكتور عمارة قوله : «إنّ الثورة بالنسبة للكواكبي لا يمكن إلا أن تكون النتيجة الطبيعية للمقدّمات التي صاغها في شكل بحوث ومشاكل وقضايا واجهها واكتشفها في واقع المجتمع العربي في ذلك الحين»[1] .

وفي الطبعة الأخيرة للكتاب (دار الشروق ٢٠٠٧م) أفرد المؤلف مقدمة طويلة تبلغ ربع الكتاب لمناقشة أراء غاية في الأهمية : هي **الاتهامات التي وجهت للكواكبي باعتباره أول العلمانيين العرب** ، وأنّه بالتالي كان يؤيّدُ فصل الدين عن الدولة . . ويردُّ الدكتور عمارة على هذه الأفكار ، ويفنّدها بعد قراءة للنصوص التي اعتمد عليها أصحابُ هذا الاتهام في سياقها الطبيعي ، لا قراءتها مجتزأةً عن النص وعن الزمن ، وبعيداً عن القراءة القسرية لها ، وبالفعل في هذه المقدمة نجح الدكتور عمارة في نسف هذه الاتهامات من أساسها .

٤٠ ـ حسن البنا:

بمناسبة الذكرى المئوية للشيخ حسن البنا ، كتب الدكتور محمد عمارة ست مقالات عن الشيخ حسن البنا ، كما كتب بحثاً كذلك ، وجمعت المقالات والأبحاث ونشرت في كتاب .

قدم الدكتور عمارة **تعريفاً بالشيخ حسن البنا ، ونشأته وأسرته ، وتطور**

---

(١) عبد الرحمن الكواكبي ، ص ١٧٠ .

فكره ، وتأسيسه لجماعة الإخوان المسلمين ، وهو في ذلك يربط العام بالخاص ، فيشرح ظروف مصر السياسية والاقتصادية والثقافية ، وانعكاس ذلك على الشيخ حسن البنا ، وهي رؤيةٌ ممتازة ، فالإنسان ابنُ عصره بكل ظروف هذا العصر.

ويؤكد الدكتور عمارة على **دور المرأة في فكر المرشد العام للإخوان** ، فمنذ البداية أسس في مدينة الإسماعيلية ـ مقر تأسيس الإخوان ـ معهد أمهات المؤمنين لتربية البنات تربية إسلامية صالحة ، كما أنشأ بالجماعة قسم الأخوات المسلمات.

وفي سبيل تحقيق أمله في الدعوة الإسلامية ، وعودة الإسلام لحياة الناس وإحياء الفكر الإسلامي زار حسن البنا **ثلاثة آلاف قرية مصرية** ، وخطب وناظر وكتب في الصحافة ، وألف الكتب ، ففي الصحافة أصدر **ثماني مجلات** وصحف؛ مثل: (**المنار**) الشهرية ، و(**الشهاب**) الشهرية ، و(**النذير**) و(**التعارف**) الأسبوعيتين ، وجريدة (**الإخوان المسلمون**) نصف الشهرية ، وجريدة (**الإخوان المسلمون**) اليومية.

تحدّث الدكتور عمارة عن **الثقافة التي كونت هذا العقل المتفرّد ، وصاغت هذا المشروع الإصلاحي** مزيجاً من فقه القرآن ، وفقه السنة النبوية ، وفقه الواقع المعاصر: مصريّاً ، وعربيّاً ، وإسلاميّاً ، وعالميّاً ، كذلك التصوف الشرعي البريء من الخرافات ، والبدع ، والسلفية التجديدية الواعية التي اتخذها محب الدين الخطيب ، كذلك العقلانية المؤمنة التي تمتعت بها مدرسة الإحياء الإسلامية الحديثة ، أضف إلى ذلك المعارف العامة والإنسانية التي قرنها واستفاد منها.

وقدم البحث وهو تحت عنوان «**التجديد في المشروع الحضاري للإمام البنا**» ، فطاف الدكتور عمارة حول **منهج البنا التجديدي** ، فهو امتداد لمشروع الإحيائية الإسلامية لمحمد عبده ومحمد رشيد رضا ، ولكنّ البنا

واصل وزاد فيه ، وحدّدَ معالم هذا المشروع التجديدي في عدة معالم ، هي :

١ ـ التميّز عن المؤسسات الدينية التقليدية .

٢ ـ الجمع بين النظر العقلي والنظر الشرعي .

٣ ـ مرونة الشريعة والانفتاح على الحكمة الإنسانية .

٤ ـ رفض التغريب ونقد الحضارة المادية الغربية .

٥ ـ إسلامية النظام النيابي الدستوري .

٦ ـ تكافل دوائر الانتماء الوطني والقومي والإسلامي والإنساني .

٧ ـ سنّة التدرج في الإصلاح .

أكد الدكتور عمارة على عدة أمور ، هي :

أنّ الأستاذ البنا وقف بالتجديد الإسلامي عند **وسطية الإسلام** ، فقطع باستحالة الخلاف والصدام والتناقض بين النظر العقلي وبين النظر الشرعي في الأمور القطعية .

ودعا حسن البنا إلى التجديد ، وحدد في صراحة ووضوح أنّ دعوته هي واحدة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب .

كما أن الدكتور عمارة قال : إنّ البنا وجّه «النقد العبقري» إلى تاريخ الدولة الإسلامية ، وتحدث عن سبعة عوامل أدت إلى تحلل كيانها ، ومن ثَمَّ حدوث الفراغ الذي أخذ يتمدد فيه النموذج الغربي للدولة القومية الحديثة .

ووضح الدكتور عمارة موقف البنا من الثورة ، فهو يرى أن الإسلام ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، لزلزلة الأوضاع الفاسدة ، وتحطيم صروح البغي والعدوان الشامخة ، فهو ثورة على الجهل وعلى الظلم وعلى الضعف بكل معانيه .

وأكد الدكتور عمارة أن البنا كان يؤمن بالتدرج في الإصلاح ، وليس

الهبَّات العفوية والانقلابات العنيفة ، ذلك لأن المنهاج الإسلامي في الإصلاح ليس منهاج القفز المباشر على الدولة ، وإنما هو منهاج التربية للأمة لتأتي الدولة بعد ذلك ثمرة ناضجة نضوجاً طبيعيّاً ، ولتجد هذه الدولة أمة مهيأة ومتقبلة للمنهاج الإصلاحي للدولة الجديدة.

٤١ ـ أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية[1]:

هذا الكتاب يلقي الضوء على جزء من المشروع الفكري للدكتور عمارة ، فهو لا ينظر في الإطار القطري الضيق ، بل يبحث في عالم الإسلام الواسع ، وفضاءاته الرحبة ، فهي الإطار الثالث المتداخل مع الإطارين: الوطني ، والقومي ، لذا كان هذا الكتابُ عن أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ، فهو دراسة تقريرية فاحصة لفكر المودودي ، وللصحوة الإسلامية في الهند ، التي ظهرت في مقابل الغزو الغربي العسكري والفكري للهند ، وعمل المودودي على الدفاع عن الإسلام في مواجهة التغريب والاستقطاب.

عرض الدكتور عمارة في بطاقة **الحياة الخاصة بالمودودي** ، **أسرته وتعليمه والمهن التي عمل بها ، وعرض لشهرته واتساع دائرة تأثيره الفكري بين المسلمين** ، و**عمل** المودوي على تعميق الإسلام لدى المفكرين المسلمين ، ولدى المسلمين عامة ، فأنشأ الجماعة الإسلامية في لاهور ، وانتخب أميراً لها في (٢٦ أغسطس ١٩٤١م).

وتحدث كذلك عن **كتب أبي الأعلى المودودي** التي بلغت نحواً من مئة وأربعين كتاباً حول: (الإسلام وحضارته) ، (نظرية الإسلام السياسية) ، و(الجهاد في الإسلام) ، (الدين الحق) ، (حقوق أهل الذمة) الذي أوضح فيه رؤية الإسلام لحقوق وواجبات أهل الذمة الذين يعيشون في ديار الإسلام ، و(الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية). . كذلك من أهم كتبه التي

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق ـ القاهرة ١٩٨٧م ، في ٤٥٥ صفحة.

أشار إليها الدكتور عمارة كتاب: (مطالب الإسلام تجاه المرأة المسلمة) الذي يوضح فيه رؤيته إلى المرأة من خلال الإسلام.

لقد أشار الدكتور عمارة في الكتاب إلى أن المودودي عمل على **تحويل فكره النظري إلى حركة إيجابية بناءة تعمل على** تأليف الرجال بعد تأليف الكتب، وكان لهذه الكتابات دورٌ كبيرٌ في محاربة مركّب النقص الذي يشعر به الشباب تجاه الحضارة الغربية، فأعاد إليهم الثقة بصلاحية الإسلام للتفوق على الحضارة الغربية وفي اللحاق بها أو مسايرتها.

وأهم قضية ـ في نظري ـ ناقشها الدكتور عمارة هي **قضية التكفير** التي انفرد المودودي ببعثها من جديد، فالمودودي يكفّر المجتمعات والدول التي لا تطبق الحاكمية الإلـٰهية، والشريعة الإسلامية، والفروع الاجتماعية حتى لو كانت فروعاً في السياسة والاجتماع والاقتصاد، ولكنه مع ذلك يجد تحرّجاً في تكفير الأفراد بارتكاب المعاصي ـ كبيرة كانت أو صغيرة ـ طالما هم مؤمنون يترجم الإسلام عن الإيمان الذي في قلوبهم، وبذلك فهو يؤسس التكفير على غياب فكرة الحاكمية.. يرجع الدكتور عمارة هذا الموقف لغلبة الحضارة الغربية على الإسلامية، والبعد عن كل ما هو إسلامي في بلاد الإسلام لدرجة ضاعت معها المعالم، لأنه حكم ذو طابع حضاري وسياسي وقومي ووطني، يواجه به المودودي هيمنة الغرب الاستعمارية مواجهة ترفض هذه الهيمنة رفضاً جذريّاً، وهو موقف مناقض ـ في رأيي ـ لرؤيته عدم تكفير الأفراد وهجومه على من يرى ذلك.

قدم الدكتور عمارة كذلك **لرؤية المودودي وجوب التمييز بين النص والتأويل**، ومراعاة **الفروق بين الأصول والفروع**، وهم يحكمون على أفعال الناس خصوصاً في التكفير، لذا طالب الدكتور عمارة بعدم اجتزاء النصوص والحكم عليها؛ فالبعض يجتزئ جملاً من كلام المودودي، ويستخدمها بعيداً عن سياقها خصوصاً في التكفير.

٤٢ ـ الإمام الأكبر محمود شلتوت: المدرسة الفكرية ـ المسيرة العلمية ـ الاجتهاد والتجديد[1]:

يترجم الدكتور عمارة في هذا الكتاب لعلم من أعلام الفكر الإسلامي التجديدي، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، ذاكراً أنّ له مدرسة فكريةً خاصّةً تقوم على **أساس الإحياء والتجديد**، ورفض الجمود والتقليد، والإصلاح الإسلامي بعيداً عن النموذج الحضاري الغربي، وهذا لأنّه كان نتاجاً لمدرسة الإحياء الإسلامية التي صاغ منهجها وقواعدها الأفغاني ومحمد عبده.

يؤكِّدُ الدكتور عمارة أنَّ **أهمَّ القواعد الفكرية للإمام شلتوت ومدرسته هو نقدُ الجمود والتقليدِ**، فالمقلّدون لأدبيات الغرب لا يمكن أن يفيدوا أمتهم بميراث العلوم الغربية؛ لأنهم غفلوا عن ارتباط تلك العلوم والفنون بملابساتِ نشأتها وخصوصيات حضارتها.

ويؤمن بالتجديد الذي يجمَع بين سلفية العودةِ إلى المنابع والأصول الإسلامية، وبين عصرية فقه الواقع واستشرافِ المستقبل، وبذلك فهو ضرورةٌ إسلاميةٌ، كما دعا إلى ربط الإسلام (الدين) بالدولة، والدولة بالدين، فلا يتصور قيامُ الإسلام بلا دولة، والإسلامُ هو أساسُ سياسةِ الدولة، ومع هذا فالسلطةُ الدينية مرفوضةٌ إسلاميّاً، ودعا إلى **الشورى**، **فهي فريضة إسلامية، وصفةٌ من صفات الأمة المؤمنة، وهو حق لجمهور الأمة الإسلامية، تأثم جميعُها بتركه، وهي عامة في كل ميادين الحياة وملزمة، وليست مَحْمَدَةً اختياريةً**، ولذلك قرر الإمام شلتوت أنّ **الاستبدادَ هو عدوُّ الإنسانية**.

ردَّ الشيخ شلتوت على الداعين إلى الشيوعية، وكذلك على أصحاب

---

(١) طبع في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ٢٠٠١م.

مدرسة النشوء والارتقاء ، وهي ردودٌ تستنِدُ على العقل ، وتقديم الأدلة ، لا على الرفض العاطفي.

أما **عن المرأة** فيرى الشيخ شلتوت ـ كما يعرض الدكتور محمد عمارة ـ مساواة المرأة للرجل ، وتوزيع العمل بينهما وفق فطرةٍ تمايز الذكورة عن الأنوثة ، كما أنه ليس صحيحاً أنَّ الإسلام ينتَقِصُ من أهمية المرأة في الميراث وفي الشهادة ، وقدم الأدلة على صدقية ما وصل إليه.

وبخصوص **رأيه في الغناء والموسيقىٰ** يرى أنّ الأصل فيها الحل ، والحرمة عارضةٌ ، وضرورات التحريم ضعيفة ، لذلك يؤكد أنَّ سماعَ الآلاتِ ذاتِ النغمات والأصواتِ الجميلة لا يمكِنُ أن تحرم باعتباره صوتَ آلةٍ أو صوتَ إنسانٍ أو صوتَ حيوانٍ ، وإنّما يحرمُ إذا استعينَ به على محرَّمٍ أو لهوٍ عن واجب.

ومن أخطر القضايا التي عرض لها الدكتور عمارة هي **موقف الشيخ شلتوت من التقريب بين المذاهب الإسلامية** هو ومجموعة من العلماء[١] ، وأنّه أنشأَ مجلة (رسالة الإسلام) لهذا الغرض ، وتوالت اجتهاداته الفقهية في هذا المجال على صفحات المجلة ، بل إنّه أصدرَ فتوى بجواز تعبد المسلم السني على المذهب الجعفري.

٤٣ ـ الدين والدولة والمدنيّة عند السنهوري باشا[٢]:

الدكتور عبد الرزاق السنهوري واحدٌ من أهم فقهاء القانون المدني في

---

(١) استُغِلَّ هذا التقريب من قبل الشيعة الإمامية (الجعفرية) إلى الدعوة إلى مذهبهم ، ولم يترك أي أثر في الحوزات الجعفرية ، بينما اعتمد الأزهر المذهب الجعفري مذهباً فقهيّاً يدرَّس إلى جانب المذاهب السنية الأربعة! (ن).

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ، ٢٠٠٣م.

العالم الإسلامي الحديث ، له أكثر من خمسين مؤلَّفاً وبحثاً ، وهو واحدٌ من أهم الذين عملوا على تقنين الشرع الإسلامي ؛ لذلك عمل الدكتور عمارة على محاولةِ الكشفِ عن دور الدكتور عبد الرزاق السنهوري في إحياء الشريعة الإسلامية ؛ وموضحاً منهجه الذي ارتكز على عِدّة نقاطٍ ؛ منها :

١ـ اعتمادُ منهجِ المقارنةِ بين الشريعة وبين المنظوماتِ القانونية الأخرى .

٢ـ تبويبُ الشريعةِ في شكلٍّ حديثٍ يلبِّي احتياجات العصر .

٣ـ تجديد الجانب القانوني الفقهي على أساس عقلي .

٤ـ ضبطُ مفهومِ مرونةِ الشريعة الإسلامية .

٥ـ التمييزُ بين الجوانب العقدية والعبادية وبين الجوانب المدنية العامة .

فيرى الدكتور عمارة أنَّ القانون الذي يعمل به الدكتور السنهوري هو الذي قاده إلى **ضرورة تأسيس النهضة الشرقية على أساس الإسلام** ، كما دعا إلى الرابطة الإسلامية التي تفهم بمعنى المدنية الإسلامية ، والشريعةُ الإسلاميةُ هي أساسُ المدنية الإسلامية التي هي الصيغة الحضارية للنهضة الشرقية .

كما أنه **دافعَ عن النظام السياسي الإسلامي** ، وقدّم تصوُّراً لبعث الخلافة وإحيائها ؛ تصوراً دستوريّـاً يراعي المستجدّاتِ الوطنية والقومية في الواقع الإسلامي ، ويحافِظُ على مقاصد الخلافة كنظام سياسي متميز عن النظم الأخرى .

٤٤ ـ الشيخ محمد الغزالي؛ الموقع الفكري والمعارك الفكرية[1]:

الشيخ محمد الغزالي واحدٌ من أعلام المفكرين المسلمين الذين ينتمون لتيار **مدرسة الإحياء الإسلامي في العصر الحديث** ، وهو واحدٌ ممن

---

(١) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار الرشاد ـ القاهرة ١٩٩٨م ، وكان هذا الكتاب قد صدر سابقاً عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٩٢م.

يمتلكون مشروعاً فكريّاً متكاملاً للنهوض بالإسلام ، وتجديدِ الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، ومن الذين وقفوا بصلابة ضدَّ المشروع التغريبي الساعي لهدم الفكر الإسلامي والإحلال محله.

من أهم كتبه التي أشار إليها الدكتور عمارة (الإسلام والاستبداد السياسي) الذي **انتصر فيه للحرية ، وترسيخ مبدأ الشورى** ، فهي فريضةٌ لا فضيلة ، كذلك أشار لكتبه الأخرى؛ مثل: (معركة المصحف في العالم الإسلامي) و(حصاد الغرور) و(كفاح دين)[1].

ويذكر الدكتور عمارة أنّ **الشيخ الغزالي ليس مجرّدَ داعية متميزٍ ، أو عالمٍ من جيل الأساتذة ، أو مؤلفٍ غزيرِ الإنتاج ، أو مفكرٍ متعدّدِ الاهتمامات ، أو هو واحد من العاملين على تجديد الفكر الإسلامي ، ولكنّه كلّ هؤلاء معاً** ، فهو أحدُ أهمِّ معالم الحركة الإسلامية الحديثة ورموزها.

٤٥ ـ الدكتور يوسف القرضاوي؛ المدرسة الفكرية والمشروع الفكري[2]:

تأتي أهميةُ هذا الكتاب من أنَّ الدكتور عمارة يواصِلُ البحثَ في أفكار **المدرسة الإحيائية** منذ جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ومروراً بالكواكبي ، ورشيد رضا ، وحسن البنا ، وانتهاء بالغزالي ، والقرضاوي ، فهو يؤكِّدُ من خلال هذه الكتب على استمرار هذه المدرسة في التجديد الإسلامي ، ويؤكد قدرتها على الاستمرار بما يواكب الواقع الذي نحياه.

وهو يشيرُ إلى خارطة المشروع الفكري للقرضاوي على مدار حياته

---

(١) وهذه الكتب من منشورات دار القلم بدمشق.

(٢) صدر هذا الكتاب عن مكتبة دار نهضة مصر ـ القاهرة ، ١٩٩٨م ، في ٧٧ صفحة.

المديدة التي قدّم فيها ما يزيد على تسعين كتاباً ، وهو يعترِفُ أنها مجرّد إشارات لمعالمها ، وهي تمثّلُ همومَ المفكر المجاهد المرابط على ثغور الإسلام ، والذي يواجِهُ أشرسَ التحديات . . ويذكر الدكتور عمارة أنَّ مشروعَ القرضاوي مشروعٌ **يمثّل في حياتنا الفكرية المعاصرة كتيبة من كتائب الجهاد الفكري المجددة للدين الإسلامي** تجدداً تتجدد به دنيا المسلمين .

يذكر الدكتور عمارة دعوة الدكتور يوسف القرضاوي لاتباع العقل وإعمال الفكر ، فالقرآن ما لبث يقول : ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ، فالفكر والنظر والرأي والحجة والبرهان كلماتٌ لا نجدُها في الكتب والديانات السابقة ، ولكنّ القرآن يستخدمُها ويكرّرها مئاتِ المرات ، لذا فالحضارة الإسلامية لم تنشأ من فراغٍ ، وإنّما نشأت من أمة متهيئة وفي مناخٍ مناسبٍ .

ومن ضمن المشروع الفكري للقرضاوي **محاولتُه بيان علل المجتمعات الإسلامية والأسباب الحقيقية لتخلف المسلمين** ، ويؤكد القرضاوي أننا في حاجةٍ مكثّفة للتخلص من الموروثات التي تعطّلُ انطلاقةَ الأمة ؛ فليس كلُّ ما ورثناه سليماً وصحيحاً ، والملاحَظُ من خلال الكتاب وجودُ شبهٍ كبيرٍ جدّاً بين المشروعين الفكريين للدكتور عمارة وللشيخ يوسف القرضاوي .

٤٦ ـ التيار القومي الإسلامي[١] :

يعتبَرُ هذا الكتاب من أخطرِ كتب الدكتور عمارة التي تتحدّثُ عن قضايا فكرية معاصرة ، فهو يبحثُ في قضية شائكة اختلفت فيها الآراءُ ، ووقف طرفاها : القومي والإسلامي موقفاً عدائيّاً كلٌّ تجاه الآخر ، دون قراءةٍ أو فهمٍ واعٍ لما يحمله كلُّ تيار ، ودون محاولة لمعرفة القواسم المشتركة بينهما ،

---

(١) صدر هذا الكتاب عن دار الشروق ـ القاهرة ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م ، في ٢٠٥ صفحة .

وفي **محاولة لتوحيد الأمة بكل جوانبها وفرقها لتقفَ صفّاً واحداً** ضد **التيار الاستقطابي الغربي** جاء هذا الكتاب. . والذي يدهِشُنا في نتائجه التي اعترف مؤلِّف الكتاب أنها أدهشته (هو نفسه) ، فلم يكن يتخيَّلُ هذه المكانة الكبيرة للإسلام في الفكر القومي ، وهي دعوةٌ للقراءة والتفكير والمعرفة؛ حتى لا نقعَ أسرى المقولات السابقة التجهيز.

هذا الكتاب يترجِمُ لواحدٍ من أعلامٍ الفكر القومي العربي: «**ميشيل عفلق**» **أحد مؤسسي حزب البعث العربي في سورية** ، وهو كتابٌ ـ إن شئنا الدقَّة في وصفه ـ يمثل صدمةً عنيفةً تدفع لتحريك المياه في البركة الآسنة. . ويعترف الدكتور عمارة أنَّه قبل قراءة مصادر هذا الكتاب ما كان يتوقع أن تكون هذه هي مكانة الإسلامِ من الفكر القومي لزعيم القومية العربية ميشيل عفلق ، وهي أمانة علمية وصراحة يغبط عليها الدكتور عمارة. . وهذا الكتاب امتدادٌ لدعوة الدكتور عمارة للحوار وسيلةً حضارية بين الفرقاء في الوطن الواحد ، لأننا بالحوار نتعرف على الأفكار ، وعلى رؤى بعضنا بعضاً ، لذا فهذا الكتابُ دعوةٌ للحوار بين الإسلاميين والقوميين ، ليعرف كل منهما المشترك والمختلف بينهما.

يؤكد الدكتور عمارة على أنَّ عفلق رأى أنَّ **الإسلامَ هو الذي يكوِّنُ أوّلَ مقومات الشخصية العربية ، وهو جوهر العروبة ، وملهم ثورتها الحديثة ، لذلك فإنّه من الطبيعي أن يحتلَّ الإسلامُ كثورة عربية فكرية أخلاقية اجتماعية ذات أبعاد إنسانية مركزَ المحور والروح في هذا المشروع الحضاري الجديد للأمة العربية ، فالإسلام هو الذي حفظَ العروبة ، وشخصيةَ الأمةِ في وقتِ التمزُّق والضياع ، فالوطنية هي العروبة بعينها ، والعروبة هي الإسلام في جوهره.**

بعد هذه القنبلة الفكرية ، يؤكد الدكتور عمارة أنَّ ميشيل **عفلق** كان قد أسلم ، ولكنّه رأى هو ورفاقه عدم إعلان **ذلك** في وقته ، وأنّه عندما ماتَ

أُعلن إسلامُه ، ودُفِنَ في بغداد على الطريقة الإسلامية .

ناقش الدكتور عمارة هذه الآراء وكذلك رؤيته للإسلام ، وللعديد من القضايا الأخرى؛ مثل: التراث ، والتقدم ، ماذا يعنيان في المشروع البعثي؟ .

فيؤكد الدكتور عمارة من خلال دراسته لأفكار عفلق في هذه الناحية أنّه أخذَ يلحُّ في كتاباته على معنى جديد للتقدم والتقدمية بعيداً عن المعاني الماركسية لهما ، وقال: إنّهما يعنيان التجديد لما مضى والإحياء للتراث ، وتجاوزَ آثار وأمراض حقبة التراجع والجمود والانحطاط في مسيرتنا الحضارية لتحقيق التواصل الحضاري بين النهضة المنشودة والإحياء للتراث من خلال إحياء روحه في مشروعنا الحضاري المعاصر[1] .

وناقش الدكتور عمارة **موقفَ عفلق من الصراع الحضاري بين العرب والغرب** ، وقال: إنّه موقفٌ واعٍ وثابتٌ وعميقٌ: «هو واحد من أكثر الصفحات وعياً وعمقاً ودقة وإشراقاً في مشروعة الفكري ، بل وفي الفكر القومي العربي المعاصر»[2] لذلك دعا عفلق القوميين العرب إلى الانفتاح على الإسلام بما يشكله من ضمانة مصيرية لقوميتنا ومستقبلنا ، كما دعا إلى الحوار مع التيار الديني ـ حوار الحب والعقل ـ لذلك أعاد الدكتور عمارة توجيه الرسالة نفسها إلى القوميين وإلى الإسلاميين لفتح الحوار ، وأعتقد أنَّ هذا هو الهدف الأساسي لهذا الكتاب الصدمة في أفكاره وفي نتائجه ، وهذا هو دور المفكر في قيادة الأمة .

* * *

---

(١) التيار القومي الإسلامي ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

المبحث السادس

نشر ودراسة الأعمال الكاملة لرواد مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي

في بداية المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة ، وبعدما تفرّغ له ، كان همُّه الأول هو إصدار الأعمال الكاملة لعدد من روّاد **مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي** ، وذلك بهدف تجميعها بين دُفّتي كتابٍ ، حتى يحفظها من الشتات والضياع ، وأيضاً بهدف توفيرها للناس حتى يطلعوا على رؤية متكاملة لفكر هؤلاء القادة الفكريين .

عمل الدكتور عمارة على دراسة هذه الأفكار ، وقدّم منظومةً متكاملة بدءاً من **رفاعة الطهطاوي** رائد الاستنارة الفكرية ، ثم **جمال الدين الأفغاني** مؤسس مدرسة الإحياء والتجديد ، و**محمد عبده** الذي أعطى لهذه المدرسة روحها وفكرها ، ثم **الكواكبي** ، و**قاسم أمين** . . وهو في كل ذلك يتجشم عناء أمرين بالغي الأهمية ، هما :

١ـ **بذل الجهد والتعب** ، الذي امتدّ لعدة سنوات في العمل ـ فالأعمال الكاملة لمحمد عبده استغرقت خمسَ سنوات ـ في تحقيق نسبة الكتب والمقالات لهؤلاء الأعلام بعد أن نسب إليهم ما ليس لهم .

٢ـ **دفع الاتهامات الباطلة عن هؤلاء الرواد** ، سواء بالعلمانية التي وُجِّهت للكواكبي ، أو تهمة التشيع التي وُجِّهت للأفغاني ، فالأعمالُ هنا تنطق بالرد على الاتهامات ، وتقدّمُ مشروعاً فكريّـاً نهضويّاً تجديديّاً متكاملاً للفكر الإسلامي .

٤٧ ـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي[1]:

يعتبر الدكتور محمد عمارة بل ويؤكِّدُ على أبوة رفاعة الطهطاوي للنهضة العربية الحديثة ، فقد قاد العقل العربي ، وأخرجه كي يتخطّى عصورَ الجهل والجمود ـ حسب رأي الدكتور عمارة ، ولم يكتفِ رفاعةُ بالتأليف والترجمة ، بل بنى جيلاً قاد النهضة ، وسار بها خطواتٍ واسعةٍ.

ويأتي نشر هذه الأعمال وفقاً للمشروع الفكري للدكتور محمد عمارة الذي عمل على إخراج مؤلّفات الجيل الأول من الرواد حتى تكون سنداً للأمة في محنتها الآن ، وفي محاولات الأجيال لبناء نموذج تجديدي الآن.

أمضى الطهطاوي في باريس خمس سنوات (١٨٢٦ ـ ١٨٣١م) حيث ذهبَ إليها مع البعثة المصرية كي يؤلِّفَ ويترجِم علوم الحضارة الغربية وفنونها[2] ، وكما قال الدكتور عمارة: ليؤمَّ الشرق العربي والعالم الإسلامي في تخطي العصور المظلمة.

يرى رفاعة الطهطاويُّ أنَّ التجديدَ الإسلاميَّ كفيلٌ بتقديم الإسلام الحلولَ لمواكبةِ المستجدّات في العصر الحاضر ، وما دامت هذه الحلولُ بسبب إسلاميتها هي الأقربَ لفطرة الإنسان المسلم ، فإنَّ الإسلام يصبحُ هو الحلَّ لمختلفِ مشكلات الحياة ، ومما قاله رفاعة في معرض التزكية لفقه المعاملات الإسلامية ، والرفض والتحذير من القانون الوضعي الغربي: «إنَّ بحرَ الشريعةِ الغرّاء ، على تفرُّعِ مشاربه ، لم يغادرْ من أمهاتِ المسائل

---

(١) صدرت منها عِدّة طبعات ، الطبعة الأولى عن المؤسسة العربية ـ بيروت ١٩٧٣م ، ثم في نفس المؤسسة عام ١٩٨١م ، ثم طبعت حديثاً في مكتبة الشروق ، القاهرة في ستة مجلدات.

(٢) قلت: أرسل رفاعة إماماً للبعثة لا أكثر ولا أقل ، أما اطلاعه على ثقافةِ الغربيين وحياتهم الاجتماعية فكان بمبادرة ذاتية منه (ن).

صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وأحياها بالسقي والري ، ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ، لأنَّها أصلٌ ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع . . . لأنَّ الشريعة والسياسةَ مبنيان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التي يعلم حكمتها المولى سبحانه. . . فينبغي تعليمُ النفوس السياسة بطرق الشرع لا بطرق العقول المجردة»[(١)].

وعلى عكس ما يراه التيار العلماني والتغريبي أنَّ رفاعة الطهطاوي افتُتِنَ بالحضارة الغربية ، وتمنّى أن نعمل بها ، وترجم له الدكتور رفعت السعيد من أصحاب التيار اليساري المصري ، يرى الدكتور عمارة أنَّ هؤلاء أخطؤوا في القراءة الخاصة بالطهطاوي ، واقتطعوا النصوص من سياقها ، واجتزؤوا النصوصَ بعيداً عن سياقها.

يرى الدكتور عمارة أنَّ الطهطاوي خبرَ ثقافة الحداثة الأوروبية بباريس فرآها دنيويةً طبيعيةً لا دينية ، لذلك ميّزَ بين علوم المادة والتمدن المدني ، وبين ضلال الفلسفة الوضعية عن السبيل الإيماني ، فانحازَ للإسلام كدينٍ وحضارةٍ في مواجهة التغريب اللاديني ، فهو يرى أنْ نبدأَ من حيث انتهت أوروبة في الحضارة المادية ، مع الاحتفاظ بالمقوّمات الحضارية للأمة الإسلامية ، فهو يريدُ أن يوقِظَ أممَ الإسلام من النوم؛ كي يبحثوا في العلوم المختلفة ، والفنون والصنائع التي تخلّفنا فيها. . فهو يدعو إلى مخالطة الأوروبيين ، والتفاعل معهم ، والأخذ عنهم فيما لا يخالِفُ القيمَ والثوابتَ والشريعة والدين.

ويقسّم رفاعةُ الحريات إلى خمسة أنواع. ويلجأ إلى تفسيرات وتقييدات ، وفي النوع الثالث وهو **الحرية الدينية** ، ويقصد به: العقيدة

---

(١) الطهطاوي: الأعمال الكاملة ، تحقيق الدكتور محمد عمارة ، بيروت ١٩٧٣م: ٣/ ١٥٩.

والرأي والمذهب ، يذهب به إلى بعدين: بعد الاعتقاد المذهبي الديني وله شرط ، وهو: **ألا يخرج عن أصل الدين** ، ويجعل لهذا **الأصل** مرجعيةً شرعيةً للاتباع والتقليد: آراء الأشاعرة في العقائد ، وآراء أرباب مذاهب المجتهدين في الفروع.

ويرد الدكتور عمارة ذلك لأشعرية الطهطاوي وموقفه المعادي للمعتزلة الذين قالوا بالتحسين والتقبيح بواسطة العقل.

ناقش الدكتور عمارة **موقف الطهطاوي من المرأة** ، واحترامه لها في المجتمع ، وحصولها على حقوقها كإنسان ، وجعل ذلك معياراً لما عليه المجتمع من التمدن والتحضر ، وفي كتابه (**المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين**) معظم أفكار الطهطاوي في هذا الميدان ، وهو يعتبر عدم توفية النساءِ حقوقهنَّ فيما ينبغي لهنَّ الحرية فيه دليلٌ على الطبيعة المتبربرة ، كما دعا لحقِّ المرأة في التعلم ، وحقها في العمل ، ولكن الذي تطيقه بما يتناسب مع تمايزها عن الرجل.

لقد قدم الدكتور محمد عمارة ببلوغرافية كاملة لمؤلفات الطهطاوي وترجماته ، وأشار إلى أنَّ بعضَها لم ينشر ، مِنْ بينها ترجمةُ (روح الشرائع) لمونتسكيو ، وترجمة مذكرات أستاذه الذي درس عليه ، وعنوانها (أصول الحقوق الطبيعية) وهي من أهم الكتابات في هذا المجال.

من خلال القائمة الببلوغرافية التي قدمها الدكتور محمد عمارة يتَّضحُ لنا أنّ الطهطاوي ترجم في: التاريخ ، والجغرافية ، والقانون ، والهندسة ، والأدب ، والطب ، كما ألّف في العديد من المجالات ، وهذه المؤلفاتُ تتّسم بالطابع الموسوعي ، وهي كتابات كانت غريبةً عن المثقف والمفكر التقليدي يومئذٍ؛ لذا يرى الدكتور محمد عمارة أنه كتب عن التمدن في الميادين العلمية ، وفي التاريخ انتقل من نمط الحوليات إلى التأريخ لحضارة الأمة ، وامتدَّ

نشاطه إلى الصحافة ، فحوّل جريدة (الوقائع المصرية) رائدة الصحافة العربية ـ كما يلقبُها الدكتور عمارة ـ من نشرة تركية ركيكة تترجم للعربية ، إلى صحفية عربية تترجَمُ للتركية ، وجعل منها منبراً للأفكار والآراء والترجمات.

يرى الدكتور عمارة أنَّ **أهم ما يميِّزُ الطهطاوي هو رعايته لثلاثة أجيال من الذين تعلّموا منه وعملوا معه** ، وقدّموا للحرية الفكرية كنوزاً فكريةً رائعةً ، بلغت ألفي كتابٍ خلال أربعين عاماً ، من هنا تأتي أهميةُ نشر نصوص رفاعة الطهطاوي لتكون دليلاً يهتدي به الناس في ظلمات الجهل ، ولتكون نموذجاً للتجديد الإسلامي الحديث.

٤٨ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني[١]:

يعتبر جمال الدين الأفغاني رائدَ مدرسةِ الإحياء الإسلامي ، وهو الثائر الذي لم يترك مكاناً أو موضعاً يلائم دعوته إلا وبذر فيه فكره الثوري ضدَّ الاستعمار والاستبداد ، فهو من المؤمنين **بثورية الإسلام** ضدَّ الجمود والخنوع ، وضدَّ الظلم والرضا بالاستبداد الذي جعل الأمة الإسلامية أمة خامدة جامدة.

فقد كان شعارُه الإصلاحَ بالإسلام ليتميّز المشروعُ الإسلامي عن الغرب اللاديني ، ولكي تعودَ الأمةُ لمواصلةِ نهضتها الحديثة ، انطلاقاً من الأصول الإسلامية الجوهرية التي صنعت نهضةَ الإسلام الأولى ، وبذلك تتجاوز مرحلةَ تراجعها الحضاري ، وتنجو من المسخ والنسخ والتشويه الذي يريدُه لها الغربُ الاستعماري؛ لذلك كان الأفغانيُّ يردِّدُ أنَّ الدين هو قوام الأمم ، وبه خلاصها ، وفيه سعادتها.

---

(١) صدرت في القاهرة ١٩٦٨م ، وطبعت بعد ذلك عدة مرات ، منها: طبعة بيروت ١٩٧٩م ، وهي تضم الأعمال التي طلب الأفغاني من تلاميذه كتابتها إملاءً منه.

أكد الدكتور عمارة من خلال دراسته للأفغاني أنَّ الحكمَ المطلق رديفٌ للجهل والتخلف ، والنظام الشوري أصلحُ للأمة ، إلا أنَّ الشورى لدى الأفغاني هي الديمقراطية الدستورية ، لذلك **رأى أنّ على المسلمين تقليدَ الغرب في هذا المضمار جملةً وتفصيلاً**.

في الوقت ذاته دعا الأفغانيُّ إلى الحفاظ على المقومات الحضارية الذاتية للأمة الإسلامية ، وحذّر الأمة من التنوير الغربي ، ومن جناية الفلسفة الوضعية اللادينية على الدين ، التي أنتجت ثقافةَ الحداثةِ ، وهي التي أقامت قطيعة معرفيةً كبرى مع الموروث الديني ، وأحلّت العقلَ والعلمَ والفلسفة محلَّ الله والغيبِ والدين ، بل إنها ألّهت العقلَ ، ورفعت شعار «لا سلطان على العقل إلا العقل وحده» كما جعلت من الإنسان سيداً لهذا الكون بدلاً من أن يكون خليفةً لسيد الكون سبحانه وتعالى.

يرى الدكتور عمارة أنَّ التعليقات التي أملاها رائدُ مدرسة التجديد الديني السيد جمال الدين الأفغاني على تلاميذه ، وهي التعليقات التي قدمها على (شرح الدوّاني للعقائد العضدية) والتي نُشِرت في الأعمال الكاملة ، يرى أنّها أوَّلُ نصٍّ حديثٍ في الإلـهيات الإسلامية ، ينظر في عقائد الأمة بعقل مستنير ، ويقدّم لها مع النقد والإضافة ، فكر فلاسفتها الإلـهيين ، الذين صنعوا بإبداعهم عصر الازدهار الحضاري للأمة الإسلامية ، ولكن الدكتور عمارة يرى أنّ هذه التعليقات نظراً لفلسفتها وعمقها الشديد وتخصصها الأشد كتابٌ للخاصة من المفكرين.

ومما يُذْكَرُ للأفغاني فيُحْمَدُ له ما ذكره الدكتور محمد عمارة وركّز عليه أن الأفغاني بجانب صناعة الفكر **صنع مَنْ يحمل الفكر** ، فقد حمل تلاميذه على الكتابة في الصحف ، مما أحدث تطوراً أدبيّاً ، وتقدم فنُّ الكتابة في مصر بسعيه ، وأنه تشجيعاً لهؤلاء التلاميذ دعا تلاميذه إلى نشر أماليه وأحاديثه

وشروحه وتعليقاته وآرائه في الصحف بأسمائهم هم[1]، ومنسوبةً إليهم ، حتى يصنعَ منهم كُتّاباً وأدباءَ وقادة للرأي والعلم.

لقد شارك الأفغانيُّ في المعركةِ ضد الطبيعيين الدهريين برسالته الشهيرة (الرد على الدهريين) التي كتبها **بالفارسية** ، ثم ترجمها الشيخ محمد عبده إلى العربية ، ونُشِرَت بعدَ ذلك ، وفيها من الأدلة الكثيرة ما يدحض آراء الدهريين.

كما أنَّ الأفغانيَّ ردَّ على محاضرة المستشرق الفرنسي **آرنست رينان** التي هاجم فيها الإسلامَ ، متّهماً إياه بالعداء لله ، وتقييده لحركة العلماء ، وطُبعَ ردُّ الأفغاني بعد ذلك في كتيب خاص ، داحضاً آراء رينان ، الذي اعترف باحترامه للأفغاني ، لقد عمل الأفغانيُّ على مقاومة الجمود الفكري متسائلاً باستنكار عن معنى إغلاق باب الاجتهاد ، ومن أغلقه؟ وبأي نص؟ وأيُّ إمامٍ قال ذلك؟.

لقد نجحَ الدكتور عمارة لحدٍّ بعيدٍ في جمع وتقديم هذه الأعمال لتكون منبعاً وسنداً لمن يريدُ التحرر ورفض الجمود والتبعية ، كما كان صاحبُها يدعو.

٤٩ ـ الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده[2]:

بذل الدكتور عمارة جهداً امتدَّ خمسَ سنواتٍ في جمع هذه الأعمال ، فهناك مثلاً ثمانون مقالاً بدون توقيع ، بذل في تحقيقها جهداً كبيراً ، وأيضاً

---

(١) من ذلك تعليقاته على (شرح العقائد العضدية) للدواني ، طبعت ونسبت للشيخ محمد عبده (ن).

(٢) صدرت في أكثر من طبعة ، آخرها طبعة أنيقة في خمسة مجلدات عن دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٣م؛ وهي طبعة مزيدة ومنقحة عن الطبعة التي صدرت في بيروت ١٩٧٢م وبلغ عدد صفحاتها أربعة آلاف صفحة.

كانت هناك كتبٌ نسِبَتْ لمحمد عبده ، ولم تكن له ، هناك كُتُبٌ نُشِرَتْ بعد اجتزاءِ نصوصٍ منها ؛ لذا عمل الدكتور عمارة على نشرها كاملةً .

تعدُّ هذه الأعمال عملاً موسوعيّاً ضخماً ، ومن خلال الدراسات والتحقيقات يظهر الجهدُ الجبّار الذي بذله الدكتور عمارة فيها ، والتي أضفت أهميةً إلى جانب أهمية العمل الأصلي نفسه .

في هذه المجلدات جمع الدكتور عمارة مؤلّفات الشيخ محمد عبده ، ومقالاته في الصحف المختلفة ؛ مثل : (الأهرام) ، ومقالاته في الرد على المستشرق الفرنسي **هانوتو** في هجومه على الإسلام ، ونشر عدداً من فتاوىٰ محمد عبده التي تبيّن الوجه المستنير له ، وتوّجَ ذلك بنشر تفسير الإمام للأجزاء الخمسة من القرآن الكريم ، الذي مثّل فهماً جديداً وواعياً للقرآن الكريم ، ونشر فيها الدكتور محمد عمارة (رسالةَ التوحيدِ) للإمام محمد عبده ، والتي سبق له ونشرها بمفردها عام (١٩٩٢م) في دار الشروق ، وهي تعتبر فتحاً جديداً في علم العقائد ، ونقلتِ الفكرَ الإسلاميَّ خطواتٍ واسعةً إلى الأمام .

عرض الدكتور عمارة للآراء التجديدية للشيخ محمد عبده بوصفه أهم رواد بل مؤسس **مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامية** ، فهو يرىٰ أنَّ (رسالة التوحيد) للإمام محمد عبده عملت علىٰ محو الخرافات والبدع والجهالة التي رانت على عقائد الأمة قبل عصر التجديد ، وهو امتدادٌ للفكر التجديدي لمحمد عبده الذي عمل على النهوض بعقل الأمة من قيود التقليد والخرافة ، فقد عالجَ الأستاذ الإمام علم التوحيد بالمنهج التجديدي العقلاني المستنير ، وفي هذه الرسالة تبدو الروابطُ بين العقائد وبين وظائفها في واقع الإنسان ، وفيها تتجلّى نظرةُ الإسلام للعقل كي يهزمَ التقليد الذي قتل روح الريادة والإبداع في الأمة ، والإسلام بريءٌ من الكهانة التي جعلت الدينَ حرفة يحترفها قوم انتزعوا لأنفسهم سلطان الله ، واحتكروا هذا السلطان .

قدم الدكتور محمد عمارة في دراسته للأعمال الكاملة دراسة بلغت (٣٠٠) صفحة؛ حتى إنّ دار الشروق طبعتها في كتاب مستقل ، حتى يسهل شراؤه ممن لا يريدون شراء الأعمال الكاملة ، طاف الدكتور محمد عمارة بنا في رحاب عالم الإمام محمد عبده ورؤيته للعديد من القضايا، فقد كان الإمام يدعو للإصلاح الاجتماعي والعلمي قبل الإصلاح السياسي لإعداد الأمة .

كما عرض لرأي الإمام في قضايا أخرىٰ ، مثل: **العقلانية في الإسلام** ، فالعقل في نظر الإسلام وحسب رؤية الإمام هو أفضلُ القوى الإنسانية على الحقيقة ، وهي تجسّد للإنسان المسلم أمرين في غاية الأهمية هما: استقلال الإرادة ، واستقلال الرأي والفكر ، والإمام محمد عبده يرى أنَّ نقطة البَدْءِ ، ومصدرَ الانطلاق لمن يريدُ إنهاض الأمة وتقدمها؛ هما: الإسلام ، والإسلامُ كما يفهمه ويفقهه عقلُ المسلم المستنير .

أشار الدكتور محمد عمارة في دراسته إلى أنّ الشيخ محمد عبده شدّد على ضرورة **تحرير الفكر** من **أغلال التقليد** ، وأشار إلى أنَّ السبقَ في الزمان ليست له آية من آيات العرفان ، فالسابق واللاحق يستويان في التمييز والفطرة ، وهناك إمكانات متوفرة أمام اللاحق لم تكن موجودة أمام السابق ، كما أنَّ الإمام نادَىٰ وطالبَ بتحرير الفكر من هموم التقليد .

كما أنه حذّر تحذيراً قوياً من مصادر التثقيف الكاذبة والسيئة التي تؤذي العقول بما تنقله من جراثيم فكرية وأوبئة ثقافية؛ مثل: كتب الأكاذيب ، وكتب الخرافات ، لذا دعا الإمام إلى حُسن اختيار الكتب التي تثقّف العقل .

وكان من هموم محمد عبده إصلاح الأزهر ، وإدخالُ المناهج الجديدة لعلومٍ مختلفة فيه؛ فدخل في معارك عديدة مع الجامدين ، الذين حاول إفهامهم أنّه لا خوفَ على الإسلام من الغرب ، طالما نقلنا ما نحتاجُ إليه من الحضارة العلمية والمادية مع الحفاظ على المقوّمات الحضارية الإسلامية ،

وهذا يناقِضُ دعاوىٰ مَنْ يهاجمون الشيخَ مدّعين أنه دعا لاقتلاع الجذور والتوجه نحو الغرب.

وأكد الدكتور عمارة في دراسته الجامعة التي طافت بفكر الإمام على عِدّةِ ملامح أخرى لمشروعه النهضوي؛ منها: التربية وإصلاح مناهج الفكر، حيث ركّز محمد عبده على تجديد الأصول والمؤسسات التي تعيدُ بناء الأمة، وتعيد بناء شخصية الإنسان المسلم، فقد كان ميدانه الأساسي في الإصلاح هو التربية.

وكان محمد عبده ميّالاً إلى العمل ميله إلى النظر، وأحبَّ مخاطبة الضمائر والتأثير في النفوس، ونجح الدكتور عمارة من خلال هذه المجموعة في كشف النقاب عن هذا الإمام المفكر المجدد المنسجم مع روح عصره ومتطلباته، والواعي بمشاكل أمته، والراغب في التجديد والإبداع لما يوائم روح العصر.

ويؤكد الدكتور محمد عمارة على أنَّ مدرسة محمد عبده هي مدرسةُ الاستنارة الحقيقية ومدرسة الاجتهاد والتجديد.

إنّ محمد عبده توفي سنة (١٩٠٥م)، لكنّه ترك مدرسة فكرية كثير روادها؛ منهم: محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، ومصطفى عبد الرازق، والشيخ محمود شلتوت، لذلك فعطاؤه ما زال مستمرّاً، وما زلنا نعيش في إطاره.

٥٠ ـ الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي[1]:

ضمت الأعمال الكاملة كتابي الكواكبي: (طبائع الاستبداد ومصارع

---

(١) صدر هذا الكتاب عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٧٥م، بيروت، في ٤٢٧ صفحة، وهي التي اعتمدنا عليها، وصدر بعد ذلك أيضاً في طبعة جديدة عن دار الشروق في ٦١٠ صفحة، وهي طبعة ثالثة.

الاستعباد) ، وكتاب (أم القرى) ، و(صحافة الكواكبي)؛ وهي مقالاته التي نشرها في صحيفتي: (الشهباء) و(الاعتدال) وهما صحيفتان أسبوعيتان أنشأهما الكواكبي ، كما يوجَدُ قسمُ صور يضم صوراً ضوئية لبعض أعداد الصحيفتين.

في مقدمة الكتاب التي بلغت ثمانيَ وثلاثين صفحة ناقش الدكتور محمد عمارة الاتهام الموجّه إلى عبد الرحمن الكواكبي: هل كان علمانيّاً؟ وهو الاتهامُ الذي وجَّهه إليه الكاتب اللبناني جان داية في مقالٍ له بعنوان: الشيخ عبد الرحمن الكواكبي أول عالم دين قال بفصل الدين عن الدولة ، جريدة النهضة (١٦ حزيران ١٩٨٣م) ، وللداية أيضاً كتابان عن الكواكبي هما: (صحافة الكواكبي) ١٩٨٤م ، (الإمام الكواكبي وفصل الدين عن الدولة) ١٩٨٨م.

وقف الدكتور محمد عمارة مدافعاً عن الكواكبي بوصفه واحداً من أهم المدافعين عن الإسلام ، وأنَّ عبد الرحمن الكواكبي مصلحٌ عظيمٌ ، ولم يكن رائدًا للدعوة إلى فصل الدين عن الدولة ، وأنَّ هذا افتراءٌ على الرجل الذي انحاز إلى إسلامية الدولة ، وأكد الدكتور محمد عمارة في دراسته التي جاءت تحت عنوان: (**الكواكبي هل كان علمانياً؟**) أنَّ الإسلام جاء ثورةً على السلطة الدينية ، وتحريراً للضمائر والعقائد ، والسلطة المدنية التي قررها إنّما هي بقرار الشرع ، وليس من العلمانية الثائرة ضد الشرع والدين ، وهو بذلك واحدٌ من أهم رواد مدرسة **الإحياء الديني** الحديثة ، لذا فقد انتقد الكواكبيُّ العلمانية اللادينية السائدة في الغرب.

لقد شنّ عبد الرحمن الكواكبي هجوماً شرساً على الاستبداد ، وتتبع بالدراسة جذوره في النفس والمجتمع والدولة ، وكشفَ نتائجه المهلكة للبلاد ، لذلك دعا إلى الحرية ومقاومة الاستبداد.

وفي كتابه (أم القرىٰ) وصفٌ خيالي لمؤتمر افترض عقده في مكة المكرمة

عام (١٨٩٨م) حضرته وفودُ الدول الإسلامية ، وعددها اثنتان وعشرون دولة ، ووصف فيه حالة العالم الإسلامي ، وأعربَ عن آرائه في علاج أزماته ، وجمع كلمة المسلمين.

أكد الدكتور محمد عمارة على أن الكواكبي كان يريد إحياء الخلافة الإسلامية التي طوى الكماليون[١] بقيادة مصطفى كمال صفحتها ، وإعادتها للعرب ، وإقامة اتحاد إسلامي تعاوني بين البلاد الإسلامية ، وبذلك قطع الكواكبي أي فرصة لاتهامه بالعلمانية.

٥١ ـ الأعمال الكاملة لقاسم أمين[٢]:

يقع الكتاب في جزأين ، يضمُّ الأول منها: كتاب (كلمات) مقالات عن (أسباب ونتائج) (مقالات) (أخلاق ومواعظ) وكتاب (المصريون) مترجماً ردَّ قاسم أمين فيه على الدوق داركور ، والذي كتبه قاسم أمين عام (١٨٦٤م) بالفرنسية ، وهذا الكتابُ نُشِرَ من قبلُ في الجزائر ، ومقالات أخرى عن الإمام محمد عبده أخلاقه وفضائله وإمامته ، والجزء الثاني يضم كتابيه (تحرير المرأة) الصادر عام (١٨٩٩م) و(المرأة الجديدة) (١٩٠٠م).

قدم الدكتور محمد عمارة دراسةً لفكر قاسم أمين وتطوره ووعيه بالمنهج الاجتماعي الذي استخدمه في دراسته ، ويرى الدكتور محمد عمارة أنَّ الناس لم تفهم كتابات قاسم أمين حقَّ فهمها ، وأنَّه ظُلِم كثيراً.

ويرى الدكتور عمارة أنَّ قاسم أمين واحدٌ من المصلحين البارزين في

---

(١) **الكماليون**: أتباع مصطفى كمال الذي ألغى الخلافة العثمانية ، وحوَّل تركيا إلى جمهورية علمانية.
(٢) ظهرت الطبعة الأولى في بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦م ، وطبع مرة أخرى في دار الشروق ـ القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ولكن اعتمدنا على طبعة بيروت.

مدرسة الاستنارة واليقظة والتنوير في مصر والشرق العربي والإسلامي ، تلك المدرسة التي تكوّنت أول ما تكونت بمصر في النصف الأول من القرن الماضي ، ورائدُها هو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م).

وكان الموقفُ الاجتماعيُّ لهذه المدرسة يستهدفُ التطور بالمجتمع من مرحلة الإقطاع ، والانتقال به إلى مرحلة البورجوازية ، بكلّ ما تعني هذه المرحلة من استنارة ومواءمة بين تدين الشرق وعلمانية الغرب وعقلانيته ، وكان مِنْ سمات مصلحي هذه المدرسة: **نقد بقايا المجتمع الإقطاعي القائم** ،وتسفيه قيمه ، **والدعوة إلى إحلال قيم المجتمع البورجوازي** ، وكانت هي الأكثر تقدماً يومئذ.

لذا نجد قاسم أمين يوجِّهُ نقده إلى المجتمع القائم ، ويعيبُ عليه ضعف الطبقة البورجوازية التجارية والصناعية فيه . . . ويسفّه الهالات التي تحيطُ بالمجتمع من فئة الموظفين ، لأنهم بلا سند اقتصادي . . ويوجِّهُ سهامه إلى طبقة كبار الملاك الذي أغرقوا أنفسهم في التبطل ، وكبلوا طاقاتهم بالسفه والتبذير ، بعد أن أغرقوا ممتلكاتهم الزراعية في الديون.

وفي موضع آخر يسلِّطُ هجومه على قيم (الكسل والتبطل والزهد والتواكل) التي تسود المجتمع القديم ، ويعلِّلُ انتشارَ هذه القيم المناهضة للطموح والمنافسة بسيادة الاستبداد السياسي الذي قهر ملكاتِ الناس ، وكرّه إليهم استثمار طاقاتهم . . . وبشَّر قاسم أمين كغيره من مصلحي مدرسة التنوير بقيم المجتمع الجديد. . . **فهاجم الزهدَ والقناعةَ والرضا بالقليل ، ودعا إلى الطموحِ وطلبِ المزيد.**

لقد كان قاسم أمين يعي جيداً أنَّ **ضعفَ البورجوازية التجارية الوطنية يترك المجال فسيحاً وسهلاً للنشاط التجاري الذي يقوم به الأجانب والنازحون إلى بلادنا ، فأخذ ينبّه قومه إلى قيمة التجارة كحرفةٍ** ، بل

وكعلمٍ من أشرف العلوم لدى الدول الأوروبية المتقدمة والاستعمارية ، ويستنفر أبناء وطنه لمزاحمة الأوروبيين في هذا الميدان . . . كما حاول أن يشيرَ إلى دور المصالح الاقتصادية والتجارية منها بخاصة في الصراع العالمي بين الدول الاستعمارية . . . ودعا قاسم أمين إلى مجتمع يكثر فيه الأثرياء الذين يحصّلون ثرواتهم بالعمل ليل نهار .

وممّا جاء في دراسة الكتاب ويؤكده الدكتور محمد عمارة أنَّ في الكتاب خصوصاً في الفصول التي تتناول وجهة نظر الشريعة ، توجَدُ مجموعةٌ من الآراء الفقهية والمناقشات لا يستطيع أن يستخلصها ولا أن يبحثها كاتبٌ مثل قاسم أمين ، فهي تدل على أنَّ صاحبها قد استقصى بحثَ هذا الأمر من جميع مصادره الرئيسة في الفكر الإسلامي على اختلاف التيارات والمذاهب ، **وهو الأمرُ الذي يؤكِّدُ أنَّ الشيخ محمد عبده قد كتبَ هذه الفصول ، وهذا الرأي قد جزم به الدكتور محمد عمارة في كتابه (الأعمال الكاملة لمحمد عبده) ، وهنا نجدُ الدكتور محمد عمارة يؤيّدُ هذه المقولة التي قال بها عددٌ كبيرٌ من الباحثين من قبل ، ولكنّها هنا تكتسب أهمية كبيرة؛ لأنها صادرة عن باحث ومحقق الأعمال الكاملة لجيل الرواد.**

ولكن ليسمح لنا الدكتور محمد عمارة بالقول: إنّ قاسم أمين وإنْ كان على حق في بعض ما جاء في كتابيه عن المرأة من الدعوة لتعليم المرأة وعملها، كذلك إشاراته المتعددة لواقع المجتمع المصري آنذاك ، ومدى ما فيه من تخلف ، ولكن نختلِفُ معه حول أنَّ قاسم أمين تحدَّث في كتبه بعبارات صريحة واضحة جازمة لا تقبل التأويل والشك **بأنَّه يحاكي النظام الأوروبي ، ووضع المرأة في الغرب ، ولا ينطلِقُ** من النموذج الإسلامي للمرأة.

وكذلك الحال كان قاسم أمين يبالِغُ في الأمور ، فهو يجعلُ من الحجابِ سبباً في انحطاط الشرق ، وأن عدم الحجاب هو السر في تقدم الغرب ، وهي نظرة قاصرة وغير موضوعية.

* * *

المبحث السابع

دراسة وتحقيق لأعمال فكرية وتراثية

٥٢ ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ تأليف الإمام الأكبر الشيخ السيد محمد الخضر حسين ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عمارة[١]:

يبدأ الدكتور محمد عمارة دراسةً حول الشريعة الإسلامية ، بتعريفها ، وبيان الفرق بين العقيدة والشريعة التي هي من معالم الطريق الذي يسلكه الإنسان المؤمن في الحياة ، ويذكر أنَّ الحياة الفكرية الإسلامية لم تشهد كتباً تدافع عن الشريعة في العصور السابقة على الهجمة الاستخرابية الشرسة على العالم الإسلامي ، ذلك لأن الثقافة الحداثية التي تتمحور حول الإنسان أقامت قطيعةً معرفية مع الموروث الديني ، وعملت العلمانية على عزل الدين عن الحياة.

وعمل بعض أبناء المسلمين على الدعوة إلى العلمانية ، وتطبيقها في العالم الإسلامي ، التي تريد عزل الشريعة الإسلامية عن الحياة العامة ، وإحلال القانون الوضعي اللاديني محله ، وهو ما حدث في معظم أنحاء العالم الإسلامي رغم محاولات علماء الأمة التصدي لهذه المحاولات ، بدءاً من رفاعة الطهطاوي وعدد كبير من علماء الأمة الذين ساروا على نهج التصدي لهذه الهجمة الشرسة ، ومحاولاتهم بيان صلاحية الشريعة لهذا الزمان.

---

(١) نشر مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ، يونيه ١٩٩٩م ، في ٩٥ صفحة.

ويذكر الدكتور محمد عمارة قوله: «لكنّ حراب الاحتلال الاستعماري، استطاعت بالترغيب والترهيب وبالغواية التي بهرت نفراً من مثقفيها، وبالعمالة الحضارية التي وظّفت قوماً آخرين، استطاعت أن تبلور في الحاكمين والمحكومين تياراً يرى في الشريعة الإسلامية «منظومةً قانونيةً تاريخية» كانت صالحةً في الزمن الغابر»[١].

وفي إطار محاولات العلماء المسلمين للرد على هذه الحملات المستنكرة جاء كتاب الشيخ محمد الخضر حسين (١٨٧٦ ـ ١٩٥٨م)، وفي الدراسة التي قدم بها الدكتور محمد عمارة للكتاب تتبعٌ تاريخيٌّ للقضية، ودفاعٌ عن الشريعة ضد منتقديها.

وتأتي دراسة وتحقيق هذا الكتاب في إطار السعي لإبراز العلامات الفكرية المضيئة في تراثنا الإسلامي الحديث، وهي أيضاً لبنة في المشروع الفكري له.

ولم تقف جهود الدكتور محمد عمارة عند الدراسة التي قدم بها للكتاب، والتي أضافت إليه الكثير، بل إنّه قدّم عشرات الحواشي التي عملت على إضاءة النص، وما استغلق فهمه منه.

وتدور موضوعات الكتاب حول الاجتهاد في أحكام الشريعة، وشروط الاجتهاد، والأصول النظرية الشرعية؛ مثل: القياس، والاستصحاب، ومراعاة العرف، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة، والاستحسان.

٥٣ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال[٢]، لأبي الوليد بن رشد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة:

يعتبر هذا الكتابُ امتداداً لاهتمام الدكتور محمد عمارة بكتابات ابن

---

(١) الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ص٨.

(٢) صدرت عن دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، في ١٠٣ صفحة، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها.

رشد ، وهو رائد العقلانية في الفلسفة الإسلامية ، كما أنّه من أبرزِ الفلاسفة المسلمين الذين حاولوا التوفيقَ بين الحكمة والشريعة.

قدم الدكتور محمد عمارة لحياة ابن رشد في عُجالة ، كما قدّم للمحنة التي امتُحنَ بها في فكره وعقيدته سنة (١١٩٥م)؛ حيث نفي من قرطبة ، وأُحرقت كتبه ، وسائر كتب الفلسفة ، وحُظِرَ على الناس منذُ ذلك الوقت الاشتغالُ بالعلوم العملية ، والنظرُ فيما عدا الطبّ والنجوم والحساب.

عرض الدكتور محمد عمارة للقضايا التي عالجها ابن رشد في الكتاب؛ مثل:

١ـ **العالم** ، هل هو قديم أو محدث (معنى القدم والحدوث)؟.

٢ـ **العلم الإلـهي**، وهل هو محيط بالجزئيات، أو مقتصر على الكليات؟.

٣ـ **المعاد** ، وهل هو مادي أو روحي؟.

ولكن الدكتور محمد عمارة يرى أنّ الكتابَ أقربُ إلى أن يكون حديثاً في المنهج منه إلى أن يكون ساعياً إلى دراسة هذه القضايا الثلاث السابقة ، ومن بين عناصر هذا المنهج الذي قدّمه ابن رشد يبين عنصران ، هما:

١ ـ التأويل.

٢ ـ اختلاف مراتب الناس باختلاف طباعهم ، وتفاضلها في التصديق.

يذكر الدكتور محمد عمارة أنّ ابن رشد «يذهبُ إلى أنَّ في ألفاظ الشرع ، وظواهر نصوصه ما يشهدُ للتأويل في كلِّ موطن يحتاجُ التوفيق بين الحكمة والشريعة فيه إلى التأويل»[١].

قدم الدكتور محمد عمارة عشراتِ التعليقاتِ التي أضاءت النصَّ ، وفتحت مغاليقه ، كما قدّم النصَّ سليماً من عدة مخطوطات ، بعكس

---

(١) فصل المقال ، ص ٩.

الطبعات السابقة للكتاب ، سواء في ألمانيا أو فرنسا أو الجزائر أو مصر ، والتي اعتمدت في معظمها على نسخة واحدة ناقصة ، واتّبع الدكتور محمد عمارة منهج التحقيق العلمي ، فخرجت لنا النصوصُ كاملةً واضحةً لتقدِّمَ الجديدَ للمكتبة الإسلامية حول واحدٍ من أهم رواد الفكر والفلسفة الإسلامية.

٥٤ ـ الإسلام وأصول الحكم ، لعلي عبد الرازق[١] ، دراسة ووثائق الدكتور محمد عمارة:

يذكر الدكتور محمد عمارة أنّه ما مِنْ كتابٍ أثار ضجّةً عند صدوره مثل هذا الكتاب ، والذي انقسمَ الناسُ في تقويمه قسمين: **إمّا مؤيدٌ تماماً** لما جاء في الكتاب دون تحفظ ، **وإمّا رافض الكتاب** دونما روية أو تعقل أو حساب.

لذلك دعت الحاجةُ إلى إعادة تقديم النص وتقويمه بعد تغير الظروف التي صاحبت ظهور الكتاب ، فقد شرح الملابسات السياسية لصدور الكتاب ، من قيام أتاتورك بإلغاء الخلافة العثمانية ، **ومن رغبة الملك فؤاد في جعل نفسه خليفةً للمسلمين**[٢] ، وهو الحلم الذي كان يراوده ، لذلك أحدثَ هذا الكتابُ ضجّةً كبيرةً أكبر من الحجم الملائم والمتلائم مع قضاياه الفكرية إذا أُخذت مجردة ، أو أغفل قارئه هذه الظروف والملابسات.

كما يذكر الدكتور محمد عمارة أنّ هذا الكتاب كان سهماً موجهاً ضد الجالس على عرش مصر ـ فؤاد ـ وقدّم الأدلةَ التي تثبت هذا الرأي.

---

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت عام ٢٠٠٠م ، في ١٩٣ صفحة.

(٢) هذه أسطورة روّجها مؤيدو الكتاب ، والحقيقة أن الكتاب ترجمة وإعادةُ صياغةٍ لبحث المستشرق البريطاني مرجوليوث عن (الخلافة) ، انظر: الخلافة في العصر الحديث ، للدكتور ضياء الدين الريس (ن).

كما يذكر الدكتور محمد عمارة أنَّ في الكتابِ جانباً ثوريّاً أبصره أغلبُ الذين كتبوا عن الكتاب ، ولكنْ كلٌّ من زاويته وبمنطقه ، وفي إطار المصالح السياسية والاجتماعية والحزبية التي يرتبط بها ويدافع عنها[1].

درس الدكتور محمد عمارة القوى التي شاركت في المعركة التي أحدثها هذا الكتاب؛ مثل: حزب الاتحاد ، وهيئة كبار العلماء ، والمفكرون الليبراليون ، وبيّنَ منطلقات ووسائل كل فريق منهم ، ثم تحدّثَ عن نتائج هذه الحركة الفكرية والسياسية التي أثارها الكتاب؛ فمن الناحية السياسية يذكر الدكتور محمد عمارة: «أنّ صدور هذا الكتاب والمعركة الفكرية التي دارت من حوله وبرغم الإجراءات التي اتخِذت ضد صاحبه قد قَبَرَ إلى الأبد حلمَ الملك فؤاد في تولّي منصب الخلافة على المسلمين»[2].

ويذكر الدكتور محمد عمارة أنّ علي عبد الرازق أصيب بانتكاسة كمفكر بعد المعركة التي صاحبت هذا الكتاب: «إنّ الإرهاب الفكري والسياسي والإداري الذي قاده القصر ضد الشيخ علي عبد الرازق وكتابه هذا ، قد حرم الحركة الفكرية المصرية والعربية من إمكانات كبيرة وغنية ، كان من الممكن أن تقدم لفكرنا وثقافتنا العديد من الأعمال المهمة لو لم يصبها بالانتكاس ، ويدفع بها إلى زاوية اليأس والقنوط ذلك الإرهاب وتلك المحاربات»[3].

أتبع الدكتور محمد عمارة ما سبق بدراسة عن: ملاحظات انتقادية

---

(١) راجع: الإسلام وأصول الحكم ، ص١١.

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١.

(٣) الإسلام وأصول الحكم ، ص ٤٢. **قلت**: في هذا الكلام نظر ، انظر: كتاب الدكتور محسن محمد عن أسرار (كتاب الإسلام وأصول الحكم)؛ وكتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) للدكتور محمد محمد حسين؛ وكتاب (نقض الإسلام وأصول الحكم) للسيد محمد الخضر حسين الذي حققه وعلق عليه الدكتور عمارة نفسه (ن).

على الكتاب ، مثل: التناقض في تقويم التجربة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ ، وأيضاً التناقض في تقويم تجربة ما بعد الرسول ﷺ ، ومرجع هذا عدم تبني المنهج الذي يرى الصلة بين الدين والدولة دون أن تكون هذه الصلة هي التطابق ، كما يذكر الدكتور محمد عمارة أنّ من بين نقاط الضعف في الكتاب أنَّ المؤلف يستشهد في أحيان كثيرة بشواهد لا تشهد له ، ويسوق الأدلة التي هي عند الفحص والتأمل لا تصلح للاستدلال ، ويسوقُ عدة شواهد للتدليل على هذا الأمر ، كما أنّ المؤلف أهمل الجانب المشرق في الفكر الإسلامي بما يعطي انطباعات سلبية عن هذا الفكر وعن الحضارة الإسلامية.

وفي الكتاب قدم الدكتور محمد عمارة عدة وثائق عبارة عن مقالات ووثائق محاكمة الشيخ عبد الرازق ، كما قدّم رأي سعد زغلول في الكتاب ، واستلزمت الدراسةُ والوثائقُ وهي تُلقي مزيداً من الأضواء الكاشفة حول مضمون الكتاب وأفكاره وتحديد بعض غوامضه ، وتفسير بعض عباراته ، وتأكيد بعض المعاني التي اشتبهت على القراء بسبب الإيجاز الشديد الذي كتب به الكتاب ، هذا ما ذكره الدكتور محمد عمارة عن هذا الكتاب ، وإن كان في مقدمة كتابه عن عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام (طبعة دار الشروق ـ القاهرة ٢٠٠٧م) **قد ذكر أنّ هناك اتفاقاً بين الباحثين على أن الشيخ علي عبد الرازق هو أول من قال: بفصل الدين عن الدولة في العصر الحديث ، وبذلك فهو أول العلمانيين العرب!.**

٥٥ ـ نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للإمام الأكبر السيد محمد الخضر حسين(١) ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة:

في البداية يذكر الدكتور محمد عمارة أنّ العلمانية بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة كانت غريبةً عن البيئة العربية الإسلامية ، إلى أن تبلور تيارُ

---

(١) مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ، ١٩٩٨م ، في ٥٢ صفحة.

التغريب والعلمانية الذي بدأه نصارى الشوام في مصر؛ مثل: مجلة (المقتطف)، وصحيفة (المقطم)، ولكن عندما ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبد الرازق في سنة (١٩٢٥م)، **فكان أوّلَ مسلمٍ يسعى إلى زرع العلمانية في العقل الإسلامي، وفي واقع المسلمين، وتصور أنها حل لمشاكل المسلمين، فالإسلام عنده دين لا سياسة، رسالة لا حكم، وروحانية لا دولة، والخلافة الإسلامية كهنوت، والخليفةُ مستبدٌّ لا يسأل عما يفعل، لأنه يستمد سلطانه من الله تعالى.**

وعلى رأس الردود التي وُجِّهت للكتاب رد الشيخ محمد الخضر حسين، وهو من أهمِّ الردود التي استخدم صاحبها فيه الدليل والرأي في نقد أفكار الكتاب، ويرى الدكتور محمد عمارة أنه يؤمن: «بأنّه لا شيءَ يهمُّ في ترشيد الحركة الفكرية بفصائلها وتياراتها المختلفة، مثل الوعي بالمقولات موطن الخلاف، والإحاطة الواعية بمعالم الصراع الفكري الخصب الذي دار حول هذه القضية الجوهرية من قضايا ديننا ودنيانا.. وتأمل وثائقها الفكرية التي جمعت حجج مختلف الأطراف والفرقاء، ثم الانطلاق من ذلك وبعده إلى الإبداع والإضافة، مواكبة للجديد الذي يطرحه الواقع الذي تعيش فيه»[1].

وهذا هو جوهر المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة.

قدم الدكتور محمد عمارة في دراسته ترجمة وتعريفاً بالشيخ محمد الخضر حسين وفكره، وطريقته في الرد على هذا الكتاب، وأيضاً على كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، فنَّده فِقرةً فِقرةً، وفِكرةً فكرةً، **مع أدب رفيع في الحوار، وبراعة في الجدل**، كشفت عن عقل متمكن ومتمرس في ميدان البحث والمناظرة، يغترِفُ صاحبه من معينِ علمٍ لا يغيض[2].

---

(١) نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، ص ٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

لذلك تعتَبرُ دراسة هذا الكتاب متممة للكتاب الأصل الذي نشره الدكتور محمد عمارة ، فقدّم الكتابَ ، ووثائق المعركة ، وأهم كتاب في الرد على الكتاب الأصلي.

* * *



الفهرس

الفصل الأول
لمحات عن حياته
(١١ ـ ٦٤)

الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

(٦٥ ـ ٢٠٩)

* * *